بسم الله الرحمن الرحيم

جمهوريـــــــــة الســـــــــودان

جامعـــة أم درمـــان الإســـلامية

كليـــة الدراســـات العليـــا

كليـــة اللغـــة العربيـــة

قسم الدراسـات الأدبيـة والنقديـة

الصورة الفنية في شعر أبي الفتح البستي

المتوفى سنة ٤٠٠ للهجرة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالب/

قاسم نسيم حماد

إشراف الدكتور/

فاروق الطيب

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله رسول الله الأمين ، وعلى آله وأزواجه الطاهرين الطيبين ، وعلى صحابته ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.. أما بعد :

فالشعر ديوان العرب ، حفظ لنا لغتهم ، وأيامهم وسيرهم وأخبارهم ، ولو كانت لأمة فضيلة على أخرى لفضلت العرب الأمم بما أعطاها الله من لسان ، وما حباها من فصاحة وبيان ، ولكن الله تعالى فضل الناس بالتقوى ، وأنزل القرآن بلسانهم . مما أعطى العربية قداسة ، وتعلمها فضلاً . فهي مفتاح فهمه ، ودليل فقهه وعلمه . ففي تعلمها فرض كافٍ وسبب شافٍ .

وفي القرن الرابع الهجري تم للعربية جمعها ، واستنباط قواعدها وأحكامها وتوسعت تصانيف علومها ، وتفنن شعراء العربية في استقصاء المعاني وتوليدها وإحسان المباني وتجديدها . فنفرت طائفة تمعن في استقصاء المعاني واجتلابها وابتكارها حتى لم تُبْقِ لمن جاء بعدها شيئاً ، وطائفة أمعنت في اللفظ وتهذيبه وتشذيبه حتى أصبح كالموسيقى وتلاعبت بالتراكيب والألفاظ حتى صارت كالإيقاعات الموزونة ، وجعلت البديع همها . وكان على قائمة تلك الطائفة الشاعر أبو الفتح البستي أمير الجناس بلا مدافع وصاحب طريقة فيه .

يعد أبو الفتح البستي أشهر شعراء الدولة الغزنوية ، وامتد صيته وشاع في الآفاق ، إلا أنه لم يبلغ الشهرة التي نالها غيره من أقرانه في المشرق الأدنى ؛ لبعد الدولة التي كان يعيش فيها عن مركز الحضارة الإسلامية .

والبستي شاعر كبير بشهادة كبار نقاد وعلماء العربية ، امتاز شعره بالصور البديعية الرائعة ؛ مما جعل أكثر علماء البلاغة يستشهدون بأكثر شعره جنبا إلى جنب مع شعر المتنبي[١] وأبي تمام[٢] وابن الرومي[٣] وغيرهم من كبار الشعراء . وقد امتاز شعر البستي بالحكمة أيضا ، لذا نرى كثيرا من علماء الدين يتمثلون بشعره في أثناء كتبهم ، على سبيل المثال الإمام أبو حامد الغزالي رحمَه الله فقد كان كثيرا ما يورد أبياتا للبستي في كتابه المشهور إحياء علوم الدين .

والبستي هو صاحب البيت المشهور :

أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها * فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ**[٤]

وهو صاحب النونية المسماة عنوان الحكم والتي تبارى الشارحون في شرحها.

عنوان البحث :

الصورة الفنية في شعر أبي الفتح البستي .

---

(١) هو أبو الطيب المتنبي الشاعر المشهور واسمه أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ولد سنة ٣٠٣ ونشأ بالكوفة وقال الشعر وبلغ الغاية مدح بني حمدان وكافور – لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني ، بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ ج ١ ص١٥٩ .

(٢) أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي الشيعي الشاعر المشهور . ولد بقرية جاسم ونشأ بمصر وانتقل إلى العراق وسكن الموصل وتوفي بها سنة إحدى وثلاثين ومائتين . له الحماسة الطائية وديوان شعره . هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، إستانبول، الطبعة الأولى، ١٩٥٢م، ج١ ص ٢٦٢ .

(٣) هو علي بن العباس بن جريج أبو الحسن لشاعر وقته (توفي ٢٩٠) هـ كان شديد التطير ، من الفحول الغواصين إلى المعاني . الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، ج٢١ ص ١١٤ .

(٤) ديوان البستي. تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية . ١٩٨٩ . ص ١٨٣.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

أهم أسباب اختيار البستي عنوانا للبحث قلة الدراسات عنه فيما نما إلى علمي، بل ليس ثمة دراسة عن الصورة الفنية في شعره . وعدم معرفة كثيرٌ من الناس به وما في شعره من صور بديعية تنمُّ عن مقدرة عظيمة لشاعرنا في الصناعة اللفظية أهمها الجناس ، فهو أمير دولته الذي فتق أكمامه، واستعمل كل صوره بما لا يوجد عند شاعر آخر، مع رقة في اللفظ ونفاسة في التفكير ، خلا منها شعر كثير من شعراء الصنعة الذين قلدوه أو حذوا حذوه ، مما جعله حريا بالدراسة ، وأردت عكسها للناس من خلال هذا البحث ، وسبب آخر هو ما يمتلئ به ديوانه من حكم وتجارب ، يهم كل إنسان معرفتها والعمل بها ، أضف إلى ذلك ما أخرجه البستي من ملح ونوادر في مقطوعات ممتعة وجديرة بالاطلاع . كما أن شعراءنا في المشرق لم ينالوا حظا من الاهتمام لبعدهم عن مركز الحضارة بل إن دولهم التي عاشوا فيها لا يعرف عنها الكثير ، فبإطلالتي على حياته تناولت دولته التي عاش فيها وعكست نشاطها السياسي والثقافي والاجتماعي .

عبر البستي عن ذاته خلال شعره ، ونوازعه ومعتقداته وآماله في العدل والمحبة وآلامه من مظاهر القسوة والفساد بما يدل عن نفس شفافة وقلب كبير ، هو قلب الشاعر الجدير بالدراسة .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى عكس صورة المجتمع في الدولة الغزنوية من جوانبه المختلفة ، كما يسعى للكشف عن الصور الفنية والجمالية في شعر البستي .

حدود البحث :

- شمل صورة المجتمع الغزنوي سياسيا وثقافيا واجتماعيا .
- بحث في حياة الشاعر السياسية والأدبية والاجتماعية .
- بحث في الصورة الفنية في شعره ولم يخرج عن هذه البنود الثلاثة إلا قليلا بقدر ما تقتضيه طبيعة البحث .

منهج البحث :

اعتمد الباحث على منهجين في دراسته هذه هما: المنهج التاريخي ، والمنهج الوصفي التحليلي .

- اتبع المنهج التاريخي في جانب حياة الشاعر ، وعصره بما فيه من جوانب سياسية واجتماعية وثقافية . وقد جاء في الفصل الأول من البحث .
- اتبع المنهج التحليلي الوصفي في الفصلين الآخرين .
- اعتمد على المصادر التاريخية في تصوير حياة وبيئة وعصر الشاعر.
- اعتمد على الدواوين الشعرية والمراجع في نقل الشعر .
- اعتمد على المراجع القديمة في النقد الشعري مع المشاكلة بينها والحديثة .
- شاكل بين مناهج القدماء والمناهج الحديثة في إظهار الصور الفنية .
- لم يهتم كثيرا بشرح المفردات لسهولتها .
- كرر كثيرا بعض الأبيات الشعرية للشاعر لاختلاف المقاصد .
- قام بتعريف الأعلام التي وردت في البحث.

مصادر البحث:

تنوعت مصادر البحث من مصادر تاريخية وأدبية أثبت الباحث في آخر البحث قائمة بكل المصادر التي اعتمد عليها في الدراسة .

الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع :

لم يجد الباحث بعد طول البحث وسؤال أهل الخبرة غير دراسة واحدة عن البستي قام بها الدكتور محمد مرسي الخولي رحمه الله بعنوان (أبو الفتح البستي حياته وشعره) وهي دراسة قيمة ركزت على حياة الشاعر السياسية إذ أنه كان وزيرا في الدولة الغزنوية ، وركزت كذلك على الجناس في شعر البستي ، وهذا هو قسمها الأول وأما الثاني فقد جمع فيه محمد مرسي الخولي ما استطاع جمعه من شعره ، وهذا أهم جوانب تلك الدراسة ، وقد أهمل الخولي دراسة الألوان البيانية في شعر البستي ، وقد أفاد الباحث من تلك الدراسة وأشار إلى مواطن الأخذ منها في مواضعه .

وهناك كتيب بعنوان (قصيدة عنوان الحكم) للبستي ، فيه شرح للقصيدة قام به عبد الفتاح أبو غدة تناول في مقدمته ترجمة للشاعر ثم أخذ في شرح القصيدة وتتوقف فائدة الكتيب على شرح مفردات القصيدة وأبياتها .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

أكبر عقبة واجهت الباحث هي الحصول على ديوان الشاعر ، فقد أنفق وقتا طويلا في البحث عنه حتى يئس من وجوده ، فعمد إلى اعتماد ما جمعه محمد مرسي الخولي من شعر البستي في دراسته عن حياته ، وقد يسر الله للباحث الحصول على الديوان بعد مشقة في سوريا ، والنسخة التي تحصل عليها من مطبوعات المجمع العلمي بدمشق وهي بتحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال وتعتبر أكثر نسخة جمعت شعر البستي فقد اعتمدت المخطوطة ، وزادت عليها ما جمعه الخولي ، ثم أضافت ما تناثر من شعره في كتب الأدب والمراجع فخرجت متقنة وإن ندت عنها بعض الأبيات التي أورد الباحث بعضها في ثنايا البحث ، وجدها متناثرة في بعض مراجع الأدب ، وأشار لذلك أيضاً في موضعه .

ومن الصعوبات التي واجهت الباحث أيضاً عدم وجود المرجع الأساسي لتاريخ وحياة البستي ، وهو كتاب التاريخ اليميني لأبي نصر العتبي ، فكان يعتمد على مراجع نقلت منه إلى أن تحصل على نسخة مصورة منه أحضرها من مصر .

وصعوبة أخرى هي ندرة المراجع التي تحدثت عن الشاعر مما جعل الباحث يبذل جهداً كبيراً وهو ينقب داخل الكتب للحصول على كلمة أو إشارة أو رأي عن الشاعر .

هيكل البحث:

عمد الباحث في دراسته إلى وضع هيكل للبحث ، بنى عليه دراسته وقد جاء ليحقق ما يصبو إليه كالآتي :

قسم الباحث البحث إلى ثلاثة فصول ، وكل فصل إلى عدة مباحث حسب ما يقتضيه الفصل .

١. جاء الفصل الأول بعنوان (عصر البستي وحياته) تناول عصر الشاعر وحياته وفيه ثلاثة مباحث .

- تناول المبحث الأول الحالة السياسية والحالة الاجتماعية والاقتصادية والحالة الثقافية لذلك العصر ، جاء ذلك في ثلاثة مطالب.
- تناول المبحث الثاني (شخصية البستي) مصادر ترجمته واسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلاميذه وعقيدته ، وذلك في خمسة مطالب .
- تناول المبحث الثالث (حياة البستي ووفاته) حياة البستي السياسية ووفاته في مطلبين .

٢. حمل الفصل الثاني عنوان (مفهوم الصورة الفنية ووظائفها) وفيه ثلاثة مباحث .

- تناول المبحث الأول مفهوم الصورة الفنية لغة واصطلاحا وقديما وحديثا . وجاء في أربعة مطالب .
- تناول المبحث الثاني (الأغراض الكبرى) أغراض الشعر من فخر ومدح وهجاء ونسيب ورثاء وجاء في خمسة مطالب.
- تناول المبحث الثالث (الأغراض الصغرى) من أخوانيات واعتذاريات وشكوى المشيب والزمان والحكم والأمثال ونماذج من شعره جاء في ستة مطالب .

٣. حمل الفصل الثالث عنوان (عناصر التشكيل الفني وخصائصه) وفيه ثلاثة مباحث .

- تناول المبحث الأول الصورة البيانية وأثرها في التشكيل الفني التشبيه والاستعارة والكناية ، في ثلاثة مطالب .
- تناول المبحث الثاني (الصور البديعية وأثرها في التشكيل الفني) البديع وألوانه عند البستي ، كما تناول فن الجناس على حده نسبة لشيوعه عند شاعرنا في ثلاثة مطالب .
- تناول المبحث الثالث الخصائص الفنية، اللغة، والأسلوب، والمعاني، والخيال، والموسيقى، وأثر البستي، ونموذج من شعره، في أربعة مطالب .

ثم جاءت الخاتمة التي تتضمن أهم نتائج البحث والفهارس الفنية .

الفصل الأول
عصر أبي الفتح البستي وحياته

المبحث الأول
عصر أبي الفتح البستي

مما لا شك فيه أن بيئة كل شاعر لها أثرٌ في تكوين شخصيته وثقافته ونفسيته ، لذا دأب النقاد على دراسة عصر أي شاعر يتناولونه واستخلاص مكونات شاعريته من بيئته ، عليه رأى الباحث أن يبتدر بحثه بدراسة عصر أبي الفتح البستي لتكون مفتاحاً يكشف مغاليق شخصية الشاعر والعوامل التي أثرت في تكوينها ، وستكون هذه الدراسة في مطالب ثلاثة تشتمل على الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية .

المطلب الأول : الحالة السياسية :

عاش أبو الفتح البستي حياته كلها في القرن الرابع الهجري ، وقد كان حال الخلافة الإسلامية آنذاك لا يدعو إلى الحسد ، فالفترة تمثل أسوأ ما وصل إليه الحال السياسي من اضطراب منذ قيام الخلافة الإسلامية . وهذا العصر و إن اصطلح على تسميته بالعصر العباسي الثاني إلا إن شوقي ضيف يخالف هذه التسمية ويسميه عصر الدول والإمارات إذ أن الخلافة الإسلامية كانت اسما فقط(١).

ويعتبر عهد الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢ إلي ٢٤٧ هـ) (٢)بدء انحلال الدولة العباسية ، والذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة ستمائة

---

(١) انظر تاريخ الأدب العرب: شوقي ضيف دار المعارف مصر، الطبعة الرابعة ١٩٩٦ج ٥ ص٥.

(٢) هو جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد ، كانت أمه تركية ، ولي الخلافة بعد الواثق وكان يميل لأهل السنة وهو الذي أوقف محنة خلق القرآن المشهورة ، عنف العلويين فسبه أهل بغداد في المنابر ، كان يروم نقل الخلافة إلى الشام وجعل العرب عمادها ، اشتهر بالحلم ، قتله ابنه المنتصر . انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ، القاهرة مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ، ص٢٦٠ .

وست وخمسين من الهجرة . وقد كان الخليفة المعتصم العباسي[١]أول من استعان بالأتراك وأسند إليهم مناصب الدولة وأقطعهم الولايات الإسلامية . وكان هذا الانقلاب من الحكم العربي إلى التركي مظهرا من مظاهر الثورة ، وأدى إلى إضعاف سلطة الخليفة وزوالها [٢].

ويقول حسن إبراهيم حسن : ((إن العرب كانوا مادة الإسلام وقوام الدولة العربية . فلما آلت الوظائف الكبرى لغيرهم ضعفت عصبيتهم ، وانحطت منازلهم ، وانصرفت قلوبهم عن الدولة)) [٣].

ولم تستقر الخلافة بعد هيمنة الترك . فكانوا يولون من يشاءون ويخلعون من يريدون ، حتى أنه في خلال مائة عام منذ تولية المتوكل حتى دخول بني بويه[٤]في بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٤ هجرية ، تولى الخلافة أربع عشرة خليفة واحد منهم تولى الخلافة يوما وليلة وهو عبد الله بن المعتز[٥].

ويقول آدم متز : ((في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عادت المملكة الإسلامية إلى ما كانت عليه قبل الفتح العربي ، ونشأت فيها دول صغيرة منفصل بعضها عن بعض كما كانت الحال دائما في تاريخ الشرق .ـــ

---

(١) هو أبو إسحاق محمد المعتصم (٢١٨ــ ٢٢٧) هــ أبوه الرشيد بويع يوم وفاة أخيه المــأمون ، كان سديد الرأي شجاعا كانت خلافته ثماني سنين ــ تأريخ الإسلام السياسـي : حسـن إبـراهيم حسن، بيروت دار الجيل ط ١٤ ، ١٩٩٦ج٢ ص ٦٤ الى٦٧ بتصرف .

(٢) انظر انظر تاريخ الأدب العرب: شوقي ضيف، ج ٣ ص ٨ .

(٣) انظر المصدر نفسه ج ٣ ص ٧ .

(٤) البويهيون أسرة فارسية حكمت في أصفهان وشيراز وكرمان وبغـداد (٣٢٠ ــ٤٤٧) . انظـر المنجد في اللغة والأعلام : مجموعة من المؤلفين ، بيروت دار المشرق ، ص ١٥٤ .

(٥) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٣ ــ وابن المعتز (٢٤٧ ــ٢٩٦) هو عبد الله بن محمد المعتـز بالله بن المتوكل بن الرشيد العباسي . شاعر مبدع وخليفة ليوم واحد . الأعلام للزركلي ، بيروت، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة ١٩٨٠ ج٤ ص ١١٨ .

إذا استثنينا فترات قصيرة ــ وقد تم هذا الانقسام سنة أربع وعشرين وثلاثمائة٣٢٤ هــ – ٩٣٥م)) [١]

ويستطرد آدم قائلاً : ((وشرع المؤرخون يبينون الأجزاء التي صارت إليها المملكة كأنهم يصفون حسابها . وهم يعتمدون على مصدر واحد ، كما يدل على ذلك ترتيبهم لهذه الأجزاء . وتغلب كل رئيس على ناحيته وانفرد بها، فصارت فارس والرَّي وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه[٢] وكرمان في يد محمد بن إلياس[٣] والموصل وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر في أيدي بنى حمدان[٤] وأصبحت مصر والشام في يد محمد بن طغج الإخشيد[٥] والمغرب وافريقية في يد الفاطميين والأندلس في يد عبدالرحمن الناصر الأمــوي[٦]وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني والأهواز وواسط والبصرة في يد البريديين واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي[٧]

---

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبــو ريــدة ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٩٩ ج ١ ص ١٥.

(٢) سيأتي ذكرهم ص (١٥).

(٣) هو أبو علي محمد بن إلياس ثار على نصر بن أحمد الساماني واستولى علـــى كرمـــان . تـــاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ص ٨٣ .

(٤) بنو حمدان: ينسبون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربيـــة، قامـــت دولـــتهم بضـــواحي الموصـــل وامتدت إلى ديار بكر وربيعة، من أبرز أمرائهم سيف الدولة. المصدر الســـابق، ج٣، ص١٢٠.

(٥) مؤسس الدولة الإخشيدية في مصر . تولى الإسكندرية وفلسطين وسوريا . منحه الخليفة العباســـي لقب الإخشيد . تنازل لولده أنوجور بوصاية كافور . المنجد ص ٥٢٤ .

(٦) هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (١١٣ ــ١٧٢)هــ الملقب بصـــقر قريش يعرف بالداخل والأموي مؤسس دولة بني أمية بالأندلس . الأعلام للزركلي ج٣ ص ٣٣٨.

(٧) أبو طاهر القرمطي: هو سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي الهَجَري، مَلَـكَ البحـــرين، وزعـــيم القرامطة، خارجي، طاغية جبار، توفى سنة ٣٣٢هــ. المصدر السابق، ج٣، ص١٢٣.

وطبرستان وجرجان في يد الديلم[١] ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها))[٢].

ولما كان أبو الفتح البستي عاش في منطقة إيران الكبرى ، فليكن تركيزي على الأحوال السياسة في تلك الناحية . فقد أخذت تنشأ في إيران منذ القرن الثالث الهجري دول متقابلة منها: دولة الطاهريين[٣]بخراسان ، وكانت تتبع للخلافة ببغداد حتى سنة ٢٥٩ هجرية . وفى عام ٢٤٧ قامت الدولة الصفارية[٤]في إقليم بلخوستان شرقي إيران ، وشملت كرمان جنوبي إيران وأفغانستان ، واستولت على دولة الطاهريين بخراسان . واعتبر ادوارد براون في قيام الدولة الصفارية بداية دبيب الحياة في استقلال إيران[٥]ويستطرد قائلا: ((لكن هذه الدولة قد نجحت على الأقل في تجديد حياة إيران القومية وبعثها وعزلت تاريخ إيران عزلا تاما عن تاريخ الخلافة العباسية))[٦].

---

(١) الديلم: شعب نصفه من منطقة جبلية في إقليم جيلان الإيراني، جنوبي بحر قزوين. المنجد، ص٢٥٤.

(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٥ .

(٣) أسسها طاهر بن الحسين في عهد الخليفة المأمون سنة ٢٠٥هـ استقلت بحكم البلاد مع اعترافهم بسلطان الخليفة العباسي امتد نفوذهم حتى بلاد الهند بقيت حتى سنة ٢٥٩ هـ . انظر تأريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٧٢ .

(٤) أسسها يعقوب بن الليث الصفار على أنقاض الدولة الطاهرية، كان أحد قواد صالح بن النضر الكناني ، تولى قيادة جند درهم بن الحسين واستولى على خراسان ثم سجستان ثم نيسابور قاعدة الطاهريين كانت مساحة عسكره ميلا في ميل قاتل الخليفة المعتمد وهزم . المصدر السابق ج٣ ص ٧٢ .

(٥) تاريخ الأدب في إيران : إدوارد براون . ترجمة أحمد كمال الدين حلمي ، الكويت ، مطبوعات جامعة الكويت ، الطبعة الثانية ٢٠٠١. ج ١ ص ٢٥٧ .

(٦) المصدر السابق ج ١ص ٢١٠ .

وفى عام ٢٥٠هـ أقام الحسن بن زيد العلوي[١] دولة بطبرستان ، قضى عليها السامانيون[٢] عام ٢٨٧هـ وبقيت الدولة السامانية حتى عام ٣٨٦ وبذلك شغلت شطرا من العصر العباسي الثاني وظلت لفترة طويلة متقابلة مع الدولة البويهية[٣].

كما ظهرت الدولة الزيارية[٤]التي سيطرت على طبرستان بعد زوال الدولة العلوية[٥].

ولا يكاد ينتهي القرن الرابع حتى بزغ نجم الدولة الغزنوية[٦]، وبذلك تتقابل في أوائل عصر الدول والإمارات دول السامانيين والبويهيين والزياريين والغزنويين [٧] لتكتمل صورة المشهد السياسي آنذاك .

---

(١) من أحفاد علي هزم بن طاهر واحتل آمل وأسس سلالة العلويين الزيدية في طبرستان٢٥٠-٣١٦ توفي سنة ٢٧٠ هـ . المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٢٠ .

(٢) سيأتي الحديث عن السامانيين في ص (١٧) من هذا المطلب.

(٣) الدولة البويهية: سيأتي الحديث عنها ص (١٥).

(٤) تأسست في إيران . كان مرداويج بن زيار المؤسس الحقيقي لها .أعلن استقلاله في طبرستان وجرجان عام ٣١٦ ثم امتد نفوذه إلى باقي المدن والمناطق ، فاحتل أصفهان وهمدان وهدد حلوان الواقعة على الحدود العراقية ، مرداويج هو الذي عين علي بن بويه واليا على الكرخ ، استمر حكم الزياريين حتى عام ٤٧٠ هـ ، ثم اضمحلت دولتهم ، وتلاشى نفوذهم – انظر الكليني والكافي : عبد الرسول عبد الحسن عبد الغفار . قم ، طبع مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ص ٢٣٧ .

(٥) الدولة العلوية: قامت في مصر وشمال إفريقيا سنة ٢٩٧هـ-٥٦٧هـ، وتعرف باسم الدولة الفاطمية. كتاب الإيضاح لقوانين الإصطلاح في الجدل والمناظرة، لعبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمود بن محمد السيد الدغيم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ص٥٤.

(٦) الدولة الغزنوية: سيأتي الحديث عنها ص (٢١).

(٧) تاريخ الأدب في إيران، ص ٢١٠ .

الدولة البويهية :

ظهر بنو بويه في التاريخ أوائل القرن الرابع الهجري من أسرة مختلف في أصلها ، والراجح نسبهم إلى براهم جور أحد ملوك ساسان ، قال براون: ((ولكن وفق اعتقاد البيروني[1]، لم تكن هنالك أدلة كافية لإثبات صحة هذه الدعوى)) [2] وكانوا جنودا في جيش ماكان كالي[3]. وارتقوا لمرتبة الأمراء. لكنهم انحازوا إلى مرداويج بن زيار[4]، حينما اقتتل الأخير مع ماكان كالي ، ورجحت كفته . فولي على بن بويه الكرخ . ولكن مرداويج لم يطمئن له ، فتملقه على بن بويه ، وأقام الخطبة له ، فلما قتل مرداويج دانت لعلى بن بويه بلاد فارس بالطاعة ، واعترف له الخليفة الراضي[5] بسلطانه على فارس. واستولى أخوه ركن الدولة الحسن بن بويه[6] على أصبهان ، والري ، وبقية العراق العجمي ، واستولى أخوهم معز الدولة احمد بن بويه[7] على ولاية كرمان والأهواز ثم دخل بغداد فخلع عليه الخليفة وعلى أخويه هذه الألقاب ، وأصبحوا هم المتصرفين في بغداد وفى الخليفة نفسه . وضربت

---

(١) البيروني: أبو الريحان (توفى ١١٤٠م)، مؤرخ ورياضي من علماء الإسلام المشهورين، فارسي الأصل. المنجد، ص١٥٩.

(٢) تاريخ الأدب في إيران ج ١ ص ٢٣١ .

(٣) ماكان كالي: من الديلم، أول من غلب على الري، كان قائداً. المنتظم في أخبار الملوك والأمم، لابن الجوزي، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، ١٣٥٨هـ، جص٢٦٣.

(٤) مرداويج بن زيار: هو مؤسس الدولة الزيارية بطبرستان (٣١٦ – ٤٧٠هـ)، استقل في قزوين وبلاد الري وجرجان والجبال، اغتاله قواده الأتراك سنة ٣٢٣هـ. المنجد، ج١٣، ص٢٨٢.

(٥) الخليفة الراضي بالله أبو العباس، محمد بن المقتدر بن المعتضد، ولد سنة ٢٩٧هـ، حكم ما بين (٣٢٢هـ – ٣٢٩هـ). تاريخ الخلفاء، ص٢٨٩.

(٦) الحسن بن بويه (ت٣٦٥هـ)، من أسرة فارسية، آلت إليه ولاية فارس بعد وفاة أخيه سنة ٣٣٣هـ. تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص٢٣٣ – ٢٣٤.

(٧) أحمد بن بويه: (ت٣٥٦هـ)، كان يلي شئون بغداد والعراق والأهواز وكرمان. تاريخ الأدب العربي، ج٥، ص٢٣٥ – ٢٣٦.

ألقابهم على السكة . وفكر معز الدولة حين دخوله بغداد في إزالة الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية ولكنه عدل عن ذلك[١]. فقد أكد براون أنهم كانوا كانوا شيعة[٢]فليس مستغربا من معز الدولة هذه الفكرة ، بل أرغموا السنة على المشاركة في أعياد الشيعة .

عمل بنو بويه على إضعاف الإمارات حولهم وبالأخص الحمدانيين والبريديين[٣]. وهكذا تربع معز الدولة على دست الحكم في بغداد اثنتين وعشرين سنة (٣٣٤ – ٣٥٦) استأثر فيها بالسلطة دون الخليفة . ثم مات وخلفه ابنه بختيار[٤] فاضطرب في يده أمر الدولة حتى حل محله ابن عمه عضد الدولة ، فدان له سائر أمراء بنى بويه . توفى في عام ٣٧٢ هـ فخلفه ابنه صمام الدولة ، فخلعه أخوه شرف الدولة ، ثم خلفه أخوه أبو نصر بهاء الدولة، الذي توفى بعد أن حكم أربعة وعشرين عاما فخلفه ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فخرج عليه أخوه أبو الفوارس فامتلك شيراز سنة ٤٠٧ هجرية، فأخرج منها فلجا إلى محمود بن سبكتكين[٥] صاحب غزنة . وبدا يضعف حكم بنى بويه منذ تولى سلطان الدولة ، فتغلب عليه أخوه شرف الدولة ، وأصبحت تتقسم بين أيديهم المناطق ، ويتدخل الأتراك في تولية سلاطين بنى بويه ،

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٤٣ وما يليها .

(٢) انظر تاريخ الأدب في إيران ج ١ ص ٢٣١ .

(٣) البريديون: كان أبوهم صاحب البريد في البصرة، لعبوا دوراً خطيراً على أيام المقتدر وخلفائه، خرجوا من البصرة عام ٣٣٣هـ. المنجد، ص١٢٦.

(٤) بختيار: هو بختيار بن علي بن بويه (ت٣٦٧هـ)، خلف والده سنة ٣٥٦هـ على بغداد والعراق وكرمان. تاريخ الأدب العربي، ضيف، ج٥، ص٢٣٣.

(٥) محمود بن سبكتكين: ستأتي ترجمته ص ( ).

حتى دخل طغرلبك[١] بغداد ، وأزال حكم آل بويه ، وكان آخر ملوكهم الملك الرحيم[٢]

كان البويهيون في مجال ترويج الأدب والعلم وحماية العلماء ، يتميزون بالسخاء والكرم وقد وجدت الفلسفة على الأخص في ظلهم روحا جديدة ، بعد أن تعرضت للاختناق أثر تفوق الأتراك وتعصب الحنابلة وازدياد قوة عقائد الأشاعرة واتساع محيط انتشارها[٣]وكان لسياستهم الداخلية أثر سيىء في العراق . فقد قامت الفتن الطائفية ، وثار الجند وانتشرت الفوضى ، وساد الفزع قلوب الآهلين .

الدولة السامانية :

ينسبون إلى بهرام جوبين[٤]. أسلم جدهم سامان ، في خلافة هشام بن عبد الملك[٥]، وكان من أصحاب أبي مسلم الخرساني[٦]وقد نال السامانيون حظوة كبيرة عند الخليفة المأمون ، فولاهم بلاد ما وراء النهر . وفى عهد إسماعيل بن أحمد الساماني ظهرت الدولة السامانية بمظهر القوة ، وقامت بدور خطير في إزالة الدولة الصفارية [٧]. فقد هزم جيوش الدولة الصفارية ،

---

(١) طغرلبك: (تــ٤٥٥)، وهو أول ملوك الدولة السلجوقية العظام، أول من دخل بغداد وقضى علــى الدولة البوهية، تاريخ الأدب العربي، ضيف، ج٥، ص٢٣٦.

(٢) انظر تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ من ص ٤٣ حتى ٧٠ .

(٣) انظر تاريخ الأدب في إيران ج ٣ ص ٢٣١ .

(٤) بهرام جوبين: قائد فارسي، ثار على هرمز وقتله ٥٩٠ – ٥٩١م. المنجد، ص١٤٠.

(٥) هشام بن عبد الملك أبو الوليد (٧١ ــ١٢٥) الخليفة الأموي ، خلف يزيد الثاني ، في عهده بلغت الإمبراطورية الإسلامية أقصى اتساعها . تاريخ الخلفاء: للسيوطي ص ١٩٧ .

(٦) انظر تاريخ الأدب العربي : شوقي ضيف ، ج ٥ ص ٤٨٢ . وأبو مسلم الخرساني هو ابــراهيم بن اسحق ينتسب إلى بزرجمر أتصل بإبراهيم الإمام وقاد الثورة العباسية من خراســان . تــاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ١٨ .

(٧) انظر تاريخ الإسلام السياسي : ج ٣ ص٨٠ .

ثم استولى على طبرستان وبذا توسعت الدولة السامانية توسعاً كبيراً ، حتى أنهم كانوا يقيمون في بخارى، ويقيم قائد جيشهم في نيسابور . كما سجلوا انتصاراتٍ كثيرةٍ على الترك ، ونظم السلطان إسماعيل علاقاته مع الخلافة العباسية ، ولم يكن يؤدى لها ضرائب ، بل هدايا ، ومنحه الخليفة العباسي حق ذكر اسمه معه في المنابر ، ونقشه في الدنانير مما يعنى استقلالهم السياسي عن الخلافة[١].

وقد وصف ابن الأثير السلطان إسماعيل بن أحمد الساماني فقال : ((إنه كان خيِّرا يحب أهل العلم والدين ، ويكرمهم وببركتهم دام ملكه وملك أولاده وطالت أيامهم))[٢] وقد أشار براون لتقدم نفوذ السامانيين على حساب الصفاريين فقال : ((لقد كانت قوة السامانيين وسلطتهم تسير جنبا إلى جنب مع سقوط يعقوب ، وعمرو بن الليث الصفار اللذين حكما مدة قصيرة)) [٣]، بل ذهب أكثر من ذلك ، حيث اعتبرهم بداية النشاط الحقيقي لتجديد حياة إيران[٤]وقد خلف إسماعيل بعد وفاته ابنه احمد فاستولى على سجستان ، وولى بعده ابنه نصر فاقتطع منه مرداويج الزياري طبرستان ، وتنازل لابنه نوح (٣٣٢- ٣٤٣) وهذا أول سلاطين عصر الدول والإمارات كما يسميه ضيف .

وفى عهده اقتطع البويهيون كرمان . وامتاز هؤلاء السلاطين بنشر العدل والأمن والاستقرار في ربوع بلادهم . وولى منصور ، وخلفه ابنه نوح الثاني (٣٦٦- ٣٨٧) وكان صغيرا فأخذ حكمهم يضعف[٥].

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي : ضيف ج ٥ ص ٤٨٢- ٤٨٣ .

(٢) الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، تحقيق عبد الله القاضي ، بيروت دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤١٥ ج٦ ص٢٥٥

(٣) تاريخ الأدب في إيران: براون ج ١ ص ٢١٦ .

(٤) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ضيف ج ٥ ص ٢٨٤ .

في عهد نوح بن منصور تعرضت الدولة السامانية إلـــى الزوال ففي عام ٣٨٣ ثار عليه اثنان من أكبر قوادهم هما أبو الحسن بن سيمجور[١] وفائق الخاصة ، واتصلا ببغرخان[٢] التركي ، وتمكن بغراخان في هذه السنة من الانتصار على جيوش نوح بن منصور ، والاستيلاء على بخارى ، إلا أن نوحاً سرعان ما استرد بخارى أثر موت بغراخان وثورة أهـــالي بخـــارى عليه[٣] واستعان نوح بن منصور سنة ٣٨٤ بسبكتكين صاحب غزنة علـــى الأمراء والثائرين عليه ، وانتصر عليهم ، واستعاد نيسابور . فجعل محمود بن سبكتكين على نيسابور ، ولقبه بسيف الدولة ، ولقب أباه ناصر الدولة ، وعاد إلى هراه ، أما نوح فعاد إلى بخارى[٤] .

توفى نوح سنة ٣٨٧هـــ، واضطربت الأمور بعد وفاته بـــين ابنيـــه : منصور وعبد الملك ، وعلت كفة عبد الملك ، إلا أن أيامه لم تطل ؛ بســـبب كبوة جواده الذي قضى فيه[٥].

تولى منصور الأمر بعده ، إلا أن الملك أيلك بغراخان قام بالاستيلاء على سمرقند . واستولى فائق الخاصة على بخارى ، ثم دب صراع بين الأمير محمود الغزنوي ، والأمير منصور بن نوح بسبب طلبه إعادة خراسان إليه ، ورفض منصور ذلك . ثم قبض فائق الخاصة وبكتوزون على الأمير منصور ، وسملا عينيه ، ووليا أخاه الصغير فقام الأمير محمود الغزنوي

---

(١) الحسن بن سيمجور: كان قائداً وصاحب الجيش في الدولة السامانية. الأعلام، للزركلي، ص٥٤٧.

(٢) ببغرخان: (تــ٩٩٢م)، حفيد ستوق بغرخان، اتخذ بلاساقون عاصمة له. احتل بخارى وتوفى فـــي طريقه إلى قشغر. المنجد، ص١٣١.

(٣) انظر الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٤٦٢ ــ ٤٦٣

(٤) انظر المصدر السابق ج ٩ ص ٤٨ .

(٥) المصدر السابق ج ٩ ص٩٦ .

بالاستيلاء على نيسابور وبخارى ، واستقر ملكه بخراسان ، وأزال نفوذ السامانيين عنها ، وخطب فيها للخليفة القادر بالله[1] .

وهكذا زالت دولة السامانيين على أيدي الغزنويين بعد حكم دام حوالي مائة خمسة وعشرون عاما . وعن حكمهم يقول المقدسي[2]: ((أنهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله . فقد كان من رسومهم مثلا أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم ــ ويذكر المقدسي أن ــ من أمثال الناس آنذاك قولهم : لو أن شجرة خرجت على آل سامان ليبست)) [3]. وقد شجعوا الأدب خاصة الأدب الفارسي فأخذ الفرس يؤلفون بلغتهم ودبَّت الروح الفارسية في الأدب ومن الأمثلة كتاب الشاهنشاه للفردوسي[4] ومختصر الطبري للبلعمي[5]، أما الطب والفلك فقد ألف فيه الفرس بالعربية بدلا من الفارسية[6]وقد رفع آدم متز من شأن السامانيين على حساب البريديين والحمدانيين في سيرة حكمهم، مبررا حكمه بأن السامانيين أشبه بالآباء على رعاياهم وقد كانت داخل بلادهم ولايات مستقلة مثل سجستان التي حكمها بنو الصفار وذلك لسعة ملكهم[7]

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٨٧ .

(٢) المقدسي: سائح جغرافي، ألف كتابه المهم (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ونال استحساناً كبيراً لدى عدد من المستشرقين ذوي المكانة العالية، المنجد، ص٢٧٧.

(٣) الحضارة الإسلامية لآدم ج ١ ص ٣٨ .

(٤) الفردوسي: (٩٣٢ – ١٠٢٠م): من أكبر شعراء الفرس، له الشاهنشاه كتاب الملوك، ملحمة من نحو ستين ألف بيت. المنجد، ص٤٠٩.

(٥) البلعمي: (تــ٩٤٠م) هو أبو الفضل محمد، وزير من الوزراء البلغاء، استوزره إسماعيل بن أحمد الساماني، اشتهر بترجمة تاريخ الطبري إلى الفارسية. المنجد، ص١٣٤.

(٦) انظر تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٨٨ –٨٩ .

(٧) انظر الحضارة الإسلامية آدم متز ص ٣٧ .

الدولة الغزنوية :

نشأت في ظل الدولة السامانية ، حيث كان ألبكتين من الموالى الأتراك، وكان ذا منزلة عند السامانيين ، فعينه عبد الملك بن نوح الساماني عاملا على هراه، ثم ولى غزنة سنة ٣٥٢هـ، وولى ابنه إسحاق بعده غزنة وبعد وفاته حكم غزنة بلكاتين ثم سبكتكين وكانا من مواليه . وسار سبكتكين في الناس سيرة حسنه ، ومد دولته حيث جعل بيشاور حاضرته واستولى على خراسان(١).

في عام (٣٦٦- ٣٦٩) استولى على قصدار ، وبست ؛ وذلك أن صاحب بست كان قد استعان به على الثوار الذين استولوا على بلاده ، ولكنه لم يف بتعهداته له ، وماطله ، فأحل به سبكتكين الهزيمة . واستولى على بست، ثم صار إلى بلاد الهند فاستولى على جبالها حتى كابول الحالية وعاد ظافرا.

خاف جيبال أحد ملوك الهند من تمدد سبكتكين حتى أطراف بلاده ، فنشبت الحرب بينهما ، وانتهت بظفر سبكتكين ، وتمدد في مساحات واسعة من أرض الهند ، حتى إذا كان عام ٣٩٦هـ أنزل سبكتكين هزيمة نكراء بجيبال، فصالحه جيبال على جزية يؤديها لسبكتكين ، ولكنه لم يف . فسار سبكتكين إليه وخرب بلاده ، وفتح لمغان ، وهدم الأصنام ، وأدخل الإسلام ، وعاد إلى غزنة . سار إليه جيبال ثانية في مائة ألف فهزمه سبكتكين ، وغنم أموالهم ، وكان من أثر انتصار سبكتكين في هذه الموقعة أن دخل في طاعته الأفغان والخليج(٢).

كان سبكتكين مستقلا عمليا عن السامانيين ، وأكثر نفوذا منهم ، ولكنه كان يعترف لهم بالسيادة ويفتح البلدان باسمهم . ففي عام ٣٨٤ انتدبه نوح بن نصر الساماني لحرب أبي على بن سيمجور ، وفائق الخاصة اللذين شقا عصا

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٩٢ .

(٢) انظر التأريخ اليميني لأبي نصر العتبى ، طبعة مصر ، بدون تاريخ ج ١ ص ٥٨ – ٧٦ .

الطاعة عليه . وانتصر عليهما سبكتكين ، وابنه محمود ، واستوليا على نيسابور حيث ولّاها نوح لمحمود بن سبكتكين[1].

مات سبكتكين سنة ٣٨٧ هـ ، بعد حكم دام عشرين سنة أسس فيها الإمبراطورية الغزنوية قال ابن الأثير:((كان سبكتكين عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء))[2] وقد رثاه البستي قائلاً:

قلْتُ إذْ ماتَ ناصِرُ الدِّينِ والدُّنـ * يـا وَحيّاهُ رَبُّـهُ بالكَرامَـهْ**

وتداعَتْ جُموعُـهُ بافـتِراقٍ * هَكـذا هَكـذا تقـومُ القِيامَـهْ[3]**

أتى عهد السلطان محمود بن سبكتكين بعد أخيه إسماعيل الذي لم يجلس كثيرا على العرش بل قبض عليه محمود وجلس مكانه . وعن السلطان محمود بن سبكتكين يقول براون :((وبظهور تركي آخر فجأة على مسرح الأحداث ، تنتهي هذه الفترة تقريبا ونعنى به السلطان محمود الغزنوي الذي أبدى قوة لا حد لها . فقد بدأ محمود سلطنته في إقليم صغير كان قد ورثة عن أبيه سبكتكين ، وأسقط الأسرة السامانية المزعزعة ، وحارب الهند اثنتي عشرة مرة، وجعل هذه البلاد مسرحا لكره وفره وهجماته . وقد قتل محمود من عبدة الأوثان عددا يفوق الحصر ، وخرب العديد من معابد الأوثان ، وأدخل البنجاب في دائرة حكمه إلى الأبد ، وسخر بلاد الغور عام ٤٠٣هـ كما وجه هذا السلطان ضربة إلى آل بويه ، واستخلص أصفهان من قبضتهم))[4] ويضيف براون قائلا: ((إن إيران قد خرجت أكثر من قبل ،عن سلطة

---

(١) أنظر الكامل في التاريخ ج٧ ص ٤٦٦ ــ ٤٦٧

(٢) الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٤٨٨ .

(٣) ديوان البستي ص ١٦٧ .

(٤) تاريخ الأدب في إيران ادوارد براون ج ١ ص ٢٤٦ .

الخليفة، وسيطرته المباشرة ، وإنها باتت متقاسمة بين عدة أسر إيرانية أصيلة مستنيرة الفكر ، ونعنى بها الأسرة السامانية والأسرة البويهية والأسرة الزيارية ، ونرى أن إيران قد خلقت في هذا العصر من جديد بحريتها وفق هواها أدبا رائعا)) [١].

أراد محمود وراثة ملك السامانيين . ووجد الفرصة حينما انتزع منصور بن نوح نيسابور وإمرة جيش خراسان منه ، فحقد عليه . فلما تآمر بكتوزون[٢] وفائق الخاصة على منصور بن نوح وقبضا عليه وسملا عينيه ووليا أخاه الأصغر ؛ هاجم محمود جيوش السامانيين في مرو سنة ٣٨٩هـ، فهرب عبد الملك بن نوح إلى ما وراء النهر ، وصفت لمحمود خراسان ، وعين أخاه نصرا على جيوشها وخطب للخليفة القادر . وبذلك زالت الدولة السامانية من خراسان على يد محمود الغزنوي ، ومن بلاد ما وراء النهر على يد بغرخان[٣] ثم استولى على سجستان عام ٣٩٣هـ[٤]، وفى سنة ٤٠١هـ حارب الغور فأخضعهم لسلطانه وأدخلهم الإسلام ، ثم أزال سلطان البويهيين في الري وبلاد الجبل ودخلها عام ٤٢٠هـ، وصلب عددا كبيراً من الباطنية ونفى المعتزلة إلى خراسان وأحرق كتب الفلسفة والنجوم[٥].

كان محمود يغزو الهند كل عام ، وفى عام ٣٩٢هـ غزا محمود شمال الهند وانتصر على جيبال وأسره وأسر معه أكثر من خمسمائة ألف[٦]، وانتصر على أنندبال بن جيبال ، وضمّ بلاده .

---

(١) تاريخ الأدب في إيران، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢) بكتوزون: لم أقف له على ترجمة.

(٣) انظر الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤ ــ ٦ .

(٤) المصدر السابق ج٨ ص ٢٢ .

(٥) انظر المصدر السابق، ج ٨ ص ٦٣ .

(٦) انظر المصدر السابق ج ٨ ص٢٠ .

عقد ملوك الهند حلفاً لمقاومة محمود والدفاع عن دينهم ، فقاتلهم محمود وانتصر عليهم ، فدان له ملوك الهند ، ودفعوا إليه الجزية ثم استولى على نادرين عام ٤٠٤هـ وضم خوارزم سنة ٤٠٧هـ ثم أخضع بلاد قشير وبولند وكلجند ودمر أصنامهم ، وفتح كونج على نهر الجنج ، وقلعة البراهمة ، وأسر ، وشرد مئات الآلاف . وهكذا يسير محمود من نصر إلى نصر حتى توج انتصاراته باسترداد نادرين ، وهدم صنم سومنان كبير أصنامهم[١] قال عنه ابن خلكان : ((وقد بلغ محمود الغزنوي في فتوحاته إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية ، ولم تنل به قط سورة ولا آية ، فقد دحض عنها أجناس الشرك ، وبنى بها مساجد ،وجوامع)) [٢].

هنا أتوقف عن الاستزادة لأن مجال البحث الزماني يتوقف عند هذا الحد.

المطلب الثاني :الحالة الاجتماعية والاقتصادية

عاش البستي في فترة ضجت بالاضطرابات السياسية والفتن . وكان خلف تلك الاضطرابات يقف الجشع دائما من قبل الأمراء . فكل أمير يريد أن تتسع إمارته . يلجأ إلى الحرب ، وكل عامل يريد أن يستقل بمدينته ، يلجأ إلى الحيل والفتن .

كان الشعب بمجمله يتكون من العرب والفرس والمغاربة والترك الذين ارتقت منزلتهم في زمن المعتصم ، وكان هنالك الفراعنة والأكراد والديلم . وقد رفع بنو بويه من شان الديلم لما قامت دولتهم لأنهم منهم .

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٩١ ــ ٩٧ .

(٢) وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، لبنان دار الثقافة ، بدون تاريخ ، ج ٥ ص١٧٨ .

وكان الشعب متفككا إلى شعب وطوائف أعظمها السنة والشيعة . وكان للسنة فسحة وحرية لاعتبار الخلافة فيهم . ولكن الشيعة انتعشوا في عهد بني بويه ، وأقاموا مناحاتهم واحتفالاتهم الخاصة جهرة . ولا ننسى اختلاف السنة فيما بينهم خاصة المذهب الحنبلي المتشدد[١].

وكان المجتمع يتكون من ثلاث طبقات : عليا تتضمن الأمراء والحكام والوزراء والولاة على البلدان والقادة وكبار رجال الدولة والأقطاعين . وطبقة وسطى تتضمن : موظفي الدواوين وأوساط التجار والصناع ورجال الحسبة والقضاء. وطبقة دنيا تتضمن : العامة من أصحاب الحرف والفلاحين والخدم والرقيق الذين أدت كثرتهم إلى قيام ثورة الزنج ، التي امتدت أربعة عشر عاما كاملة ، مما كانوا يعانونه من سوء الأوضاع . ويدخل أهل الذمة في الطبقتين الوسطى والدنيا . كانت الطبقة الأولى منعمة مترفة ترفا واسعا ، ويقف في أعلى درجاتها الأمراء والحكام ، وكانت تتعدد مصادر أموالهم . فقد كانوا يجمعون الضرائب من الناس . وهنالك نظام الزكاة أيضا . وكان لهم دواوين للخراج في كل مدينة حيث كانت احتياجات الجند تؤخذ منها ، ويحمل ما تبقى إلى بيت المال في حاضرة الدولة ، وهنالك ينفقه الأمير على الجيش وحاجيات الإمارة ، وما تبقى منه يصبح رهن حياة الأمير المترفة في القصر . فقد كانت كثرة الحروب تورد على الأمير المنتصر أمولا طائلة . وكان يتبع الإمارة عدد من الضياع يعود ريعها إلى الأمير ، وكانت تكثر مصادرة الأموال ، فقد ذكر ابن الأثير أن الأمير محموداً الغزنوي قبض على وزيره أبى القاسم أحمد بن الحسن الميمندي طمعا في ماله ، وأخذ منه لما قبض عليه مالا ، وأغراضا بقيمة خمسة آلاف درهم ــ وذكر أيضا ــ أنه بلغه أن إنسانا بنيسابور كثير المال عظيم الغنى ، فأحضره إلى غرفة وقال له : بلغنا أنك قرمطي . فقال : لست بقرمطي ، ولى مال يؤخذ منه ما يراد ، وأعفى من هذا الاسم ، فأخذ

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج٣ من ص ٤٣٠ إلى ٤٣٤ .

منه مالا ، وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده [1]. وكانت الأموال في خزائن الأمراء تكال كيلا ، قال ابن تغري بردي عن فخر الدولة البويهي صاحب همذان: ((وخلف ألفي ألف وثمانمائة ألف وخمسة وسبعين ألفا ومائتين وأربعة وثمانين دينار ومن الورق والنقرة والفضة مائة ألف ألف وثمانمائة ألف وستين ألفا وسبعمائة وتسعين درهما ومن الجواهر واليواقيت الحمر والصفر والحلي واللؤلؤ والبلخش والماس وغيره أربعة عشر ألفا وخمسمائة وعشرين قطعة قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ومن أواني الذهب ما وزنه ثلاثة آلاف ألف دينار ومن البلور والصيني ونحوه ثلاثة آلاف ومن السلاح والثياب والفرش ثلاثة آلاف حمل وقيل إنه خلف من الخيل والبغال والجمال ثلاثين ألف رأس ومن الغلمان والمماليك خمسة آلاف ومن السراري خمسمائة ومن الخيام عشرة آلاف خيمة وكان شحيحا)) [2]. وبلغوا مبلغا من الترف والبذخ، جعلهم يبنون القصور بغرف على عدد أيام السنة ، قال المقدسي: ((بنى عضد الدولة بشيراز دارا لم أر في شرق ولا غرب مثلها ، ما دخلها عامي إلا افتتن بها ، ولا عارف إلا استدل بها على نعمة الجنة وطيبها . شق فيها الأنهار ، ونصب عليها القباب ، وأحاطها بالبساتين والأشجار ، وحفر فيها الحياض ، وجمع فيها المرافق والعدد ، وسمعت رئيس الفراشين يقول: فيها ثلاثمائة وستون حجرة ، كان مجلسه في كل واحدة إلى الحول ، وطفت فيها ورأيت الأنهار تطرد في البيوت والأروقة ، وأظنها بناها على ما سمع من أخبار الجنة ، وبان بونا بعيدا وضل ضلالا مبينا)) [3].

وعلى هذه الشاكلة كان كل الأمراء البويهيين والسامانيين ، والزياريين . فالأمير يعد دائما الإمارة ضيعته . ولكن الأمير محموداً الغزنوي أحرز في جمع

---

(١) انظر الكامل في التاريخ ج ٨ ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

(٢) النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ، مصر وزارة الثقافة ، بدون تاريخ ج ٤ ص١٩٧ ــ ١٩٨.

(٣) أحسن التقاسيم : المقدسي ، تحقيق غازي طليمات دمشق وزارة الثقافة ١٩٨٠ ص ٤٤٩ .

المال ما لم يحرزه غيره ، وذلك بفضل ما غنمه من غزواته في الهند[1]، وكان الوزراء والولاة مثل الأمراء في البذخ وبناء القصور روى الثعالبي أن أبا جعفر والى سجستان تأنق في قصره وكان مكتوبا في صدر إيوانه[2]:

مَنْ سَرَّه أنْ يَرَى الفِردوسَ عَاجِلةً * فَلْينظر اليومَ في بنيان إيواني**

أو سرَّه أن يَرى رضوانَ عن كثبٍ * بملءِ عينيه فلينظر إلى الباني**

وكان كبار الموظفين في الدواوين وغيرها يعيشون عيشة مترفة ، خاصة الكتاب وكبار القضاة . وكان للقواد مكانة كبيرة . ويلحق بهذه الطبقة الإقطاعيون حيث كان النظام الإقطاعي معروفا في إيران قبل الإسلام .

كما عرف نظام الضامن وهو أن يضمن شخص خراج الضياع أو القرى أو الولايات فيؤدى الضامن المال للوالي ، ويأخذ لنفسه أضعافا ، وغالبا ما يكون هؤلاء الضامنون أصحاب الخراج أنفسهم [3].

وتتألف الطبقة الوسطى من القضاة والفقهاء وعلماء العربية وعمال الحسبة والبريد والصناع وأوساط التجار والشعراء المغدق عليهم ، والمغنين[4].

ثم تأتي الرعية وهى تعمل في الصناعات والتجارات الصغيرة وفى خدمة أرباب القصور ، وكانوا لا يجدون ما يسدون به الرمق .

وهناك وراء تلك الطبقات أهل الذمة ، ولم تكن الحكومات تتدخل في شعائرهم . وكان المجوس كثيرين في إيران ، ولهم ولأهل الذمة محاكمهم الخاصة . وكانوا يدفعون الجزية ، ولا يدفعها إلا القادر على حمل السلاح ،

---

(١) تاريخ الأدب العربي ضيف ج ٥ ص ٥٠٢ .

(٢) يتيمة الدهر: أبو منصور الثعالبي . تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م ، ٣ / ١٩١ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ضيف ج ٥ ص ٥٠٤ – ٥٠٥ .

(٤) المصدر السابق نفس الصفحة .

وأبواب العمل لهم مشرعة خاصة الطب ، وكان لعلي بن بويه كاتبٌ نصرانيٌ[١]، أما اليهود فعملوا في أخس الأعمال .

كان أصحاب الطبقة العليا والوسطى يتفننون في الملابس والأطعمة والعطور . ويكثر السمر والشرب والغناء عندهم بعد الوجبات ، وكان يشترك في مجالس الشرب الأمراء والقضاة ، وفي أيام الأعياد يكثر المجون خاصة أعياد المسيحيين والمجوس وأهمها عيد النيروز في أول الربيع وعيد المهرجان في السادس والعشرين من أكتوبر قال ضيف : ((كان السلطان يجلس لها صباحا للمعايدة ويجتمع أعيان الدولة والأمراء ومجلس الندماء ويبادرون إلى اللهو ، وتدور أقداح الشراب ، وتعزف آلات الطرب ، ويأخذ المغنون في الغناء))[٢] ويكثر الطراد عندهم حيث يخرجون له زرافات ووحدانا ، وكان من أحب هواياتهم لعب النرد ، ولعب الصولجان والكرة .

المطلب الثالث الأحوال الثقافية :

يقول آدم متز : ((بينما كان العلماء في القرن الثالث الهجري يلمون بكل شيء ، ويكتبون فيه . فقد جنح علماء القرن الرابع إلى التخصص ، وصار لكل علم منهجه الخاص ، وتركوا حشد المعارف في كتاب واحد ، وأوجزوا في المقدمات)) [٣] وهذا قول واضح يدل على القفزة العالية التي ظهر بها القرن الرابع الهجري من حيث الثقافة والعلوم . فالتخصص في العلوم أدعى إلى الإتقان من الدراسة الأفقية . وقد كان للترجمة دور كبير في انتشار الثقافة الإسلامية خاصة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية إلى

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ضيف ج ٥ ص ٥٠٤ – ٥٠٥ .

(٢) المصدر السابق، ج ٥ ص ٥٠٧ .

(٣) الحضارة الإسلامية لآدم متز ص ٢٢٩ .

العربية . ونضجت ملكات المسلمين في البحث ، وشجع الخلفاء والسلاطين رجال العلم ، واتسع أفق المسلمين الفكري بفضل الارتحال . كما أن ظهور الفرق التي اتخذت من العلم وسيلة لبلوغ غايتها وبالأخص المعتزلة ، ساعد على رُقى الحياة الثقافية في ذلك العصر . وعلى الرغم من تفكك الدولة العباسية في القرن الرابع إلا أن قيام الدويلات وتنافسها الشديد فيما بينها، أدى إلى ازدهار الثقافة قال ابن خلدون في مقدمته : ((إن العلوم إنما تكثر بحيث يكثر العمران وتعظم الحضارة)) (١) وقد انتشرت مراكز الثقافة في تلك البلاد، وعددها صاحب تاريخ الإسلام السياسي في الآتي(٢):

١. أصبهان والرَّي حيث أقام الصاحب بن عباد(٣)، وكان بلاط ابن بويه كعبة يؤمها العلماء والأدباء .
٢. بلاط السامانيين في بخارى الذي أشار إليه الثعالبي في اليتيمة ووصفه بأنه مثابة المجد وكعبة الملك ومجمع أفراد الزمان وكانت مكتبة نصر بن نوح الساماني عديمة المثل(٤).
٣. بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان ، وكان شمس المعالي أديبا أطرا عليه الثعالبي في اليتيمة .
٤. بلاط خوارزم في خيوة .
٥. بلاط السلطان محمود الغزنوي في غزنة ، وقد تمتع بشهرة واسعة ، ونقل كثيرا من المؤلفات إلى غزنة .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر بدون تاريخ ص ٤٣٤ .
(٢) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٣٤٠ وما يليها .
(٣) هو إسماعيل بن أبي الحسن بن العباس (٣٢٦ ــ ٣٨٥) عالم باللغة وله عدة تصانيف . هدية العارفين ج ١ ص ٢٠٩ .
(٤) انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥٨ .

٦. بلاط الحمدانيين في الموصل وحلب حيث كان يحضره سيف الدولة ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ما اجتمع ببابه .

٧. بلاط الطولونيين والإخشيديين والفاطميين في مصر. وقد اشتهر الطولوينون بأن فيهم طوائف كبيرة من العلماء والمحدثين والمتصوفة والأدباء والشعراء والمؤرخين أمثال بكار بن قتيبة(١) وأبي الفيض ذي النون المصري(٢) والربيع بن سليمان(٣) تلميذ الشافعي(٤)(٥).

وقد أسس الخليفة الحاكم سنة ٣٩٥هـ دار الحكمة على مثال أكاديميات بغداد وقرطبة ، وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله في مكتبة من المكتبات(٦)، وقد كان طلاب العلم يجوبون البلاد سعيا إلى موارد العلم والعرفان ، ثم يصنفون المصنفات التي هي أشبه بدوائر المعارف، وقد قيل إن أبا القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الذي ولد بطبرية سنة ٣٦٠ اختلف إلى كثير من البلاد ثلاثا وثلاثين سنة ، سمع فيها من ألف شيخ ، كما أُثر عن القاضي عبد الله محمد بن أحمد مولى عبد الرحمن الناصر

---

(١) بكار بن قتيبة: الثقفي، القاضي، يرجع نسبه إلى الحارث بن كلدة الثقفي، كان حنفي المذهب تولى القضاء بمصر. توفى سنة ٢٧٠هـ. مرآة الجنان، عبد الله بن أسعد اليافعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ، ص١٣٢٩.

(٢) أبو الفيض ذوالنون المصري: اسمه ثوبان بن إبراهيم، كان إماماً زاهداً، روى عن الإمام مالك، وكان أبوه نوبياً، توفى سنة ٢٤٥هـ. النجوم الزاهرة، ص١٣٩٧.

(٣) الربيع بن سليمان: هو أبو محمد الربيع بن سليمان المرادي، المؤذن المصري، صاحب الشافعي، وهو آخر من روى عن الشافعي في مصر، توفى سنة ٢٧٠هـ. مرآة الجنان، ص١٠٢٩.

(٤) الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤هـ): محمد بن إدريس، إمام مؤسس أحد المذاهب السنية الأربعة، ولد في غزة، ونشأ في مكة، ولازم الإمام مالك بالمدينة وتوفى في مصر. له تصانيف كثيرة أشهرها كتاب الأم. المنجد، ص٣٢٧.

(٥) انظر تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٣٤٣ .

(٦) المصدر السابق ج ٣ ص ٣٤٤ .

الأندلسي أنه رحل من قرطبة وتنقل ببلاد الحجاز واليمن ومصر والشام وأخذ العلم عن مائتين وأربعين شيخا[١].

وانتشرت في القرن الرابع الهجري العلوم وعلى رأسها علم التفسير حيث أنه متعلق بالكتاب الشريف . وكان ذا اتجاهين: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي ، وكان على مدرسة المأثور الطبري والقرطبي . وللطبري تفسيرٌ يقع في ثلاثين مجلدا وهو من أوائل من اهتم في تفسير القران الكريم بالشعر القديم . وقد احتوى تفسيره علي جملة كبيرة من المعالجات اللغوية ؛ فاكتسب الطبري بذلك شهرة عظيمة . وأن ما قدمه في تفسيره القران من الناحية اللغوية ، يعد كنزا ثمينا في هذه الأبحاث ، كما أن ما في كتابه من الأبحاث النحوية ، والاختلافات بين المدرستين النحويتين يعد من أقدم المراجع لهذه المعرفة . أما مدرسة الرأي فمن أشهر مفسري المعتزلة فيها ابن الأصم وأبو مسلم الأصفهاني.

وفى علم الحديث اشتهر من أئمته في العصر العباسي الثاني الإمام أحمد بن حنبل وله المسند، وأخذ منه البخاري الذي فاق من سبقوه في التحري والنقل والتمييز بين الصحيح والضعيف ، وله الجامع الصحيح أصح الكتب بعد القرآن . وله شروط في صحة الحديث عرفت باسمه . وجاء بعده تلميذه مسلم وله المسند الصحيح ، ثم جاء أبو داؤود والترمذي وابن ماجة والنسائي . وظهر في الفقه أبو سليمان الظاهري الذي أنكر القياس ، ومحمد بن جرير الطبري قال ابن خلكان عنه : ((كان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحدا وكان ثقة في نقله . وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء المجتهدين))[٢] وهنالك أئمة مجتهدون آخرون ولكن وقف الاجتهاد على المذاهب الأربعة كما هو معروف .

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج٣ ص ٣٤٦ .

(٢) وفيات الأعيان ج ٤ص ١٩١ .

وظهر علم الكلام ، ويقصد به الأقوال التي تصاغ علـــى نمـــط منطقـــي أو جدلي في العقائد ثم أصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون مـــذهب أهـــل السنة والجماعة[١]. وفى علوم اللغة ارتقى علم النحو والمعاجم ، وكان علـــي بـــن حمزة الكسائي[٢] على رأس أئمة مدرسة الكوفة وأخذ عنه الفراء[٣]. ومـــن أئمـــة اللغة الصاحب بن عباد مؤلف كتاب المحيط . وأشهر علماء اللغة على الإطلاق في القرن الرابع إسماعيل بن حماد الجوهري[٤] صاحب (كتاب الصحاح) في اللغة[٥] وألف ابن جني[٦] كتاب الخصائص قال الثعالبي فيه: ((هو القطـــب فـــي لســـان العرب، واليه انتهت الرياسة والأدب)) [٧].

وحدث انقلاب في الشعر في القرن الرابع الهجري ، حيث هجر الشعراء الأساليب القديمة ، وجددوا في الشعر ، وابتدعوا المعاني الجديدة ، والصور الغريبة ، وأكثروا من الفلسفة في الشعر ، ودخل البديع بصورة لافتة وكان قبلاً عفو الخاطر، وظهرت أغراض شعرية جديدة مثل الزهد الذي يمثل قمته أبو العتاهية، وهو رد فعل للحال الاجتماعي السائد. ولعل انقلاب صورة الحياة في

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص٣٥٩ .

(٢) علي بن حمزة الكسائي (تـــ٨٠٥هـــ): أبو الحسن، نحوي، كوفي، أحد اتقراء السبعة، تعلم علـــى الرواسي وعلى الخليل، مؤدب الأمين والمأمون، ولدي الرشيد. المنجد، ص٤٦٣.

(٣) الفراء: أبو زكريا يحيى الدسليمي (٧٦١ – ٧٢٢م)، إمام لغوي، تلميذ الكسائي، ولد في الكوفـــة، وتوفى في طريق مكة. المنجد في اللغة، ص٤٠٦.

(٤) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، توفى ١٠٠٥م، لغوي، من أصحاب المعاجم، علّم فـــي نيسابور، أصيب بالسويداء، فرمى بنفسه من سطح بيته. له الصحاح وتاج اللغة. المنجد، ص٢٠٨.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي، ج٣ ص ٣٦٣ .

(٦) هو أبو الفتح عثمان بن جني إمام العربية الموصلي . صاحب التصانيف . كـــان أبـــوه مملوكـــا روميا . لزم أبا علي الفارسي حتى برع وصنف تخرج عليه الكبار . خدم عضد الدولـــة . وقـــرأ على المتنبي ديوانه وشرحه . له عدة تصانيف أشهرها الخصائص . ولد قبل الثلاثـــين وثلاثمائـــة وتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤١٣هـــ، ج ١٧ ص ١٧ إلى ١٩ .

(٧) اليتيمة ج ١ ص ٨٩ .

العصر العباسي وتعقدها ، ودخول الثقافات الأجنبية كان له أكبر الأثر في هذا التجديد ، وقد رق الشعر وعذب وتحاشى الشعراء فيه الألفاظ الحوشية. ولكن لا تزال بقايا من قيود الشعر القديم كالقوافي والأوزان موجودة وإن ابتدعت أوزان جديدة . ومن أشهر شعراء هذا العصر البحتري[١]وابن الرومي والمتنبي والمعري[٢]، ومن شعراء الفرس الذين نظموا بالعربية مهيار الديلمي[٣]، ومن شعراء الغزنويين الفردوسي والفروخي[٤][٥].

كما تقدم الطب كثيراً في العصر العباسي الثاني . ونبغ في عهد الواثق[٦] والمتوكل يحيى بن ماسويه[٧] وبختيوشع[٨]، ونبغ أيضا حنين بن

---

(١) الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن ينتهي إلى يعرب بن قحطان أبو عبادة الطائي البحتري ولد بمنبج سنة ست ومائتين وقيل سنة وتوفي سنة أربع وثمانين وهو ابن ثمانين سنة أو أكثر نشأ البحتري وتخرج بمنبج وخرج إلى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل وخلقا كثيرا من الأكابر ثم عاد إلى صار إلى أبي تمام بحمص فقال أنت أشعر من أنشدني وكتب إلى أهل معرة النعمان وشهد له بالحذق الوافي بالوفيات : الصفدي ١٤٢٠ ج٢٧/ص٢٧١

(٢) المعري: هو أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي، ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣ – ٤٢٩هـ، فقد بصره في طفولته، اعتزل الناس. الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٨٦م، ص٨٤٣.

(٣) مهيار الديلمي: هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي الشاعر، كان مجوسياً فأسلم، توفى سنة ٤٢٨هـ. وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٦٣.

(٤) الفروخي: أبو الحسن، توفى سنة ١٠٣٨م، شاعر إيراني مدح محمود الغزنوي، أصله من سجستان. المنجد، ص٤٠٩.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٣٧٦ .

(٦) الواثق: هو الواثق بالله، هارون أبو جعفر، وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة ١٩٦هـ، وولي الخلافة بعهد من أبيه سنة ٢٢٧ – ٢٣٢هـ. تاريخ الخلفاء، ص٢٥٧.

(٧) يحيى بن ماسويه: هو أبو زكريا يحيى بن ماسويه الحراني الطبيب، النصراني، خدم المأمون والمتوكل، كان حاذقاً في الطب، مات بسر من رأى سنة ٢٤٣هـ. له عدة تصانيف. هدية العارفين، ج٢، ص٥١٥. وفي اسمه يوحنا.

(٨) بختيوشع بن جبريل، توفى سنة ٨٧٠م، طبيب المتوكل، المنجد، ص١١٥.

إسحاق[١] الذي ترجم عن اليونانية كتاب إقليدس[٢].

كان الخلفاء يعتمدون كثيراً على التنجيم في تنفيذ سياساتهم ، وأنشأ الحاكم الفاطمي[٣] مرصدا بسفح جبل المقطم . ونبغ في التنجيم أبو معشر الفلكي[٤].

وفى التاريخ يعتبر كتاب الأمم والملوك للطبري من أمهات كتب التاريخ، ومن المؤرخين سعيد بن البطريق[٥] والمسعودي[٦] والصولي[٧]، ويعتبر كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) من أهم كتب التاريخ آنذاك. كما نشط النثر وأصبح لكل فن كتاب ، وغلبت الحياة العقلية ويعد الجاحظ[٨] أبا النثر

---

(١) حنين بن إسحق: طبيب نصراني من أهل الحيرة، عينه المأمون رئيساً لديوان الترجمة، فنقل من السيريانية إلى العربية بعض كتب إفلاطون، وأرسطو، وجالينو. المنجد، ص٤٢٠.

(٢) إقليدس: عالم رياضي يوناني، وضع مبادئ الهندسة المسطحة، عاش في القرن الثالث ق.م. المصدر السابق، ص٥٨.

(٣) الحاكم الفاطمي: هو الحاكم بأمر الله الفاطمي، وهو سادس الخلفاء الفاطميين (٣٨٦هـ – ٤١١هـ). المصدر السابق، ص٤٠٣.

(٤) أبو معشر الفلكي: هو جعفر البلخي (٧٨٨ – ٨٨٦م)، من كبار علماء النجوم في الإسلام، ولد في بلخ، وعاصر الكندي الفيلسوف في بغداد، له مؤلفات كثيرة منها المدخل الكبير. المنجد، ص٢٢.

(٥) سعيد بن البطريق (٨٧٧ – ٩٤٠م): هو أوطيخيوس بطريق الإسكندرية الملكي، (٩٣٣)، كان طبيباً ومؤرخاً، له تاريخ نظم الجوهر. المصدر السابق، ص٣٠١.

(٦) المسعودي:أبو الحسن علي، توفى ٣٤٦هـ،مؤرخ ورحالة،من أهل بغداد، من ذرية الصحابي ابن مسعود، أقام في مصر وتوفى فيها، اشتهر بتاريخه مروج الذهب ومعادن الجوهر. المصدر السابق،ص٥٣٢.

(٧) الصولي: أبو بكر، توفى ٩٤٦م، أديب وشاعر، وتقرب به إلى الخلفاء ونادم الراضي والمكتفي والقادر، له الأوراق في أخبار آل عباس وأشعارهم. المصدر السابق، ص٣٥٠.

(٨) عمر بن بحر الجاحظ صاحب التصانيف روى عنه أبو بكر بن أبي داود وقد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل قال المسعودي: توفي سنة خمس وخمسين وقيل سنة ست وخمسين مات الجاحظ بالبصرة ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتبا منه وروى الجاحظ عن حجاج الأعور وأبي يوسف القاضي وخلق كثير وروايته عنهم في أثناء كتابه في الحيوان – لسان الميزان ج ٤ ٣٥٥ .

العربي. ولابن إسحاق الصابي[1] حظ وافر في الكتابة . ومنهم الصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني[2] صاحب المقامات . وترجم الكندي[3] كثيراً من من كتب الفلسفة ، ولكن بعض الخلفاء حارب الفلسفة واتهم أهلها بالزندقة . وقد تكونت جماعة تدعى جماعة إخوان الصفاء ، وهي جماعة سرية تأثرت بالمدرسة الفيثاغورثية وأولوا القرآن تأويلا مجازيا ولهم رسائل بلغت إحدى وخمسين رسالة .

---

(١) الصابي: أبو إسحاق إبراهيم (٩٢٥ – ٩٩٤م) خدم بني بويه، اشتهر برسائله، (رسائل الصابي)، له ديوان شعر. المنجد، ص٣٤٢.

(٢) بديع الزمان: الهمذاني (٦٩٨ – ١٠٠٧هـ): ولد في همذان، وعاش في هراة، مدح الأمراء والوزراء، اشتهر بكتابيه الرسائل والمقامات، وعنه أخذ الحريري أسلوب مقاماته. المنجد، ص١١٦.

(٣) الكندي: هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح أبو يوسف الكندي الفيلسوف، كان واحد عصره في المنطق والهندسة والطب، معدود من فلاسفة الإسلام، له عدة مصنفات. الوافي بالوفيات، ج٢٨، ص٧٨.

المبحث الثاني
شخصية أبي الفتح البستي

لا ينبغي إعمال الأدوات النقدية في أي نص أدبي قبل أن تدرس شخصية صاحب النص ، فكل ما يكتبه الأديب أو الشاعر إنما هو انعكاس لشخصيته ، وتنفس لدخيلته وتعبير عن ذاته وما يعتور نفسه من آلام وأتراح ، ومباهج وأفراح ، وآمال وطموحات ، وقرت في صدره ، وتنفسها بقلمه . وأي محاولة لإغفال هذا الجانب يكون نتاجها عملاً نقدياً ناقصاً أو مشوها بل ربما جانبه الصواب كلية . عليه أنشأ الباحث مبحثاً في دراسة شخصية أبي الفتح البستي بمستوياته المختلفة .

المطلب الأول : مصادر ترجمته :

للبستي ذكر واسع في العديد من المراجع والكتب القديمة والحديثة، ولكن رغم كثرتها لم أجد فيها إلا سطوراً معادة مكررة ؛ ومرد ذلك اعتمادها على مصدرٍ واحد ، هو التأريخ اليميني لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفى سنة ٤٢٨ للهجرة . كان صديقا للبستي ، وزميلاً له في ديوان الإنشاء في الدولة الغزنوية .

وترجمة العتبي تذكر في اقتضاب صلة البستي بالدولة الغزنوية ، وذكر نفيه إلى بخارى ، وليس فيها ذكر لحياته ونشأته في هذا المصدر ، ولا تعليل لحادثة النفي التي لحقت به ، ولكنه أمر غير مستغرب ، فالتاريخ اليميني أُلف للسلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الغزنوي ، يسجل فيه المؤلف سيرته وانتصاراته ، عليه لم يكن من اللياقة خوض كاتبه في أمر أصدره السلطان في شأن البستي .

لكن رغماً من ذلك يعتبر التأريخ اليميني المصدر الرئيسي عن البستي[١]، وقد امتدح رغم ذلك العتبي البستي في تاريخه كثيراً .

كما ترجم للبستي أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٩ هجرية ، صاحب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر في سبع وثلاثين صفحة ، ولكن لا أكاد أجد فيها شيئاً يضاف إلى ترجمة العتبي ، سوى كلمات الثناء والإعجاب، ولكنه جمع قدراً كبيراً من شعره ، وقسمه على أبواب ترتيبها متداخل ، ويوجد في هذه الأبواب من أشعاره ما لا يوجد في ديوانه نفسه[٢].

كما جمع الثعالبي قسطاً وافراً من أقوال البستي التي صارت أمثالاً سائرة . وقد أورد الثعالبي في ترجمته هذه كتاباً له عن السلطان محمود إلى شمس المعالي ربما هو الباقي له من كتاباته ، ورسائله التي كان يكتبها للدولة الغزنوية[٣].

وفي القرن الخامس ، تحدث الحصري القيرواني المتوفى سنة ٤٥٣ هجرية عن البستي في كتابه زهر الآداب[٤]، وأورد جانباً كبيراً من شعره .

وفي القرن السادس ، قام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية، بترجمة للبستي في كتابه المنتظم[٥] ذكره في وفيات ٣٦٣ هجرية وهو سهو، وأورد بعض شعره مرتبا على حروف المعجم .

---

(١) التأريخ اليميني ج١ ص٦٧ –٧٢ .

(٢) أعني ديوانه القديم وقد قام لطفي الصقال ودرية الخطيب بتحقيق جديد للديوان جمعا فيه أكثر ماتناثر من شعر البستي في كتب الأدب وما جمعه محمد مرسي الخولي ، ويعد أكثر الدواوين التي جمعت أكثر شعر البستي وكان عمدتي في بحثي هذا ، وإن ندت عنه أبيات جئت ببعضها من كتب الأدب وقد أشرت لذلك في موضعه .

(٣) يتيمة الدهر ج٤ ص ٣٤٥ إلى ٣٨٢ .

(٤) زهر الآداب : الحصري القيرواني ، تحقيق يوسف علي طويل ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م ج١ ص ٢٥٣ و ٣٤١.

(٥) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، ج٧ ص٧٢.

وفي القرن السابع الهجري ، ذكره ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية في عرضه لمادة بست ، في معجم البلدان[١] وهي لا تعدو أكثر من إشارة .

وأورد له الصلاح الصفدي في القرن نفسه في كتابه الوافي في الوفيات[٢] جزءاً من أشعاره متفرقة في كتابه مع ترجمة خفيفة له .

وفي القرن الثامن ، ذكره الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، في إشارة مقتضبة في كتابه العبر في خبر من غبر[٣].

وفي القرن نفسه، ترجم له تاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١هـ، في كتابه طبقات الشافعية الكبرى[٤] الجديد فيها إشارته إلى مآخذ الفقهاء عليه في تحليله النبيذ كما سيرد في موضعه .

وفي القرن نفسه أيضا ، ترجم له ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ في كتابه البداية والنهاية[٥] مرتين ، في وفيات ٣٦٣هـ كما قال ابن الجوزي ، وفي وفيات سنة ٤٠١هـ وفقاً لليتيمة ، ووفيات الأعيان .

وفي القرن التاسع ، ترجم له ابن تغري بردي المتوفى سنة٨٧٤هـ في النجوم الزاهرة[٦] ترجمتين أيضا ووقع في نفس خلط ابن كثير في تاريخ وفاته ولعله نقل عنه .

---

(١) معجم البلدان: ياقوت الحموي ، بيروت دار الفكر ١٩٧٩ . ج١ ص٤١٥ .

(٢) الوافي بالوفيات ، ج ٢٢ ص١٠٥ .

(٣) العبر في خبر من غبر : الذهبي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت مطبعة حكومة الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٤ ج ٣ ص٧٨ .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ج٥ ص ٢٩٣ .

(٥) البداية والنهاية : ابن كثير ، حقيق أحمد عبد الوهاب فيتح ، القاهرة دار الحديث ، الطبعة السادسة ٢٠٠٢ ــ ١٤٢٣ هـ ج ١١ ص٢٩٧ و٣٧٠ .

(٦) النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٠٦ و٢٢٨ .

وفي القرن العاشر ، ذكره عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، المتوفى سنة ٩٦٣هـ في معاهد التنصيص[١] واستشهد بأبياته في الجناس .

وفي القرن الحادي عشر ، ترجم له ابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ هجرية ،في كتابه شذرات الذهب[٢].

وهناك ذكر له في كثير من كتب الأدب القديمة غير ما أثبته ، لكنها لا ترقى لأن تكون ترجمة ، بل هي إشارات عرضية ، لذا لم أثبتها ضمن المصادر الأصيلة وإن كنت قد استفدت منها في بحثي هذا.

وله ترجمات حديثة استفدت منها غاية الإفادة ، لكنها لا تعتبر مصادر لذا لم أثبتها هنا ، وإن أشرت إليها في ثنايا البحث . أهمها دراسة الدكتور محمد مرسي الخولي وهي من أقيم الدراسات .

كما له ترجمات قام بها المستشرقون منهم يوهان فك[٣] وهي ترجمة جيدة ، جمع فيها كل ما قيل عن الشاعر في المصادر القديمة . وبروكلمان[٤] وله ترجمة مختصرة ، فيها خطأ في تأريخ مولده . وإدوارد براون[٥] واستفدت منهم في بحثي .

والواقع أن كل هذه المصادر ، استقت مادتها من التأريخ اليميني للعتبي، والمادة عنه ضئيلة ، ولكن الفائدة الكبرى أنها أوردت أبياتاً لم ترد في الديوان، إلا أن الدكتور الخولي قد جمع هذه الأبيات في كتابه وضمها للديوان بحيث

---

(١) معاهد التنصيص : للعباسي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت عالم الكتب ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٧ م ج١ ص ٣٦١ .

(٢) شذرات الذهب : عبد الحي بن أحمد الحنبلي ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، دمشق دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤٠٦ ج٣ ص ١٥٩ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الحديثة الطبعة الثانية م ١ ص١٣٤٨ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية القديمة مادة بست .

(٥) تأريخ الأدب في إيران ج١ ص ٢٤١ .

أصبح شعر البستي كله مجموعاً بفضل الخولي الذي قام باستخراجه من ثنايا الكتب[1].

المطلب الثاني اسمه وكنيته ونسبه

هو أبو الفتح على بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي ، وهذا أطول نسب وجدته عند ابن خلكان[2] واختاره الزركلي في الأعلام[3]، وإسماعيل باشا في هدية العارفين[4]، واليان سركيس في معجم المطبوعات العربية [5] وصاحب الذريعة [6].

واضطرب اسم والده عند الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، في ما نقله عنه السمعاني ، أن اسم أبيه أحمد [7]، وعند الحموي فقال : ((ويقال ابن أحمد)) [8] وأيده صاحب تاريخ دمشق[9].

---

(١) كنت في بداية بحثي اعتمد على الديوان الذي جمعه الخولي للبستي لكني عثرت على ديوان البستي تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال كما أشرت في هوامش سابقة وهو أحوى من الخولي فجعلته عمدتي .

(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٧٨ .

(٣) الأعلام ج ٤ ص ٣٢٦ .

(٤) هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي ، ج ١ ص ٦٨٥ .

(٥) معجم المطبوعات العربية : أليان سركيس ، قم ، ١٤١٠ج ١ ص ٥٦٤ .

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة : أقا بزرك الطهراني، بيروت دار الأضواء الطبعة الثالثة ١٤٠٣، ج٩ ص ٤٦ .

(٧) الأنساب : للسمعاني ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارود ، بيروت دار الجنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٨،ج ٢ ص ٢٢٦ .

(٨) معجم البلدان: ياقوت ج ١ ص ٤١٥ .

(٩) تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي تحقيق محب الدين أبي سعد عمر بن غرامة العمري دار الفكر بيروت ج ٤٣ ص١٦١ .

ثم اختلف في اسم جده الحسين أيضا ، فقيل الحسن[١] ويكنى بأبي الفتح، ولا نجد خلافا في كنيته ، ولعل الفتح هذا هو ابنه فكني به على عادة العرب، ولكن لم أجد إشارة لهذا الابن في شعره وأخباره ، ولكن هذا لا يحمل إلى نفى وجود هذا الابن طالما لم تشخص قرينة تصرف هذه الكنية إلى شيء آخر .

البستي ، نسبة إلى بست بضم أوله وإسكان ثانيه وبالتاء المعجمة باثنتين، مدينة معلومة بسجستان[٢]، وكانت في القرن الرابع ثاني المدن الجليلة في سجستان وهو ما يدل عليه حالها السياسي وهو ما سأتحدث عنه في المبحث القادم . قال الفيروزابآدى : ((بست وادٍ بأرض أربل بسجستان))[٣]، وقال ياقوت : ((تقع بين سجستان وغزنة وهراة و أظنها من أعمال كابل ، فإن قياس ما نجده في أخبارها في الأخبار والفتوح كذا يقتضي)) [٤]، وهى تقع في أفغانستان الحالية قريبا من حدودها مع إيران .

لم يرد في المصادر شيء عن نسبه هل كان عربيا أم فارسيا أم أفغانيا أم من أرومة أخري . ولكن ورد في ديوانه بيتان يشيران إلى أصله العربي ، يقول[٥]:

أنـــا العبــد تَرفعُنــي نســبتي * إلى عَبدِ شــمسٍ قَريــعِ الزَّمــانِ**

وعَمِّــي شَــمسُ العُــلا هاشِــمٌ * وخالي مِنْ رَهْـطِ عبــدِ المَــدانِ**

---

(١) طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣ ص١٦١ .

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ، تحقيق مططفى السقا، بيروت عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ١٤٠٣ . ج ١ ٢٤٩ .

(٣) القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي بيروت دار الجيل مادة بست .

(٤) معجم البلدان : ج١ ص٤١٤

(٥) ديوان البستي ص ٢٠٤ .

يقول إن آباءه من عبد شمس ، وأعمامه من بنى هاشم ، وأخواله من بنى عبد المدان ، فهو عربي عريق النسب ، جمع المجد من أطرافه، ولكن الغريب أن المصادر سكتت عن هذا النسب الرفيع ، وخلت بقية أشعاره عن استطراد هذا النسب الشريف ، الذي أرى أنه كان ينبغي أن يلوكه في شعره ، فليس سوى هذين البيتين ما يشير إلى هذا النسب مما يدعو إلى الارتياب في هذا النسب .

ثم إن هنالك كثيراً من أصدقائه ومعاصريه تذكر أسماؤهم مع أسماء قبائلهم أمثال محمد بن حبان التميمي البستي من بنى تميم[١] وحمد بن محمد الخطابي البستي من ولد زيد بن الخطاب[٢] كما أن هنالك من أتى بعده مثل أبي الحسن على بن أبى القاسم الأنصاري الأوسي الخزيمي نسبة إلى خزيمة بن ثابت البستي ثم البيهقي[٣]. إذن فإن مسألة النسب حتى ذلك الزمان وما بعده ، كانت ذات عناية كبيرة لدى الناس ، فكيف يُغفل نسبه .

ولنعد إلى البيتين لماذا احترز أبو الفتح وقال في بدايتهما ـــ أنا العبد ـــ فمادام غرضه في سياق الفخر ، كان أولى أن يقول أنا الشريف، أو السيد ، ولكنه احترز ، وعلى ذلك نرجح أن أسرته كانت من موالي أسرة من سلالة عبد شمس ، وأعمامها من بنى هاشم ، وأخوالها من بنى عبد المدان ، وتناسى الناس ذلك النسب لتقادم العهد ، واحترز ـــ بأنا العبد ـــ كيلا ينبري له أحد العارفين بنسبه ، ويرد عليه فيُفهم البيتان السابقان بمعنيين هما ، أنه

---

(١) الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٧٨ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج١٧، ص٢٣. وزيد هو: زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن مناف القرشي العدوي، أبو عبد الرحمن، صحابي، شهد المشاهد، ثم كانت راية المسلمين في يده يوم اليمامة، توفى سنة ١٢هـ. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ج٣، ص٥٨.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ٢٠ ص ٥٨٥ .

من سلالة بني عبد شمس وأنا العبد هنا تواضعا وإيمانا بالله ، وأنه من موالي بني عبد شمس وأنا العبد هنا تعنى مولى . زد على ذلك إهمال مؤرخي عصره لتاريخ ميلاده ــ وقد عانيت في تحديده كثيراً كما سيأتي ــ مما يعني أن أسرته لم تكن من الأسر النابهة ، كما أن للبستي شعراً فارسياً مما يدل على تمكنه من الفارسية، وذلك غالباً ما يتأتى لمن له سبب بالفرس.

المطلب الثالث مولده ونشأته

لم يرد ذكر لسنة مولده في مصادر ترجمته لكن بروكلمان زعم أن ولادته كانت في عام ٣٦٠ هجرية[١]، وأخذ عنه هذا التاريخ فيما يبدو عمر كحالة وأثبته في معجمه[٢]، لأن هذا التاريخ لم يرو في المصادر القديمة وبروكلمان سابق لكحالة . وأنكر هذا التاريخ عبد الفتاح أبو غدة في شرحه لنونية البستي[٣]، ومحمد مرسى الخولي[٤]، والباحث يمضي معهما في هذا الإنكار لسلامة منطقهما فيه . فقد احتج أبو غدة في إنكاره لهذا التاريخ ، بأن البستي أخذ الحديث عن الحافظ أبي حاتم بن حبان البستي وهذا ثابت. وقد توفى ابن حبان سنة ٣٥٤، فكيف يأخذ عنه من ولد سنة ٣٦٠ . وقدر لمولده عام ٣٣٠، بحسبان أنه كان قد بلغ العشرين حين وفاة شيخه[٥]، ولم يخالف

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية ص ٢١١ .

(٢) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر رضا كحالة ، بيروت دار إحياء التراث العربي الناشر مكتبة المثنى ، بدون تاريخ ج ٧ ص ١٨٦ .

(٣) شرح قصيدة عنوان الحكم : عبد الفتاح أبو غدة ، حلب مكتبة المطبوعات الإسلامية الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ١٩٩٢ م ص ٧ .

(٤) أبو الفتح البستي حياته وشعره : محمد مرسي الخولي ، دار الأندلس للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٠ ص٤١ .

(٥) شرح قصيدة عنوان الحكم ص ٧ .

محمد مرسى الخولي أبا غدة في تاريخ مولد البستي وقال: ((نجتهد في ذكر مولده بلا تعيين فيما بين سنتي ٣٣٠ و٣٣٥))[١] مستندا في تحديد هذا التاريخ على نفس حجة أبي غدة ، وأضاف أن البستي كان كاتبا للباتيوز صاحب بست في عنفوان أمره ، وافتتحها ناصر الدين سبكتكين سنة ٣٦٥ فدُل عليه فاستحضره ، وعبارة في عنفوان أمره تدل على أنه كان شابا مكتملا يناهز الثلاثين أو الخامسة والثلاثين من عمره عام ٣٦٥ . وثمة شواهد شعرية أخرى توحي بهذا التاريخ قال أبو الفتح[٢]:

أرى المرءَ يرجو أن يطول بقــاؤُهُ * ليُدركَ ما يهــوَى بطــولِ بقائِــه**

وأيَّةُ جَدوى في البقاءِ وقدْ وهَتْ * قواه وأَقْــــوى قلبُهُ من ذكائِــهِ**

إذا ما نَبا حِسٌّ وكلَّــتْ بَصــيرةٌ * فطولُ بقاءِ المرء طــولُ شــقائهِ**

فلا فائدة عنده من الحياة بعد أن وهت قواه ، وكلت بصيرته ، وسرت الشيخوخة في أعضائه مما يعنى أنه قد هرم، والهرم يدخل بدخول الرجل الخامسة والستين من عمره وكانت وفاته سنة ٤٠٠ هـ فبعد طرح تاريخ وفاته من سن الهرم يتبقى هذا التاريخ عليه يمضي الباحث مع الرأي القائل أن مولده كان سنة ٣٣٠ أو ٣٣٥ .

المطلب الرابع : شيوخه وتلاميذه وأصدقاؤه :

جاء في الأنساب للسمعاني عن الحاكم أبي عبد الله الحافظ عن البستي في تاريخه : ((ذكر لي سماعه بتلك الديار من أصحاب علي بن عبد العزيز وأقرانه وأكثر عن أبي حاتم وأهل عصره))[٣] وعلي بن عبد العزيز هو

(١) أبو الفتح البستي حياتة وشعرة ص ٤١ .

(٢) ديوان البستي ص٢٣ .

(٣) الأنساب للسمعاني ج ١ ص ٣٤٨ .

الحافظ علي بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور أبو الحسن البغوي شيخ الحرم المتوفى سنة ٢٨٦هـ. وقد روى عن البغوي خلق كثير ، منهم ابن أخيه أبو القاسم البغوي ، وعلي بن محمد بن مهرويه الغزنوي ، وأبو على حامد بن محمد الرفاء ، وأبو الحسن بن سلمة القطان ، وعبد المؤمن بن خلف النسفي ، والطبراني وأمم سواهم(١)، هؤلاء هم كبار أصحاب علي بن عبد العزيز الذين أخذ عنهم البستي كما يقول النص دون تحديد . لكنه أكثر من ابن حبان قال الحاكم بعد أن روى عنه : ((حدثنا أنه سمع الكثير من ابن حبان))(٢)، وعليه يكون ابن حبان أهم شخصية علمية في حياة أبي الفتح يقول الزركلي : ((محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي ... مؤرخ ، علامة ، جغرافي ، محدث ، ولد في بست من بلاد سجستان ، وتنقل في الأقطار ، ورحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة . تولى قضاء سمرقند مدة ، ثم عاد إلى نيسابور ومنها إلى بلده بست ، وهو أحد المكثرين من التصانيف))(٣). وقال عنه ياقوت : ((أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ... وكانت الرحلة من خراسان إلى مصنفاته))(٤). من كتبه المسند الصحيح في الحديث و روضة العقلاء ــ مطبوعة ــ في الأدب ، والأنواع والتقاسيم ــ مخطوطة ــ في الأزهرية ، جمع فيها الكتب الستة محذوفة الأسانيد ، ومعرفة المجروحين من المحدثين ــ مخطوط ــ وعلل أوهام أصحاب التواريخ عشرة أجزاء و الصحابة خمسة أجزاء ، وكتاب التابعين اثنا عشر جزءاً (٥). وقيل إنه سمع من أكثر من ألفي شيخ، وكان من

---

(١) تذكرة الحفاظ: للذهبي، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر مكتبة الحـرم المكـي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ، ج ٣ ص ٦٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ١٤٧ .

(٣) المصدر السابق ج ٦ ص ٧٨ .

(٤) معجم البلدان ج١ ص ٤١٥ .

(٥) الأعلام الزركلي ج ٦ ص ٧٨ .

أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ . أذن نحن أمام إمام من عظماء أئمة المسلمين قال ياقوت : ((من تأمل مصنفاته تأمل منصف علم أن الرجل بحر في العلوم ....و إنه وقف مؤلفاته وكتبه على طلبته وكان ينفق على كثيرين منهم من ماله الخاص)[١]. وعلى هذا فان البستي فقد نهل من معين شيخه ، ورجل كابن حبان يكفيك أن تلزمه ، ولا تغادر لغيره ؛ لكثرة علمه . وقد طبع ابن حبان تلميذه بطابعه قال الثعالبي : ((كان أبو الفتح أجمع من رأيت لعلوم عصره ، فهو فقيه وطبيب ومنجم وشاعر وأديب))[٢]. ويصدَّق هذا القول ، ما يشيع في ثنايا شعره من مصطلحات علمية مشهورة على نحو ما ساذكره في مبحث ثقافته .

تلاميذه

لم يرد شيء عن تلاميذه في المصادر سوى نص واحد يقول : ((روى عنه الحاكم ، وأبو عثمان الصابوني ، والحسين بن على البرادعي))[٣]. والحاكم النيسابوري (٣٢١ – ٤٠٥) هجرية ، ((هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن تيم الضبي التهماني النيسابوري الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع أبو عبد الله من كبار حفاظ الحديث المصنفين فيه .... أخذ عن ألفى شيخ ولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩ ثم ولي قضاء جرجان فامتنع ، وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بنى بويه ، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين ، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه))[٤]. والحاكم هو صاحب

---

(١) معجم البلدان ١/ ٤١٦ وما بعدها .

(٢) تحفة الوزراء : الثعالبي ، تحقيق محمد مفيد قميحة ، بيروت دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠ م ص ١٢ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٤) الأعلام الزركلي ج ٦ ص ١٢٧ .

المستدرك على الصحيحين ، أورد فيه من الأحاديث على شرطي البخاري ومسلم ما لم يورده الشيخان ، وله كتب كثيرة منها تاريخ نيسابور قال السبكي فيه : ((وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة ، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها ، وله الإكليل والمدخل في أصول الحديث وتراجم الشيوخ وفضائل الشافعي في تسمية من أخرجهم البخاري ، ومعرفة علوم الحديث))(١) ومنها المطبوع ، والمخطوط ، ويكفي البستي فخرا أن يكون له راوٍ مثل الحاكم ، وقد ذكر الحاكم شيخه البستي في عبارة له وردت في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة قال فيه : ((ورد نيسابور غير مرة فأفاد حتى أقر له الجماعة بالفضل)) (٢).

أما أبو عثمان الصابوني فقال فيه صاحب معجم الأدباء : ((أبو عثمان الصابوني الخطيب المفسر المحدث الواعظ ، أوحد وقته في طريقته ، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعا ، وإقامة لمجالس العلم)) (٣)، واسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر(٤)، وقد جلس في مجالس التذكير للوعظ سبعين سنة وخطب وصلى في الجامع نحوا من عشرين سنة . وقد سمع الحديث بنيسابور وسرخس وهراة والشام والحجاز والجبال وحدث بخراسان إلى غزنة ، وبلاد

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٤ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٣) معجم الأدباء: أحمد شمس الدين، بيروت دار الكتب العلمية ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣ م ، ٢ ص٢٩٨.

(٤) انظر البداية والنهاية ج ١٢ص ٧٥ .

الهند ، ورزق العز في الدين وفى الدنيا[١]، وولد في ببوشنج سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة ، وتوفى سنة تسع وأربعين وأربعمائة[٢].

أما الحسين بن على البرادعي فلم نقف له على ترجمة في كتب التراجم، ولكن وجدنا اسمه في بعض الأسانيد ، مما يدل على أنه كان من رجال الرواية

وقد كان البستي في مبدأ أمره معلما للصبية[٣]، وينبغي لمن كانت هذه مهنته أن يكون له تلاميذ منهم النجباء ، ومنهم غير ذلك ولكن للأسف سكتت عنهم المصادر .

أصدقاؤه :

كان أبو الفتح عالما ذا منصب رفيع في الدولة الغزنوية ، عليه ليس غريباً أن يتهافت الناس عليه من كل صوب يخطبون وده ، وقد اختط لنفسه خطاً يسير على هداه في انتقاء صداقته يقول[٤]:

لا أُنْسَ إلاّ في مجــالِسَ تلتقـــي * بفنـــائها الأشـــكالُ والنّــــُظَراءُ**

فلْيَجْتَنِبْني كــلُّ نَـــذلٍ جــــاهِلِ * ولْيَصْطَنِعْني سادتي العــُلمـــــاءُ**

إنَّ الجَهـــولَ تَضـــرُّني أخلاقـــه * ضررَ السُّعالِ بِمَنْ بهِ اسْتِســقاءُ**

عليه لا مجال لغير العلماء في علاقاته ، وأكد البستي مذهبه هذا في الصداقة في بيتين لطيفين آخرين ، رد فيهما بظرف ، على رجل أراد أن ينال صداقته وهو دونه مرتبة قال[٥]:

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب: تأليف كمال الدين عمر بن احمد بن جرارة تحقيق د . سهيل زكـــار نشر دار الفكر ج ٤ ص ١٦٨١ .

(٢) الوافي بالوفيات ج ٩ ص ٨٦ .

(٣) تتمة اليتيمة ج ٥ ص ٢٠١ .

(٤) ديوان البستي ص ٢١-٢٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٢١٣ .

يَخطُــبُ وُدِّي ولــيسَ كُفْــواً * لِــوُدِّهِ الرّائـــعِ النـــَّبيهِ**
فهــلْ نِــكاحٌ بــلا تَكــافٍ * يجــوزُ فــي مَــذهَبِ الفَقيــه**

وعلى هذا انتقى أبو الفتح البستي صداقاته ولعل أهمها وأجلها ما ذكره السبكي في طبقاته قال: ((كان صديقا لبلديه أبي سليمان الخطابي))[١]، وهو أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب ، من ولد زيد بن الخطاب أخ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، كذا ذكر أبو عبيدة الهروي ، وكان تلميذه ، وأبو منصور الثعالبي، وكان صديقه[٢] وقد كان الخطابي حجة صدوقا ، وقال عنه الثعالبي : ((كان يشبه في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام ، له كتاب معالم السنن في شرح كتاب السنن ، غريب الحديث ، وكتاب تفسير أسامي الرب عز وجل ، وكتاب العزلة وغيرها كثير ، وقد سمع في اسمه حمد أيضا، والصحيح الثاني ، ولكن الناس كتبوه بإثبات الهمزة فتركه عليه كما قال))[٣]. ولد الخطابي سنة سبع عشرة وثلاثمائة ببست ، وتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة[٤]، وقد طوف الخطابي في بلاد كثيرة ، ولم يتقلد المناصب ؛ لما يعرف فيه من الزهد ، واكتفى في معاشه على تجارته ، وقد أشار البستي لهذه الصداقة العميقة . يقول[٥]:

أبا سُليمانَ سِرْ إنْ شئتَ أو فأقِمْ * بحيث شِئتَ دَنا مَثْواكِ أمْ شَــطَنا**
ما كنتَ غَيري فأخشى أن يُفارِقَني * فديْتُ روحَكَ بَلْ رُوحي فأنْتَ أنــا**

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٩٣ .
(٢) انظر معجم الأدباء ج ١ ص ٦٣١ .
(٣) انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢١٥ .
(٤) الأنساب ج ٢ ص ٣٨٠ .
(٥) ديوان البستي ص١٨٥ .

ولعل هذه الصداقة لم تدم بسبب عارض ، أو وشاية من العذال قد دخلت بين الرجلين ولعلهم عادوا إلى ما كانوا من حسن صداقة ، وهذا الانقطاع في العلاقة نجده في بعض أشعار البستي مشارا إليه يقول(١):

أبا سُليمانَ كم أولَيْتَ مــن حَسَنٍ *** وكْــم جَــزَيْتَ وكــم واليْتَ من مِــنَنِ

وكم رعى بعضُنا بَعضاً وكـــانَ لهُ *** مزاوِجــاً كـــازدِواجِ الــرُّوحِ والبَــدَنِ

وكم حُسِــدْنا على وُدٍّ بهِ أنســتْ *** نفــوسُــنا مــثْلَ أُنْسِ الطِّفْلِ بــاللَّبَنِ

فمالَنا قــد تناكَــرْنا بلا ســـــببٍ *** ومالَنا أنَّنا زُعْــنـــا عــنِ السّــنَـــــنَ

وكمْ نَسِينا حُقوقاً جَمَّةً سلفـــــتْ *** لزَلَّــةٍ إنْ جَــرتْ هَــذا مــنَ الـــــغَبَنِ

وهلْ يَرى عاقِلٌ باعَ الثَّمينَ مِــنَ *** الأعــلاقِ وهْــوَ لـــهُ ذُخْــرٌ بلا ثَمَــنِ

ما عذرُنا إنْ سُئِلنا أينَ وصلُكُــما *** وأينَ عهدُكمـــا فـــي سالــفِ الــزَّمَنِ

مَهلاً فليسَ لَنا في عُمرِنا مَهــلٌ *** وليسَ يَحسُنُ أن نرضى سِوى الحَسَــنِ

فعُدْ إلى الوَصلِ إنَّ الوصلَ أحــمدُ *** إنْ تـــابعْتَ رأيَ أولـــي الألــبابِ والفِــطَنِ

وإنْ بخِلْتَ بوُدٍّ أو مجــامــلَـــــةٍ *** فهُــدْنَةٌ كيــفَمــا كانــتْ علـــى دَخَنِ

إنْ كانَ حقُّكَ فرْضاً ليـــس يدفَعُهُ *** عُــذْرٌ فلا تُــخرِجَــنَّ حَقِّي مَنَ السَّنَنِ

وما في الأبيات من جودة المعاني ، وشرف الألفاظ ، وسلاستها ، وما يتحدر من جنباتها من عواطف ملتهبة يدفعنا إلى القول أنها نابعة من رجل كان مخلصا في مودته لأخيه ، ولعل طباع البستي المائلة إلى الطرب والسلطان لم تتفق مع طباع الخطابي ، المائلة للزهد ، والاعتزال فأحدث هذا التضاد تلك الجفوة .

---

(١) ديوان البستي ص١٨١ .

الثعالبي:

هو أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، المؤرخ الكبير الذي ترجم للبستي إحدى ترجماته المهمة في اليتيمة ، وقد ذكر الثعالبي صداقته للبستي في صدر ترجمته له قال : ((وجمعته وإياي لحمة الأدب ، التي هي أقوى من قربة النسب ، فما زلت في قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأُنس مقيم ، من حسن معاشرته ، وطيب مذاكرته ومحاضرته في جنة نعيم ، أجتني ثمر الغرائب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده ، ولم تكن تغيبني كتبه في غيبته، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده))[١]، ويتضح من هذا الوصف، مدى ما كان يجمع بين الرجلين من صداقة ، وحب وإخاء . وما كان يدور في لقاءاتهم من محاورات حول الأدب .

وقد ترجم الثعالبي للبستي في يتيمته ترجمة طويلة بلغت السبع والثلاثين صفحة ، حكى فيها فصولا عن حياة البستي في خدمة الدولة الغزنوية ، وجمع فيها مآثر عن أقواله وأمثاله القصيرة البديعة ، ذيلها بكتاب له عن السلطان ناصر الدين سبكتكين إلى شمس المعالي . ثم بدأ في رواية جملة من أشعاره، مقسمة على عدة أغراض ، وقد مدح البستي صديقه الثعالبي بعدة قصائد .

أبو نصر العتبي

ارتبط البستي بعلاقة حميمة مع أبي نصر العتبي ، وهو أحمد بن عبد الجبار أصله من الري ، وجاء خراسان إلى خالٍ له كان من الوجهاء ، فنشأ عنده وكان بليغ الإنشاء فتولى الكتابة للأمير أبي علي ، ثم لأبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي ، ثم صار نائبا في خراسان لشمس المعالي ،

(١) اليتيمة ج ٤ص ٣٤٥ .

واستوطن بنيسابور وأقبل على خدمة الأدب والعلوم ، واشتهر على الخصوص بتاريخه المعروف باليميني[١].

ولعل بداية صداقتهما كانت في تزاملهما في الكتابة لأبي منصور سبكتكين ، والعتبي من أهل العلم والفضل فكان خليقاً بالبستي أن يعمق صلاته معه كما هو شان البستي في اختيار خلصائه .

وقد ترجم العتبي للبستي أهم ترجمة ، أو قل أوفرها في تاريخه ، حيث أن كل ترجمات البستي مأخوذة من هذه الترجمة . كما دون في هذه الترجمة الكثير من أشعار البستي التي لم ترد في كتاب آخر . والجدير بالذكر أن العتبى لما كتب كتابه هذا الذي ترجم فيه للبستي ، كتبه برسم السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، يؤرخ فيه لهذا السلطان العظيم ولدولته ، وكان حينها قد غضب السلطان على البستي وأخرجه عن عمله ، ورغماً من ذاك لم يمنع غضب السلطان على البستي من أن يترجم له العتبي ، ويشيد به في ترجمةٍ كالت للبستي كل التقدير والاحترام . وقد مدح البستي العتبى في شعره.

هذه الصداقات هي ما وجدت لها إشارات في كتب التاريخ ، وشعر البستي يمتلئ بمدائح لأشخاص آخرين مثل أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي مفتي نيسابور ، والشريف أبي جعفر محمد بن موسى العلوي وغيرهما، ولكن لا نعد هؤلاء أصدقاء له، لأنه لم تحمل إلينا كتب التاريخ نصاً يثبت تلك الصداقة ، ولا نرى أن مجرد مديح ورد على لسان شاعر لشخصٍ يعنى بالضرورة أن صداقةً جمعت بينهما.

---

(١) انظر معجم المطبوعات العربية ج ٢ ص ١٣٠٥ .

المطلب الخامس : عقيدته وآراؤه الفقهية :

سبق أن اشرت إلى أن البستي من رواة الحديث ، وقد أخذه عن يد ابن حبان ، وقد أُخذ عنه الحديث كذلك ، مما يدل على أنه كان سنياً صحيح العقيدة وهذا أيضا ما تقتضيه معاني أبياته التالية . يقول[١]:

كُلُّ الـذُّنوبِ فـإنَّ اللهَ يغفِرهـا * إن شَيَّعَ المَرءَ إخـلاصٌ وإيمـانُ**

وكُلُّ كَسْـرٍ فـإنَّ اللهَ يَجبُـرُهُ * وما لِكَسرِ قَـناةِ الـدِّينِ جُبْـرانُ**

وهذا المعنى وصف لما عليه أهل السنة والجماعة ، وثمة نتف أخرى من أبياته تحمل مفاهيم الإيمان بالقضاء والقدر ، كما هو عند أهل السنة يقول[٢]:

وثِقتُ برَبِّي وفوَّضْـتُ أمـري * إليهِ وحَسـبي بـهِ مِـنْ مُعـينِ**

وأيقَنْتُ أنَّ أُمـورَ العـبادِ * مُسَـطَّرَةٌ فـي كِتـابٍ مُبـينِ**

فلا تَبتئِسْ بصُـروفِ الزَّمـانِ * ودَعْنـي فـإنَّ يَقينـي يَقينـي**

وتتجلى بشدة مفاهيم مدارس أهل السنة المتشددة ، الرافضة لكل وسيلة واستعانة بغير الله في البيتين الأخيرين من الأبيات التالية :

واشدُدْ يَدَيْكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِماً * فإنَّـهُ الرُّكْـنُ إنْ خانَتْكَ أركـانُ**

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدُ في عَـواقِبِه * وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَنْ هـانُوا**

مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ فـي طَلَبٍ * فإنَّ ناصـرَهُ عَـجزٌ وخِـذْلانُ**

---

(١) ديوان البستي ص١٩٣ .

(٢) المصدر السابق ص٢٠٣ .

ولكن نصاً واحداً يقول غير ذلك عثرت عليه في كتاب معالم العلماء لابن شهر آشوب يقول في سياق عرضه لشعراء آل البيت المتقين: ((والمتقين منهم .... أبو الفتح علي بن محمد البستي)) [1]، فسوغ آشوب هذا الادعاء بقوله ــ من طبقة المتقين ــ والتقية عقيدة معروفة عند الشيعة ، والدولة التي عاش فيها البستي دولة سنية تتبع للخلافة العباسية ، ولكن البلاد التي عاش فيها كأرض فارس ينتشر فيها التشيع فعليه لا يستغرب أن يكون شيعيا بحكم الموطن متقيا بفعل عمله في دولة سنية ، خاصة أنه كان كاتبا في تلك الدولة ، ودليل آخر وجدته هو بيتان أشار إليهما صاحب الذريعة وأسندهما للبستي ، يقول البيتان[2]:

مَعَاشِرَ الناسِ أوْعوا مَا أبُوح بِه * أسمَاعَـكُمْ إنَّه مِـن خَيْرِ أقوالي**

محمـدٌ وعـليٌ ثُـمَّ بعـدهما * محـمدٌ وعليٌ رُكْن آمالـي**

وهما بيتان يضجان بتشيعه . وثمة حجة أخرى تسند هذا الرأي وهى أننا قد ذكرنا أن الحاكم النيسابوري كان تلميذه ، وفى الحاكم أقوال تدعي تشيعه قال ابن كثير: ((كان ابن البيع يميل إلى التشيع))[3] ، وابن البيع كنية الحاكم النيسابوري ثم ذكر له حديث الطير (من كنت مولاه فعلى مولاه) ، وجاء في البداية والنهاية((قال محمد بن طاهر المقدسي قال الحاكم حديث الطير لم يخرج في الصحيح ، وهو صحيح ، قال ابن طاهر: بل هو موضوع ولا يروى إلا عن أسقاط أهل الكوفة من المجاهيل عن أنس ، فإن كان الحاكم لا يعرف هذا فهو جاهل وإلا فهو معاند كذاب))[4] ، وكتابه أصول علم الحديث

---

(١) معالم العلماء : محمد بن علي ابن شهر آشوب، تحقيق محمد كاظم الكيني، النجف، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، ص ١٨٦

(٢) هذان البيتان لم نعثر عليهما في ديوانه وقد أوردهما صاحب الذريعة في ج ٩ ص ٤٦.

(٣) البداية والنهاية ج ١١ ص ٤٠٩ .

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

عده الشيخ الحرفي في خاتمة الوسائل من الكتب المعتمدة عند الشيعة التي ينقل عنها بالواسطة[١]. وقال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ((إنه شيعي))[٢]، أما ابن تيمية فقد جزم بتشيعه[٣]، وهنالك فئة من العلماء زعموا أن رمي هؤلاء إياه بالتشيع لإرادة إبطال احتجاج الشيعة بما أورده الحاكم في مستدركه، مما يخالف عقائد أهل السنة[٤]، وهو قول لا نميل إليه لاعتبار تلك الفئة من علماء الشيعة المهم عندنا أنه طالما كان هذا التلميذ شيعيا فلا غرابة أن يكون شيخه كذلك عليه نرجح تشيع البستي بناء على ما أوردناه .

أما مذهبه الفقهي فالثابت أنه كان حنفيا ، ثم أصبح شافعيا ، مع استمراره في تبجيل الإمام أبي حنيفة يقول[٥]:

رأيُ الإمامِ أبي حَنِيفَة * رأيٌ مسالِكُه لَطيفَهْ**

لكِنَّ رأْيَ الشَّافِعِيِّ * نتائجُ السُّنَنِ الحَنيفَهْ**

وكِلاهُما ذو حِكَمةٍ * وتُقىً وأخلاقٍ شَرِيفَهْ**

جَهِدا لراحَتِنا وما * حذِرا منَ الكُلَفِ العَنِيفَه**

فجزاهُما رَبُّ الورى * في الخُلدِ بالدَّرَجِ المُنِيفَه**

---

(١) الذريعة ج ٢ ص ١٩٩ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٠٤٥

(٣) نسبه ابن تيمية إلى الشيعة لكنه قال (إن تشيعه لا يبلغ به تفضيل علي على أبي بكر وعمر لأن علماء الحديث قد عصمهم وقيدهم ما يعرفونه من الأحاديث الصحيحة الدالة على أفضلية الشيخين): منهاج السنة النبوية : ابن تيمية ، تحقيق محمود رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ، ج ٧ ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣ .

(٤) المصدر السابق . الصفحة نفسها.

(٥) ديوان البستي ص١٢١-١٢٢ .

ويعد البستي من أعيان المذهب الشافعي ، من الطبقة الرابعة ، وشرح مختصر الجويني وهو لأبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المتوفى سنة ٣٤٨[١]. وله في الشافعي أبيات كثيرة يفضله فيها على سواه . يقول[٢]:

الشّافِعِيُّ أجلُّ النَّــاسِ منزلَــةً * وأعظمُ النَّاسِ في دِينِ الهُدى أثَرا**

العَدلُ سِيَرتُهُ والصِّدقِ شِـيمَتُهُ * والسِّحرُ منظومُةُ والدُّرُّ إنْ نَثَرا**

فقُلْ لِمنْ باعَهُ وابتــاعَ كاسِـدَهْ * أراكَ بِعتْ بخُرْصِ النَّخلَةِ الكَثَرا**

تهمة الكرامية وتحليل النبيذ :

قال ابن الصلاح فيما نقله السبكي: ((وهو على ذلك من الشعراء الذين في كل وادٍ يهيمون ، ولكل برقٍ يشيمون ، فلذلك جاء عنه في تحليل النبيذ أبيات ، ولتزكية الكرامية أبيات ، ولكن عندما علت بخراسان كلمتهم ، وشاكت أهل السنة شوكتهم))[٣]. نجد في شعره وصفاً للخمر وتعاطيه لها يقول[٤]:

بنفســـي نَشـــوَةُ الخَمــرِ * فمِنهــا تَــمَّ لــي أمــري**

ولـــولا طلَـــبُ الشُّـــكرِ * لأحجَمْـــتُ مـــنَ الذُّعْـــرِ**

فأخللَـــتُ بحَـــظِّ النَّـــفْ * سِ إشـــفاقاً علـــى قَـــدْري**

ولكِنِّـــــي توقَّـــحْـــــتُ * بأقـــداحٍ مـــنِ الخَـمــــرِ**

---

(١) انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، بيروت دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ . ج ٢ ص ١٦٢٦ .

(٢) ديوان البستي ص٧٨ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٤) ديوان البستي ص٩١ .

وهنالك عدة أبيات على هذا المنوال ولعل ذلك في صباه ، إذ أنه تركها كما تبين أشعاره بعد ذلك ، واكتفى بمطبوخ النبيذ ولم يرَ فيه حرمة ولا بأسا . يقول في تركه الخمر رداً على من لامه على تركه لها[1]:

ألا ليتَ شِعري كيف أصبحَ طائري * بغَيــر سَنيــحِ الفــألِ عندَك مَزجورا**

ولِمْ صارَ غيري مُؤنِساً في نَديِّكُمْ * ونُحِّيتُ عنكُمْ مُكَمــدَ القَلــبِ مَسجورا**

فهلْ كانَ ذَنبي غيــرَ أنِّــي تــاركٌ * من الشُّربِ حجْراً في الشّريعَةِ مَحجورا**

إلى اللهِ أشــكــو أنّــَي لِتــقَيَّتي * تحاشيْتُ مَحجورا فأصبحتُ مَهــجورا**

ســألزَمُ هَــمِّي في النَّبيذِ وهِمَّتي * فقلْ لِعَذولــَيَّ اعــذُلانِــيَ أو جــورا**

ثم قال في تحليله للنبيذ

عليكَ بمَطبــوخِ النَبيــذِ فإنَّــهُ * حلالٌ إذا لم يخطَفِ العَقْلَ والفَهْما**

وَدع قَولَ مَن قد قالَ إنَّ قليلَــهُ * يُعينُ على الإسكارِ فاستَوَيَا حُكْمــا**

فليسَ لِما دونَ النِّصابِ قَضيَّةُ الــ ـــ ـــنِّصابِ وإنْ كان النَّصابُ بهِ تَمّا[2]

فليس إذا النبيذ حراما ، ولا عبرة بأن كثيره مسكر عند البستي ، وهذا قول فقهي متروك لم يبتدعه البستي بل سبقه إليه كثير من الفقهاء وأحلوا النبيذ إذا طبخ وكل ما فعله البستي أنه أخذ بهذا الرأي وقبله وصاغه شعرا علل فيه التحليل بحجة منطقية تخالف ما عليه الجمهور . وليس غريبا على البستي ذلك ، إذ أنه كان معاقرا للخمر قبلا . ولكن كبيرة البستي أنه صاغ ذاك الرأي شعرا وذاع بين الناس فلحقه إثم الترويج لرأي متروك .

---

(١) ديوان البستي ص٩٩-١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص١٧٢ .

العقيدة الكرامية :

ذكرنا نص ابن الصلاح الذي يلمح فيه إلى اتهام البستي بالانتماء لطائفة الكرامية بحسبان أنه قد زكاهم[1]، وفى ديوانه نجد ما يؤيد قول ابن الصلاح قال البستي[2]:

الفِقهُ فِقهُ أبـــي حنيفَـــةَ وحـــدَهُ * والدِّين ديـــنُ مُحمَّـــدِ بـــنِ كَـــرامِ**

إنَّ الّذينَ أراهُـــمُ لـــم يُؤمِنـــوا * بمحَّمدِ بـــنِ كَـــرامِ غيـــرُ كِـــرامِ**

وهذا نص صريح على أن البستي يعتقد عقيدة الكرامية بل فيه ذم لمن لم يؤمنوا به ، ولكن علينا أن نبين هنا بعض آراء الكرامية ثم نناقش تزكية البستي لهم.

الكرامية هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني ، شيخ الطائفة وكان من عباد المرجئة توفى سنة ٢٥٥ هجرية ، وقد عدهم الشهرستاني من الصفاتية ، لأنهم ممن يثبت الصفات ، إلا إنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه[3]، ونص أبو عبد الله على أن الله على العرش استقرارا ، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا ، وأطلق عليه اسم الجوهر .... وقال إنه أَحَدِي الذات ، أحدى الجواهر ، وأنه مماس للعرش من الصفة العليا ، وجوز الانتقال والتحول ، والنزول ، ومنهم من قال إنه على بعض أجزاء العرش ، وقال

---

(١) انظر طبقات الشافعية ج ٥ ص ٢٩٣ .

(٢) ديوان البستي ص٢٦٥ .

(٣) انظر الملل والنحل : للشهرستاني ، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي .بيروت المكتبة العصرية ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م ص ٨٦ .

بعضهم امتلاء العرش به ، وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق ، وأنه محاذ للعرش[١]، وأطلق أكثرهم لفظ الجسم عليه .

ومنهم المجسمة من أثبت النهاية له من ست جهات . ومنهم من أثبت النهاية له من جهة تحت . ومنهم من أنكر النهاية له فقال هو عظيم .

وأجمعوا على جواز قيام كثير من الحوادث بذات الباري تعالى . ومن أصولهم أن ما يحدث في ذاته فإنما يحدث بقدرته ، وما يحدث مباينا لذاته فإنما يحدث بواسطة الأحداث .

واتفقوا على أن العقل يُحسن ويُقبح قبل الشرع ، وتجب معرفة الله بالعقل كما تقول المعتزلة ، وقالوا إن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط ، دون التصديق بالقلب ، ودون سائر الأعمال والمنافق عندهم مؤمن في الدنيا على الحقيقة ، مستحق للعقاب الأبدي في الآخرة .

وأثبتوا الإمامة بالإجماع كما قال أهل السنة ، إلا أنهم جوزوا انعقادها لإمامين في قطرين ، وغرضهم إثبات إمامة معاوية وعلى (رضي الله عنهما) ومذهبهم الأصلي اتهام على (رضي الله عنه) في الصبر على ما جرى مع عثمان رضي الله عنه والسكوت عليه .

ولهم ضلالات كثيرة وأقوال شنيعة تراجع في الملل والنحل للشهرستاني[٢]. وقد جاء في لسان الميزان عن شيخهم محمد بن كرام شيخ الكرامية ((ساقط مبتدع))[٣] وقال صاحب الميزان رواية عن الحاكم : ((إن أصله من زرنج ونشأ بسجستان ، ثم دخل بلاد خراسان ، وجاور بمكة ولما شاعت بدعته حبسه ابن طاهر ولما أطلقوه توجه إلى الشام ، ثم رجع إلى

---

(١) انظر الملل والنحل ص ٨٦ .

(٢) انظر المصدر السابق ج ١ ص٩٠ .

(٣) لسان الميزان : ج ٥ ص ٣٥٣ .

نيسابور ، فحبس هنالك ولما أطلق تحول فسكن بيت المقدس))[١] ، وذكر أن الإمام محمد الطوسي[٢] قال : ((لم تعرج كلمة إلى السماء أعظم ولا أخبث من ثلاثة: أولاهن فرعون حيث قال أنا ربكم الأعلى . والثانية قول بشر المريسي[٣] القرآن مخلوق والثالثة قول ابن كرام المعرفة ليست من الإيمان))[٤] وأورد عن العباس بن حمزة وابن خزيمة الحسين بن الفضل البجلي قولهما ((الكرامية كفار يستتابون فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم))[٥]. ويكفى ما نقلناه عن الكرامية . ولنرى الآن ما علاقة البستي بهم ولم امتدحهم وزكاهم ، وهم على ما عليه من كفر ، وهل صحيح أنه منهم رغم ما نعلم أنه من رواة الحديث ، ومن علماء الشافعية.

وقد جَلّى العتبي حقيقة هذا الادعاء في تاريخه اليميني فحكى عن قصة هذه الطائفة في عهد أبي بكر محمد بن إسحاق زعيم هذه الطائفة في خراسان بعد أبيه المتوفى عام ٣٨٨ هجرية قال العتبي: ((كان أبو بكر مرموقا في صدر هذه الدولة [أي الغزنوية]، لمكانة أبيه من الزهادة ، وضمه الأطراف على العبادة ، واقتضائه نهج أبيه ، فيما كان ينحله وينتحيه ، وكان الأمير ناصر الدين أبو منصور سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف والترهب والتقشف ، ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين ، وأعيان

---

(١) لسان الميزان، ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٢) محمد الطوسي: محمد بن حسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، محدث مفسر، ولد بطوس ٣٨٥هـ، وتوفى ٤٦٠هـ. أخذ الكلام والأصل عن المفيد رأس الإمامية، توفى ٤١٣هـ، ثم لازم السيد المرتضى علي بن الحسين الموصلي، المتوفى ٤٣٦هـ، ثم أصبح علماً من أعلام الشيعة. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، ج٣، ص٢٢٥.

(٣) بشر المريسي: هو بشر بن غياث بن أبي كريمة، شيخ المعتزلة، أخذ عن يوسف القاضي، جدد القول بخلق القرآن، وكان مرجئة، توفى سنة ٢١٨هـ. البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٨١.

(٤) لسان الميزان، ج٥ ص ٣٥٥ .

(٥) المصدر السابق الصفحة نفسها.

المتعبدين ، فحلا ذاك بقلبه ، كما حلا بعينيه ، واستمر السلطان على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام ، وإيثار طوائف الكرامية ، حتى قال البستي فيما شاهد من نفاق أسواقهم:

الفِقهُ فِقهُ أبـــي حنيفَـــةَ وحــدَهُ * والدِّين دينُ مُحمَّدِ بـــنِ كَـــرامِ**[1]

واستمر نجم الكرامية بعد ذلك في الصعود ، فقــد حــدث أن هاجمــت جيوش أيلك خان ملك بلاد الترك خراسان ، فأسروا بها أبا بكر المــذكور ، لكنه استطاع الهرب منهم ... ـــ ويمضى العتبى قائلا ((إن الســلطان اعتبــر ذلك في سائر مواته ، وأوجب له حقا يلحظه بعين مراعاته ، ثم ما كان مــن أمر الباطنية ، ومظاهرة أبي بكر للسلطان في استئصالهم ، وكان أحد أعوانه في ذلك ، حتى صار البريء كالسقيم مذعورا ، وعــاد الملــك وبخعــوا لــه بالرئاسة في لبسة الصوف ، ووجدت خاصته سوقا للأطماع؛ بعلة الابتداع ، فاستزبنوا الناس ، واستفتحوا الأكياس ، فمن ألظ بمكاس رمى بفساد معتقده ، أو يعطي الجزية عن يدٍ وهو صاغر ، واستمر الحال على ذلــك ســنون ، لا مطمع لأحد في تبديل شكلها ، وتحويل فادح الحال عن أهلها ، إلى أن اتفق أن حج القاضي صاعد بن محمد[2]، فحمله الخليفة القادر بالله رسالة إلى السلطان محمود ، فبينما كان في مجلسه إذ ورد ذكر الكرامية ، فصــارحه القاضــي صاعد ببعض آرائهم في التجسيم فاستنكر السلطان هذا ، واستحضر أبا بكر ، وواجهه بما ذكره صاعد فأنكر ، على أن السلطان أحالهم إلى قاضــيه أبــي محمود الناصحي ، فلما مثلا بين يديه اتهم أبو بكر صاعدا بالاعتزال ، ولكن الناصحي كشف حقيقة الكرامية للسلطان ، فولى على نيسابور أبــا الحســن

---

(١) ديوان البستي ص٢٩٥ .

(٢) صاعد بن محمد بن عبد الرحمن ، أبو العلاء البخاري القاضي سمع الحديث بها وببغداد ومكــة ، برع في المذهب الحنفي حتى صار مفتي البلد. المنتظم ج٩ ص ١٦٠ .

محمد بن العباس أحد قواده ، فصادر أموال الرشاء ، ونفى الكرامية ، وتركه منزويا في بيته ، محروما من عطف السلطان))[1].

عليه يتضح جليا من خلال هذا النص أن البستي لم يكن كراميا ، بل خدع كما خدع السلطان نفسه فيهم ، إذ أنهم كانوا يكتمون حقيقة معتقدهم ، ويتظاهرون بمنافحة المبتدعة والباطنية ، ويتميزون بالزهد والتعفف ، كما أن البستي كان لا يزال حنفيا حينما قال هذه الأبيات ، أي أن ذلك كان في فترة متقدمة من حياته قبل أن يتحول إلى الشافعية ، ويصبح فيها من النجباء ، ولم يستفحل أمر الكرامية آنذاك ، ولم يشردوا الناس باسم البحث عن المبتدعة . بل وردت أبيات للبستي بعد ذلك كفر فيها قول الكرامية إن الله جوهر . وهاجمهم قال[2]:

أشهَدْ بأنَّ اللهَ ذو قُدْرَةٍ * يُحيطُ بالأصغَرِ والأكبَرِ**

ولا تصِفْهُ أنَّهُ جَوهَرٌ * فإنَّهُ من أنكَرِ المُنكَرِ**

مَنْ أبدعَ الجَوهَرَ عن قُدْرَةٍ * فإنَّه أعلى مِنَ الجَوْهَرِ**

وقد قال البستي أبياته هذه ليس عندما علت بخراسان كلمة الكرامية كما ذكر ابن الصلاح بل قد قالها قبل وفاته بالطبع ، وكان ذلك عام ٤٠٠ هجرية أي أيام علو نجمهم . وقد انكشف أمرهم للسلطان وانخذلوا عام ٤٠٢ هجرية أي بعد وفاته . عليه فإن ابن الصلاح لم يدقق في قوله ، وتلقف ذينك البيتين ، وأجرى قوله عليهما، وقد وقفت على رأي لشوقي ضيف يزعم فيه أن البستي كان معتزلي العقيدة[3] وهو رأي قاله ضيف ولم نجد له مثيلا في أي أثر من آثار التراث ومصادر تراجم البستي ولعله ، أراد الكرامية ، ووهم أنها فرقة

---

(١) التاريخ اليميني ج١ ص٢٧٤ .

(٢) ديوان البستي ص ٩٠ .

(٣) تاريخ الأدب العربي : ضيف ج ٥ ص ٦٣٢ .

من فرق المعتزلة ، وربما لأن الكرامية تتفق مع المعتزلة في أن العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ، وتجب معرفة الله بالعقل كما تقول المعتزلة ، ولكن الكرامية من الصفاتية والمعتزلة من أهل العدل[١]، وهذا أعظم فارق وبعد هذا كله فقد نفينا عقيدة الكرامية عن البستي كما أسلفنا .

---

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٣٦ .

المبحث الثالث
حياة البستي ووفاته

كان أبو الفتح البستي سياسيا من الطراز الأول ، وقد أمضى أكثر حياته في العمل السياسي يمكِّن فيه لدولته من خلال موقعه الرفيـــع فيهـــا ، وهـــذا الجانب لم توله كتب الأدب اهتماما . سيتحدث الباحث في هذا المبحث عن هذا الجانب نظراً لأهميته في أدب البستي ، إذ أنه قد سخر قلمه في خدمة دولته ، كما أن السياسة عصفت به في آخر أمره ونفته متغربا عن وطنه حتـــى لقـــي ربه.

المطلب الأول حياته السياسية :

لا أجد نصا يتحدث عن صباه ، غير نص واحد أورده الثعالبي في يتيمته ، يتحدث عن عمله معلما للصبية في صباه[١]، وأغفل المؤرخون ذكر حياته ، إلا حينما صعد سياسيا . عليه نعمد مباشرة إلى حياته السياسية التي لا نجد غيرها في تراجم مترجميه.

قال الثعالبي : ((ومن خبره أنه كان في عنفوان شبابه وأمره كاتب الباتيوز صاحب بست)) [٢]، إذاً كان في أول أمره كاتبا لباتيوز أمير بست، وما وجدت في المراجع شيئا عن إمارة بست في عهد باتيوز ، سوى أنه كان قد اغتصبها من أميرها طغان ، ولعلها كانت إمارة يكثر فيها التناحر ، فباتيوز قد اغتصبها ، ووزراؤها كانوا في تناحر دائم ، ووشايات يصف ذلك البستي قائلاً[٣]:

---

(١) اليتيمة ج ٥ ص ٢٠١ .

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص٣٤٦ .

(٣) ديوان البستي ص١٩٦ .

أكُتابَ بُسْتٍ كَمْ تنــاحُرُكمْ علــى * وزارة بُسْتٍ وَهْيَ سُــخْنَةُ عَــيْنِ**

فخُفُّ حُنَيْنٍ فوقَ مــا تَطلبونَــهُ * فلِمْ بينَكمْ في ذاكَ حَــربُ حُنَــيْنِ**

هذان البيتان يصفان لنا مدى اقتتال كتاب بست على الوزارة ، كما يوميان إلى امتلاء الإمارة بالكتاب ، ولعلهما يشيران كذلك إلى الارتباط الوثيق في تلك الإمارة بين الشأن السياسي ، والشأن الثقافي . وبيتان آخران للبستي يسيران في نفس المضمار يقول(١):

حرَّضوني علــى وزارةِ بُسْــتٍ * ورأوهــا مــن أرفَــعِ الــدَّرَجاتِ**

قلــتُ لا اشــتهي وزارةَ بُسْــتٍ * إنَّني لـــم أمَــلَّ بـــعدُ حَيَــاتي**

فقد كان البستي جديرا بالوزارة قبل أن يتقلدها ، لمكانته الأدبية الرفيعة ولكن كان متخوفاً منها خوفاً على حياته كما صرح ، لكنه في نهاية الأمر بطريقة أو بأخرى أصبح وزيرها لدى أميرها باتيوز . ولا ندري كم مكث في الوزارة مع باتيوز حتى سار طغان أمير بست المغتصب إلى الأمير ناصر الدين سبكتكين ليعينه على إعادة حقه فيها . جاء في تاريخ الإسلام السياسي ((أن صاحب بست طغان كان قد استعان بالأمير ناصر الدين سبكتكين على باتيوز مغتصبها على جعل معين))(٢). وبالفعل تحركت جيوش سبكتكين من غزنة ودخلت بست فهرب باتيوز ومعه أبو الفتح البستي قال الثعالبي:((... فلما فتحها [يعنى بست] الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين، وأسفرت الوقعة بينه وبين باتيوز عن استمرار الكشف بباتيوز أعيت أبا الفتح صحبته ، وتخلف عنه ، ودُلَّ الأمير عليه فاستحضره، واعتمده كما

(١) ديوان البستي ص٤٨ .

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٩٢ .

كان قبلاً معتمدا له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهوايته وحنكته ودرايته))[١].

إذن فقد استخلص سبكتكين الإمارة لنفسه بعد أن كان معيناً لأميرها طغان في استعادتها وذلك لأن طغان لم يوف بتعهداته إلى سبكتكين[٢]. جاء على لسان العتبى في اليتيمة قال : ((حدثني أبو الفتح رحمه الله تعالى قال : لما استخدمني الأمير سبكتكين ، عنده في مهمات شأنه وأسرار دولته ، وكان باتيوز بعد حياً، أشفقت لقرب العهد بالاختبار . فحضرته ذات يوم وقلت : إن حداثة عهدي بخدمة من كنت معه يقتضيانني أن استأذنه للاعتزال إلى بعض أطراف مملكته ، ريثما يستقر له هذا الأمر في نصابه ، فارتاح لما سمعه وأشار على بناحية الرخج ، إلى أن يأتيني الاستدعاء . فتوجهت نحوها فارغ البال وكنت أدلج ذات ليلة ، ففزعت إلى كتاب كنت استصحبه لأخذ الفأل على المقام والارتحال ففتحت أول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو:

فإذا انتهيتَ إلى السلامةِ * فِيْ مَداكَ فلا تُجاوزْ**[٣]

فقلت هذا والله الوحي الناطق فعشت ستة أشهر إلى أن أتاني كتاب الأمير في استدعائي. فنهضت وحظيت بما حظيت منها إلى يومي هذا))[٤].

وقضى البستي عشرين عاما في خدمة الأمير سبكتكين . وكان من أخلص صفايا فتح بست . وكان الأمير سبكتكين ذا مروءة وعزم وإخلاص ؛ فأخلص كلٌ لصاحبه ، والواقع أن سبكتكين كما أشرنا سابقا هو المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية ، ويُعد استيلاؤه على بست هو أول أعماله ، وقد كان أميرا قويا ، فأخذ يغزو الهند ، وجرد حملتين كبيرتين لحرب ملك البنجاب جيبال ، وأرغمه على تخليه عن إقليم كابل . وكان يشرف على الطرق

---

(١) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٤٦ .

(٢) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص٩٢ .

(٣) لم أقف على قائله ، وهو في اليتيمة ج ٤ ص ٣٤٧ من غير نسبة .

(٤) اليتيمة ج ٤ ص ٣٤٧ . بتصرف

المؤدية إلى السهل الهندي الخصيب. واستغاث به نوح بن منصور سنة ٣٨٤ هجرية ضد الثائرين عليه فنكل بهم في خراسان حتى نيسابور ، واستولى عليها وأعادها للسامانيين[١]، مما جعله يلقب بناصر الدولة ، ويولي ابنه محمودا على خراسان ويلقبه نوح بسيف الدولة[٢].

واستمر سبكتكين في غزواته ، وكان عمليا مستقلاً عن السامانيين ، وأكثر نفوذا منهم ، لكنه كان معترفا لهم بالسيادة ، ويشن الحروب باسمهم حتى اتسعت رقعة ولايته ، وعظم حجم جريدته ، وعمرت أرض خزينته ، وأشفقت النفوس من هيبته[٣]، فمن لهذا القائد من يروى له انتصاراته ، ويكاتب عنه الأمراء والملوك، وينوه بأمجاده خاصة إذا علمنا أنه كان مغمورا وتابعا للسامانيين ، ويفتتح البلاد باسمهم . من له سوى كاتبه الشاعر الأديب أبي الفتح البستي ، وهذا يفسر لنا سر اهتمام سبكتكين بعد فتحه بست بالبحث عن كاتب أميرها المهزوم ، وجعله كاتباً له ، فقطعا كان سبكتكين على علمٍ سابق بقدرات وبراعة كتاب أمير بست ، وقد قام البستي بالأمر خير قيام كما قال العتبى : ((فصار ينشر بأقلامه منثور الآثار عن حسناته ، وينسج بعباراته وشي فتوحه ومقاماته)) [٤].

ومضى البستي في عمله بدراية تامة ، فلما كان الأمير سبكتكين يقوم بغاراته على أعدائه ، كان لابد له أن يؤمن ظهره ممن حوله من الإمارات الأخرى ، فقام بهذا الدور كاتبه البستي فأخذ يمدح هذا ويكاتب ذاك .

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج ٣ ص ٩٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ضيف ج ٥ ص ٤٨٩ .

(٣) انظر التاريخ اليميني ج ١ ص٦٣ .

(٤) التاريخ اليميني ج ١ ص ٣٧٥ .

فبدأ بأدنى الإمارات إليه وهي سجستان فمدح أميرها خلف بن أحمد[١] بثلاثة أبيات كان لها وقع طيب عليه قال[٢]:

خَلَفَ بنُ أحمدُ أحمدُ الأخـــلافِ * أربى بسـؤدُدِهِ علــى الأســلافِ**

خلفُ بنُ أحمدَ في الحقيقـــةِ * واحدٌ لكِنَّــهُ مُــوفٍ علــى الآلافِ**

أضحى لآلِ اللَّيثِ أعلامِ الهُـدى * مِثــلَ النــــَّبيِّ لآلِ عبــدِ منَــافِ**

فما كاد ذاك الأمير تصل إليه هذه الأبيات الثلاث ، حتى طار فرحا ، وأرسل على يد أحد خواصه ثلاثمائة دينار[٣]، ولم يقتصر مفعول هذه الأبيات الثلاث على توثيق الصلة الشخصية بين البستي والأمير خلف بن أحمد، ولم يكن عائدها تلك الأموال التي وهبها الأمير إلى البستي ، بل استظلت بمردودها الدولة كلها ، فقد حارب خلف بن أحمد مع الأمير سبكتكين بن سيمجور والي الدولة السامانية على خراسان والذي كان قد خرج عليها ، وكان لمعاونة خلف بن أحمد لسبكتكين القدح المعلى في انتصار سبكتكين على سيمجور ، وتولية ابنه محمود بن سبكتكين عليها . على أن العلاقة الطيبة لم تدم بين الدولتين فقد رأى خلف بن أحمد أنه أخطأ حينما ناصر سبكتكين . فلم يخرج من تلك الحرب إلا ببعض المال ، أما سبكتكين فقد ظفر بكل شيء . وخاف من علو نجم سبكتكين قال العتبى : ((إن سبكتكين وصلت إليه بلاغات وقوارض ، برقت له من جانبه [يريد خلف] في أمر أبي علي ، وإظهار الندم على ما سبق من عونه عليه . والإفصاح على رؤوس الملأ أن اجتياح الملوك شؤم ، واستباحة البيوتات لؤم ، وضعف في الرأي معلوم))[٤]

---

(١) خلف بن أحمد: هو خلف بن أحمد بن محمد بن الليث السجستاني، من جلة الملوك من أهل العلم، ولد سنة ٣٢٦، خلع من الملك سنة ٣٩٩. سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١١٨.

(٢) ديوان البستي ص١٢٥.

(٣) التاريخ اليميني ج ١، ص ٣٧٥

(٤) المصدر السابق ج ١، ص ٣٥٤ وما يليها .

ويمضي العتبى في وصف تطورات سؤ العلاقات ويقول: ((إن خلفاً انتهز فرصة مهاجمة أيلك خان ملك بلاد الترك لبلاد الدولة السامانية وتكليف سبكتكين بمدافعته عنها فكتب إلى أيلك خان مرهفا من غربة ، وحاثا إياه على حربه ، طمعا في بست ونواحيها وغزنة وما يليها ، مما اضطر سبكتكين إلى مسامحته ببعض تلك البلاد على أن يسلم له سائرها ، ويأمن من عنت العبث ببايها وحاضرها))[1]، ويقول العتبى ((إن الغضب قد طار بناصر الدين كل مطار، وحدثته نخوه الاقتدار بالبدار إلى أرض سجستان ،لإطفاء الغليل ، وشفاء الداء الدخيل)) [2] وهنا تدخل البستي مرة أخرى لمنع وقوع الحرب بين سبكتكين وخلف بن أحمد قال العتبى: ((فنهاه كاتبه أبو الفتح على بن محمد البستي عما نواه بالقول الرقيق ، والرأي المؤيد بالتوفيق ، ورش ماء التلطف على ذلك الحريق ، وأراه أن بعض البلاغات زور ، وإن القابل لها كالقائل مأخوذ بها موزور ، وأن قلوب الرجال وحوش نافرة ، وطيور في بحور الجو سابحة ، فما يستمكن منها إلا بإعمال الحيل في نصب الحبائل ... ثم تلى قوله تعالى (﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[3] ثم فسرها له حتى نزل عن ظهر مركب التعجيل ، إلى أرض التمهل . وأنشدني أبو الفتح البستي في شرح ما دار بينه وبين ناصر الدين سبكتكين لنفسه .

إذا شئتَ أنْ تصطادَ حُبَّ أخي لُبّ * وتَملكَ مِنه حَوْزَةَ القَلبِ والخِلْبِ**

فأشرِكْهُ في الخير الذي قد رُزِقْتَهُ * وأدخِلْهُ بالإحسانِ في شَرَكِ الحُبِّ**

---

(١) التاريخ اليميني ج١ ص٣٥٤ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ج١ ص ٣٥٥ .

(٣) سورة الحجرات آية ٦ .

ألم ترَ طَيرَ الجَوِّ تَهوي مُسِــفَّةً *** لِحَبٍّ كَقَطرٍ من ذُرا الجَوِّ منُصَبِّ
كذَلِكَ يصطادُ ذو الرَّأيِ والحِــجا *** محباتِ حَبّاتِ القُلــوبِ بــلا حَبِّ))[1]

وقد كان لرأي البستي الفائدة المرتجاة ، والأثر المعنى ، فقد كتب خلف بن أحمد لسبكتكين متنصلا عما ألصق به ، فعفا عنه الأمير سبكتكين ولم تنشب بعد بينهما خصومة[2].

وما أطلنا فيما سبق إلا لندلل على حنكة البستي السياسية . كما انتدب الأمير سبكتكين البستي رسولا لتوطيد علاقة الدولة الغزنوية مع بني فريغون ولاة الجوزجان . ووفق في مسعاه وليس أدل على هذا التوفيق من حصول المصاهرة بين البيتين ، وكان بنو فريغون خير عون لوالي غزنة في حروبه[3]. وقد استعمل البستي سلاحه الماضي في سفارته هذه ، ألا وهو لسانه فقال مادحا لهم[4]:

بنو فُــرَيْغونَ قومٌ في وُجوهِهُمُ *** نورُ الهُدى وضِياءُ السُّوُددِ العالي
كأنَّما خُلِقوا من سؤدُدٍ وعـــلا *** وسائرُ النَّاسِ من طينٍ وصَلْصالِ
فإنْ تقِسْهُمْ بأمــلاكِ الورى فهُــمُ *** مــاءٌ زلالٌ إذ الأمــلاكُ كـــالآلِ
يا سائلي ما الّذي حصَّلْتَ عندهُمُ *** دَعِ السُّؤالَ وقُمْ فانظُرْ إلى حالي
ألا ترى الآنَ حالي كيفَ قد حلِيَتْ *** بهِمْ ألم ترَ حالي عندَ تَرْحالـــي
فإنْ أكُنْ ساكِتاً عــن شُكرِ أنعُمِهِ *** فإنَّ ذاكَ لِعَـــجزي لا لإغفــالي

---

(١) انظر التاريخ اليميني ج١ ص٣٥٦ . والأبيات في الديوان، ص٢٢٦.
(٢) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق ج١ ص٢٥٦ .
(٤) ديوان البستي ص١٦١ .

والقصيدة من جيد ما قاله في المدح وسنتناولها في محلها .

وقد مدح البستي الأمير قابوس بن وشمكير[1] أمير طبرستان وهي من بقايا الدولة الزيارية التي قضى عليها البويهيون وتبقت تلك الإمارة من الدولة الزيارية قال البستي[2]:

لا تعصِيَنْ شمسَ العُلا قابُوســا * فَمنْ عصى قابوسَ لاقــى بُوســا**

وله فيه غير ذلك .

وقد أسهم هذا البيت في جعل الأمير قابوس يقف بجانب الأمير سبكتكين في حربه مع ابن سيمجور ، وقد كان في المبتدأ منحازا بجيشه لابن سيمجور ولكنه أمر ابنه دارا بالانسحاب من جيش ابن سيمجور ونصرة جيش الأمير سبكتكين ، وكان في هذا الانحياز انتصار لسبكتكين بعد أن كادت الدائرة تدور عليه.

واجتهد أبو الفتح في توثيق صلات دولته الناشئة بالدولة السامانية التي تعد ولاية غزنة تابعة لها ، وما كان ذلك إلا ليقوي من علاقات دولته مع الدولة الأم ولم يطرق سبيلا لتحقيق غرضه إلا ولجه ، وقد عده خير الدين الزركلى واحدا من كتاب الدولة السامانية[3]. وما قال الزركلي ذلك إلا لما رآه

---

(١) قابوس بن وشمكير بن زياد الديلمي شمس المعالي صاحب جرجان وطبرستان وكان أبوه وشمكير وعمه مرداويج من ملوك الري وأصبهان . خاف أخاه ابا منصور وشمكير وأعطاه الخليفة الطائع الخلع والعهد على طبرستان وجرجان ولقبه شمس المعالي وكان قابوس فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً له رسائل بأيدي الناس يتداولونها . وتوفي سنة ثلاث وأربعمائة وكان فيه عسف وشدة فسئمه عسكره وتغيروا عليه وحسنوا لابنه منوجهر حتى قبض عليه فوثب عليه وقبضه وسجنه في القلعة حتى هلك . الوافي بالوفيات ج١ ص ٣١٩٥ .

(٢) ديوان البستي ص ١١٠ .

(٣) انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ١٤٤ .

من كثرة مكاتبات البستي مع ولاة الدولة السامانية ، وكان هدف البستي كما أشرت تقوية دولته ، وتمكين علاقتها مع جيرانها ، فمدح أبا نصر أحمد بن علي الميكالي[1] رئيس ديون الإنشاء في الدولة السامانية قال[2]:

جَمعَ اللهُ في الأميرِ أبي نَصْــــ * رٍ خِصــالاً تعلــو بِهــا الأقــدارُ**

خَطُّــهُ رَوْضَــةٌ وألفاظــهُ الأز * هارُ يَضــحكْنَ والمَعــانِي ثِمــارُ**

ومدح أبا علي الدمغاني[3] وزير السامانيين خمسين عاما[4]. قال مداعبا

وقالوا العَزلُ للــوُزراء حَـيضٌ * لَحــاهُ اللهُ مــن حَـيضٍ بَغـيضِ**

فــإنْ يــكُ هكــذا فــأبو عَلِــيٍّ * من اللّاتي يئِسْنَ من المَحــيضِ[5]**

ولما تم تنصيب أحد رجال سبكتكين وهو الوزير أبو نصر بن أبي زيد بدلا من الدمغاني وزيرا للدولة السامانية أخذ أبو الفتح يعلي من شأنه بحسبانه أحد رجال الدولة الغزنوية قال[6]:

أبلِغْ مَقالي كُلَّ عــافٍ مُــجتَدي * ومُؤَمِّلٍ فــي قَصــدِهِ أنْ يَهتــدِي**

عرِّجْ على الشَّيخِ الجَليل المُرتَجى * وزر الوزارَةِ أحمَــدِ بــنِ مُحَمَّــدِ**

يَفري أمــورَ المُلْكِ رَأياً فَيْصــلاً * وعَزيَمــةً تُــزري بكُــلِّ مُهَنَّــدِ**

---

(١) الميكالي: هو عبيد الله أحمد بن علي الميكالي تــ٤٣٦هـ، أمير من الكتاب والشعراء مــن أهــل خراسان، صنف الثعالبي ثمار القلوب لخزانته. الأعلام، ج٤، ص١٩١.

(٢) ديوان البستي ص٢٤٥ .

(٣) أبو علي الدامغاني: لم أقف له على ترجمة.

(٤) يتيمة الدهر ج ٤ ص١٣٤ .

(٥) ديوان البستي ص١١٤ .

(٦) المصدر السابق ص٢٣٩-٢٤٠ .

ولكن حنكة أبي الفتح السياسية لم تقف على حدود الدولة السامانية التي كانت تتبع لها ولاية غزنة ، بل تعدتها إلى حدودها مع الدولة البويهية ، التي كانت تنازع الدولة السامانية المنطقة، فقد اجتهد البستي أن يقيَ شر الدولة البويهية عن دولته غزنة ما وسعته الحيل . فعمل على مد علاقته بالوزير الكبير الصاحب بن عباد وزير البويهية وأخذ في مدحه توددا له وتزلفا إليه اتقاء شر البويهيين عن دولته وقال فيه قولا بليغا حينما قال يمدحه:

كالشَّمسِ نوراً ولكنْ مالَهُ لَهَـبُ * كالغَيْثِ جُوداً ولكِنْ وَبْلُهُ الـذَّهبُ**

كأنَّهُ حيـنَ يُعطـي كُلُّهُ رَغَـبُ * كأنّـَهُ حـينَ يَحمي كُلُّهُ رَهَـبُ**

أفعـالُهُ غُرَرٌ أقـوالُهُ سُـوَرٌ * أقـلامُـهُ قُضُبٌ آراؤُهُ شُـهُبُ**[1]

ولعل في امتشاق هذه الألفاظ وتلألئها ما يكفى عن الشرح والتحليل .

وله فيه غيرها من أروع ما قال . وكان الصاحب يبادله الرسائل وقد أفلح البستي في توسله بالشعر بغرض السياسة أيما إفلاح ، ويكفي أنه ومنذ أن علا نجم سبكتكين وأصبح مشاركا في إدارة حكم الدولة السامانية لم تقع أي مشاحنة بين السامانيين والبويهيين حتى وفاة الصاحب بن عباد ، ونرد هذا الفضل للبستي ونهجه الفريد في استغلال مواهبه الشعرية لأغراض سياسية .

عليه فإن البستي كان له القدح المعلى في حماية ظهر دولته الفتية وتوثيق صلاتها مع جيرانها وأمضى كل طاقتة في ذلك فليس غريبا أن يخلو ديوانه من وصف فتوحات أميره ومعاركه وإنما انصب جل شعره في إقامة العلاقة الدبلوماسية مع الساسة والولايات المحادة لولايته . وقد اتخذ الشعر والكتابة والعلاقة الشخصية وسيلة لمبتغاه . إذا فالبستي كان سياسيا من الطراز الأول، لكن كتب التاريخ أهملت هذا الجانب واكتفت بقولها إنه أمير الجناس .

---

(١) ديوان البستي ص٣٣-٣٤ .

وتمضي الأيام ويمضي معها الأمير ناصر الدين سبكتكين ، ويستقر الأمر لابنه الأكبر محمود يمين الدولة . ولكن انقلب ظهر المجن على البستي في عهد الأمير محمود ولم يمضِ غالباً وقتا طويلا حتى نفي عن الدولة .

يقول العتبى : ((إن أبا الفتح كتب له عدة فتوح ، وظل في خدمته إلى أن زحزحه القضاء عنها ، ونبذه إلى ديار الترك على غير قصده وإرادته ، فتوفى بها سنة أربعمائة من الهجرة النبوية))[١]. وهذا ما نقله بالنص أيضا الثعالبي في يتيمته[٢].

ولم أجد في كتب التراجم أية إشارة إلى أسباب عزله ونفيه هذه، على الرغم مما أسداه من خدمات جليلة للدولة الغزنوية . وما كان ينبغي أن أجد تفسيرا واضحا من العتبي عن سبب ذلك النفي مع ثقتي أن العتبى كان عالما بالتفاصيل ، وإنما ذلك لأن التاريخ اليميني وهو المرجع الرئيسي كتبه العتبي ليمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين ، فلم يستطع أن يخوض في أمر رجل غضب عليه سلطانه ونفاه ، ويجري ما قلناه على الثعالبي إذ أنه في نيسابور إحدى مدن الدولة ومن رعايا الأمير .

ولكن هذا النفي لم يأتِ جملة واحدة ، إنما كان متدرجاً فبعد أن كان مستشار السلطان الأول أصبح كاتبا في ديوان السلطان ، وحل محله رجل آخر يدعى أبو العباس الفضل بن أحمد[٣]، ثم أضحى الأمير محمود يكل أمر الكتابة إلى غيره ، وهو أبو سعيد نصر بن يعقوب الدينوري[٤]، ثم عُزل أبو الفتح بعد ذلك . قال البستي[٥]:

---

(١) التاريخ اليميني ج ١ ص ٧١ .

(٢) انظر اليتيمة ج٤ ص ٣٤٧ .

(٣) أبو العباس الفضل بن أحمد: لم أقف له على ترجمة.

(٤) الدينوري: إمام عالم بتأويل الرؤيا، له (تعبير الرؤيا)، ألفه للقادر بالله، كان حياً سنة ٣٩٧هـ، تولى عمل الفرض والإعطاء بنيسابور. معجم المؤلفين، ج١٣، ص٩٤.

(٥) ديوان البستي ص ١٢٦ .

أغِثْ أيُّها الشَّيخُ الوزيُر فــإنَّني * دُهِيتُ بما قد كنــتُ قبــلُ أخــافُ**

حُذِفْتُ وغَيري مثبَتٌ في مَكانِــهِ * كأنِّيَ نونُ الجَمعِ حــينَ تُضــافُ**

وقد اعتقد الخولي أن سبب عزل البستي من منصبه وشاية وشى بها أحد الناس يدعى أبو القاسم ولم يحدده ولكنه استند إلى بعض الأبيات التي جاءت في ديوانه[1]، يقول فيها :

أبا قاسمٍ كمْ ظــالمٍ مُتــعَجْرِفٍ * نَضَا لِي حَــدَّيْ سَــيفِهِ وسِــنانِهِ**

فسلَّمَني اللهُ الكريمُ بلُــطفِــهِ * وصيَّرَني فــي لُطفِــهِ وضَــمانِهِ**

ومِنهُمْ أبوكَ إنّــَهُ سَلَّ مُصْــلِتاً * عَلَيَّ حُســامَيْ كَيــدِهِ ولِســـانِهِ**

فلّمــا غَــلا في ظُلمِهِ وَعتُــوِّهِ * وأشبَهَ عِيراً لــجَّ فــي نزَوانِــهِ**

صبَرْتُ على مكروهِهِ فتكشَّــفَتْ * عواقِبُهُ عــن عِزَّتــي وهَوانِــهِ**

فإنْ تتّقيــهِ أوْ صبْــرت فإنّمــا * زمانُكَ أيضاً مُــنقَضٍ كزَمانِــهِ[2]**

ولكني لم أجد شيئاً في كتب التاريخ يؤيد ما ذهب إليه الخولي ، ولم أجد كذلك في ثنايا هذه الأبيات معنى يؤيد رأي الخولي فقد قال البستي: يا أبا القاسم إن هنالك كثيرون من الظلمة الذين عادوني قد نجاني الله من ظلمهم ، ومن أولئك أبوك الذي عاداني بسيفه ولسانه ، ولما غلا أعزني الله وأهانه ، وأنت إن لم ترتدع فسوف يحيق بك ما حاق بأبيك . هذا المعنى يدل على أن البستي كان يتمتع بنفوذ وكان قادرٌ على إلحاق الأذى بأبي القاسم خلافا لما ذهب إليه الخولي في أن أبا القاسم كان السبب فيما وصل إليه البستي .

---

(١) ديوان البستي، ص ٨٥ – ٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص٣٠٦ .

ولي رأي آخر قياسا على حادثة معروفة في كتب التاريخ وهى مكافأة السلطان محمود للفردوسي مكافأة هزيلة على نظمه للشاهنشاه عشرين عاما بأكملها وذلك لأنه كان متهما لديه بالتشيع .

ولما تحدثت عن عقيدة البستي رجحت تشيعه ، عليه فنعتقد أن السبب الذي أودى بالبستي معرفة الأمير محمود هذه الحقيقة عن البستي . ولم تشفع للبستي تضرعاته ومقطوعاته في الحادثة ، وسابق عمله ونفي إلى بلاد الترك.

المطلب الثاني وفاته

توفى البستي في بلاد الترك سنة أربعمائة من الهجرة[١]، وهذا ما أيده ياقوت في معجمه[٢]، والشيخ علي النمازي[٣]، ورجحه أبو محمد اليافعي[٤]ورجح ابن كثير وفاته عام ٤٠٠ لكنه ذكر رأي ابن خلكان أن وفاة الشاعر كانت عام ٤٠١ هجرية[٥]، وهذا التاريخ أيده صاحب النجوم الزاهرة[٦]، والذهبي[٧]، وإسماعيل باشا البغدادي[٨]، ولكن ورد في كشف الظنون أن وفاته كانت عام٤٣٠ هجرية وهذا شاذ[٩]؟ وأجمعوا أنه مات

---

(١) اليتيمة ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٢) معجم البلدان ج١ ص ٤١٥ .

(٣) مستدرك سفينة البحار : علي النمازي تحقيق حسن بن علي النمازي ، قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٩ هـ . ج ٥ ص ٢٣٨ .

(٤) مرآة الجنان :عبد الله بن أسعد اليافعي ، ج٣ ص ٤ .

(٥) البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٩٦ .

(٦) النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٧) سير أعلام النبلاء ج١٧ ص ١٤٧ .

(٨) هدية العارفين ج ص ٦٨٥ .

(٩) كشف الظنون ج ١ ص ٧٧٢ .

ببخارى ، وزاد الزركلي أن البلدة التي مات فيها ببخارى هي أوزجند ، وانفرد ابن عساكر بقوله أنه مات متسترا بدمشق[١].

وله ديوان شعر جيد وشرح لمختصر الجويني في فروع الشافعية بالإضافة إلى عدد كبير من الأمثال السائرة والأقوال الرشيقة جمعها الثعالبي في يتيمته .

وقد قال فيه أبو عمران موسى بن محمد بن عمران الطلوقي :

إذا قِيْلَ أَيّ الأرضِ فِي الناسِ زينة * أجبنا وقلنا أبهــجُ الأرضِ بســتها**

فلو أنني أدركتُ يومــاً عَمِيْــدَها * لزمتُ يَدَ البستي دهري وبســتها[٢]**

(١) تاريخ دمشق ج ٤٣ ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ج٤٣ ص١٦٢ .

الفصل الثاني

مفهوم الصورة الفنية ووظائفها

المبحث الأول
مفهوم الصورة الفنية ووظيفتها

نالت الصورة الفنية في الشعر العربي اهتماما كبيرا لدى علماء البلاغة والنقد في القديم والحديث . ومرد ذلك الاهتمام محوريتها في إبراز القيمة الفنية للعمل الأدبي فهي الجوهر الثابت فيه .

ولا قيمة لعمل فني خلا من الصورة الفنية ، إذ هي روح العمل الفني ، وقوامه . فلا يكون عمل بلا روح .

فالفنان ينسج عليها خياله ، ويتفاعل مع الصورة الفنية بكل أحاسيسه ، فهي لمسة فنية تتأطر في القصيدة ، أو اللوحة ، لتبرز في نهاية العمل بشكل جميل يأسر النفس .

والصورة الفنية إبراز للقيم المعنوية والفنية والروحية ، وإدراك لحقائق الأشياء التي أرادها الشاعر .

وقد عرف علماء النقد والبلاغة مفهوم الصورة الفنية بالعديد من التعريفات ، وهذه الكثرة في التعريفات تنتج من أهميتها ، وسأعرض الآن لتلك التعريفات ، حتى يتضح للقارئ المفهوم بجلاء ، فيعتمد عليه في فهم قضايا البحث .

المطلب الأول :الصورة في اللغة :

جاء في اللسان : الصورة ترد في كلام العرب علي ظاهرها ، وعلي معنى حقيقة الشئ ، وهيئته ، وعلي معنى صفته ، يقال : صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته[١].

وتصورت الشيئ: توهمت صورته ، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل[٢].

ويقول ابن فارس : ((إن صورة كل مخلوق هي هيئة خلقته)) [٣].

وعند صاحب المعجم الوسيط : الصورة :الشكل ، والتمثال المجسم . وصورة الشيء: ماهيته المجردة ،وخياله في الذهن ،والعقل[٤].والصورة بالضم: الشكل جمع صُور وصِور . وتستعمل الصورة بعني النوع والصفة[٥].

يتبين مما تقدم أن الصورة عند أهل اللغة تعني : هيئة الشيء وصفته .

الصورة في القرآن:

وردت كلمة صورة في القران وجاءت علي صيغ مختلفة . فذكرت بصيغة الماضي والجمع في قوله تعالى : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[٦].

---

(١) لسان العرب :لأبي الفضل جمال الدين بن منظور دار الصادر بيروت الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٣ مادة صور ج٨ ص٣٠٤ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق احمد عبدا لغفور دار الملايين الطبعة الثالثة ١٩٨٤ مادة صور ج ٢- ص٧١٧ .

(٣) معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس تحقيق محمد عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨١ مادة صور ج٣ ص٣٢٠ .

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون إحياء التراث العربي طبعة ٣ج١ ص٥٤٨ .

(٥) القاموس المحيط: ج ٢ فصل الصاد باب الراء ص .

(٦) سورة غافر الآية ٦٤ .

وبصيغة الماضي في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾[1]. وبصيغة المفرد في قوله تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[2]. وبصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾[3]. وبصيغة المضارع في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[4].

قال ابن كثير في قوله تعالى :((فصوركم فأحسن صوركم)) أي أحسن أشكالكم[5].

وقال القرطبي في الآية نفسها :((خلقكم في أحسن صورة))[6].

وقال الزمخشري: ((إن الله خلق الإنسان وميزه عن ساير المخلوقات))[7].

أما الصورة في الشعر القديم ، فقد وردت قي قول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى[8]:

---

(١) سورة الأعراف الآية ١١ .

(٢) سورة الانفطار الآية ٨ .

(٣) سورة الحشر الآية ٢٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٦ .

(٥) تفسير القران العظيم :لابن كثير ، تحقيق كمال على على الجمل ، القاهرة دار التوزيع والنشر الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م ج٤ ص١٠٦.

(٦) الجامع لأحكام القران : للقرطبي ، بيروت دار إحياء التراث العربي الناشر مؤسسة التاريخ العربي بيروت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م ، ج ١٥ ص٣٢٨ .

(٧) الكشاف : للزمخشري ، ترتيب وتصحيح محمد عبد السلام شاهين، بيرون دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ ÷ ٢٠٠٢ م ج٣ ص٤٣٥.

(٨) هو زهير بن أبي سلمى ربيعة من مزينة المضرية ولد بنجد ٥٣٠ــــ٦٢٧ نشأ في غطفان. أخذ الحكمة والترصن من بشامة خال أبيه .كان شيخا مقعدا وغنيا برجاحة العقل، فلزمه زهير كما تتلمذ لزوج أمه أوس بن حجر، واتخذ طريقته في الشعر، له كعب وبجير وكلاهما شاعر. مدح هرم بن سنان. كان حكيما وسيدا انقادت له قبيلته وهو من شعراء المعلقات – الجامع في تأريخ الأدب العربي القديم: حنا الفاخوري ص٢١٤.

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده * فلم يبق إلا صورةَ اللحمِ والدَّمِ**[١]

الفن:

الفاء والنون أصلان صحيحان . ويدل أحدهما على تعنية ، والأخر على ضرب من ضروب الأشياء كلها ، فالأول الفن وهو : التعنية ، والإطراء الشديد ، والآخر الأفانين :أجناس الشيء ، وطرقه[٢].

والفن : واحد الفنون ، وهي الأنواع ، والفن : الحال ، والفن: الضرب من الشيء ، والجمع أفنان وفنون والرجل يفنن الكلام : أي يشتق في فن بعد فن والتفنن فعلك رجل مفن يأتي بالعجائب[٣]. ومنه قوله تعالى : ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾[٤].

يقول عبد المنعم تليمة في تعريفه للفن : ((فالفن هو إدراك جمالي للواقع . ولأن العمل الفني تشكيل جمالي لمواقف من هذا الواقع ، فالمشكل الذي يواجه الفنان مشكل تشكيل ، والفنان عمله حر ولا يمكن أن يكون إلا حرا، لأنه يتخطى حتما بالضرورة الأطر الاجتماعية للعمل الذي يتحلى بصفته الخلق من حيث الجمالية))[٥].

ويحدد الولي محمد مفهوم الصورة الفنية مستنداً على مفردة الفن يقول: ((ولغة الفن لغة انفعالية ، والانفعال لا يتوسل بالكلمة ، وإنما يتوسل بوحدة تركيبية معقدة حيوية ، لا تقبل الاقتصار ، تطلق عليها اسم الصورة ، فالصورة إذا هي واسطة الشعر وجوهره ، وكل قصيدة من القصائد وحدة

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى . شرح الدكتور محمد محمود طه بيروت دار الفكر اللبناني ١٩٩٥ ص١١٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة الفن ج٤ ص٤٣٥ .

(٣) لسان العرب ج١١ ص٢٣٠ .

(٤) سورة الرحمن الآية ٤٨ .

(٥) مدخل إلي علم الجمال الأدبي : عبد المنعم تليمة القاهرة طبعة دار الثقافة ١٩٧٨ ص٦٤ .

كاملة تنتظم في داخلها وحدات متعددة ، وهي لبنات بنائها العام ، وكل لبنة من هذه اللبنات هي صورة تشكل مع أخواتها الصورة الكلية التي هي العمل الفني نفسه))[١].

المطلب الثاني :الصورة عند البلاغيين

أكثر الأنواع البلاغية للصورة الفنية تشتمل في جانب علم البيان على: التشبيه والاستعارة والكناية ، وهي أكثر ظهورا وبيانا ، وأكثر جذبا للانتباه . والاستعارة نوع من التشبيه[٢].

ويري الجاحظ أن الشعر صناعة ، وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير[٣].

ولكن عبد القاهر الجرجاني يقول إن الشعر تصوير كما يقول إن الصورة الفنية لها عدة عناصر أهمها الصور البيانية ، ولكنه زاد عليها الخبر والإنشاء ، والتقديم والتأخير . ولكنه اعتبر الصورة البيانية أهم عناصرها[٤]

---

(١) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي : الولي محمد بيروت المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى ١٩٩٠ ص١٠ .

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: جابر عصفور بيروت دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص٩٩- ١٠٠ بتصرف .

(٣) الحيوان: للجاحظ ، حققه وشرحه عبد السلام محمد هارون، بيروت لبنان دار الكتاب العربي ١٩٦٩ ج ٣ ص٣١ .

(٤) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق التنجي ، بيروت دار الكتاب العربي ط ١ ١٤١٥هـ ــ١٩٩٥ م، ج١ ص ٧٧ ــ ٧٨ .

يقول سيد قطب: ((وكاد عبد القاهر بنظريته في النظم ، أن يصل إلي مفهوم الصور الفنية ، لقد كان النبع منه ضربة معول فلم يضربها ، ففي التعبير عن الشيب جمال ، وفي إسناد الاشتعال إلي الرأس جمال أخر ، يكمل أحدهما الآخر ومن كليهما لا من أحدهما كان هذا الجمال الباهر ، وهذا هو الذي وقف دونه عبد القاهر وإن كان يبدو أنه كان يحسه في ضميره ، ولا يصوره كاملا في تعبيره)) [١].

ويضيف سيد قطب في وصفه لحدود الصورة الفنية : ((ثم إن الصورة لا تقف عند الأشكال البلاغية المعروفة ، بل تتجاوزها إلي الوصف المباشر إلى الأشياء))[٢]. وهذا قول عميق في تقديره للصورة الفنية ، وقد أحاط بجوانب الصورة كاملة ، فالصورة ــ كما يعتقد إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم ــ غير قاصرة علي الأساليب البيانية فقط . بل تتعداها بأن تقوم علي الحقيقة حينما يكون الكلام وصفا حقيقا للمناظر والأشياء ، كما أنها تستعين بالعوامل التعبيرية الأخرى في إبراز وظيفتها ، كالموسيقى والإيقاع ، والشعور العام للقصيدة[٣]. وهذا في رأي الباحث قول متكامل يعبر بجلاء عن الصورة الفنية، ويستوعبها .

---

(١) التصوير الفني في القران: سيد قطب الطبعة الشرعية السابعة بيروت القاهرة دار الشروق ١٩٨٢ ص٢٣ بتصرف .

(٢) الصورة الفنية في النقد الشعري: عبد القادر الرباعي ، الرياض دار العلوم للطباعة والنشر طبعة ١ ، ١٤٠٥ هــ ــ ١٩٨٤م ص٨٥ .

(٣) الصورة الفنية في الشعر العربي: إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم الناشر الرياض الشركة العربيــة للنشر والتوزيع طبعة ٥ ص١٦ .

المطلب الثالث : مفهوم الصورة عند القدماء والمحدثين

الصورة بمنزلة الصناعة بالنسبة للشاعر ، مثلها مثل الفضة للصائغ ، والخشب للنجار ، ولكن تبقى جودة الحاذق ، وهذا ما يراه قدامة بن جعفر حين يقول : ((لما كانت للشعر صناعة وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها علي غاية التجويد والكمال ، إذ كان جميع ما يؤلف ويعمل بها على سبيل الصناعات والمهن ، فله طرفان أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة ، وحدود بينهما تسمي الوسائط ... إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة – كما يوجد في كل صناعة ــ من إنه لابد فيها من شيئ موضوع يقبل تأثير الصورة فيه مثل الخشب للنجار والفضة للصائغ . وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى من الرفعة والضعة والرفث والنزاهة والبذخ والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة ، أن يتوخى البلوغ من التوحيد في ذلك إلى الغاية المطلوبة)) [١].

والجاحظ يرى كما مر أن الشعر جنس من التصوير وهو من أوائل من قالوا بذلك وذلك في قوله: ((المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، والتخير اللفظي، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وجودة السبك – فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير)) [٢].

ويرى حازم القرطاجني : ((إن المعاني هي الصورة الحاصلة في الأذهان ، عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، وكل شئ له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدركه منه فإذا عبر عن

---

(١) نقد الشعر : قدامة بن جعفر – تحقيق وتعليق – محمد عبد المنعم خفاجة القاهرة الناشـــر مكتبـــة الكليات الأزهرية الطبعة الأولي ١٩٨٠– ص ٦٤–٦٥ .

(٢) الحيوان : الجاحظ ج ٣ ص٣١ .

تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئته تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وآذانهم)) [١].

مما تقدم يرى حازم القرطاجني أن الصورة هي أي معنى في الوجود له صورة في الذهن ، وهيئة تلك الصورة هي اللفظ ، والصورة هي تمثيل وقياس، وهذا ما رآه الجرجاني الذي قال : ((واعلم أن قولنا صورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا)) [٢].

وقد لخص الولي محمد فهم المتقدمين هذا بقوله : ((وإذا انتقلنا إلى الذين انتعشت على يدهم المصطلحات البلاغية نجد مصطلح الصورة يشمل التشبيه والاستعارة ، والرمز والتمثيل بالإضافة إلى أنواع المجاز الأخرى)[٣].

وفي العهد الحديث انتعش مفهوم الصورة الفنية بدرجة كبيرة وكثرت تعريفاتها ، فمفهوم الصورة الفنية الحديث عند المعاصرين يرى أنها إبراز سمات العمل الأدبي وليس ثمة عمل شعري يخلو منها ووسع المعاصرون في مفهومها حيث تخطوا الأنماط البلاغية إلى كل تركيب فني يوحي بمقدرة الشاعر على استنباط الإحياء الفني في ألفاظه والربط بينها وأضافوا إليها الخيال حيث أنه قد لا تسعف الشاعر الألفاظ في أداء معانيه .

والصورة مثلها مثل اللفظة في تعبيرها عن الذات ، هذا ما يراه عز الدين إسماعيل حيث قال : ((وكما كانت اللفظة أداة تعبير فقد أصبحت الصورة ذاتها هي الأداء ، وكذلك ارتبطت الصورة دائما بموقف من الحياة ،

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني تحقيق محمد الحبيب بيروت دار الغرب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ص ١٨-١٩ .

(٢) دلائل الإعجاز: الجرجاني – ص ٥٠٨ .

(٣) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي الولي محمد ص ٢٠ .

ودلت علي خبرة الشاعر ونظرته الدقيقة إلى دقائق الأمور ، وبذلك أصبحت الصورة تنقل مشهدا حيا ، كما تلخص خبرة وتجربة إنسانية))(١).

وهي عند قاسم مأمون بنت الخيال ، و محصلة الفعل التخيلي وأداته ، وسيرته(٢). ولم يخالفه جابر عصفور كثيرا حين قال : ((فالصورة أداة الخيال ووسيلته ومادته إلهامه التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه))(٣). ولكن عصفوراً يضيف إليها وظيفة أخرى إذ يجعلها للناقد معياراً يقيس به قدرة الشاعر وتمكنه في فنه وأصالة تجربته(٤).

ويتقدم مفهوم الصورة الفنية عند محمد الصادق عفيفي خطوات واسعة فهي عنده ليست لها طرق محدودة بل هي تنبعث من نظرة الشاعر وعبقريته من غير أن تكون بأنواع معينه ، والشاعر يرسم صورته كما تبدو له ، ولا يتكلف استخدام الاستعارة أو التشبيه أو الكناية ، بل ينطق بما يتصور الصورة علي سجيته بغير تعمد للشيئ ، هذا إذا كان الشاعر مطبوعا ، وقد تكون صورته منطوية على تشبيه أو استعارة كما أنها قد لا تكون منطوية علي شيئ من ذلك مع أنها صورة ذهنية واضحة ذات ألوان طبيعية ملهمة(٥).

ويفصل حسن درويش في مفهوم الصورة الفنية وأدواتها يقول: ((الصورة في الشعر هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن

---

(١) الأدب وفنونه: عز الدين إسماعيل – طبع دار الفكر العربي – الطبعة السابعة ١٩٧٨– ص١٤٤.

(٢) نقد الشعر في القرن الرابع الهجري : قاسم مأمون، طبع دار الثقافة بالقاهرة بدون تاريخ – ص ٣٤٣.

(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي – جابر عصفور ص٤.

(٤) انظر المصدر السابق – ص٧.

(٥) انظر النقد التطبيقي والموازنات : محمد الصادق عفيفي مصر مؤسسة الخانجي ، طبعة ١٩٤٨ – ١٣٩٨هـ – ص ١٧٠–١٧١.

ينظمها الشعراء في سياق بياني خاص ، ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة ، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها ، في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني))[١]. وقال صابر عبد الدائم : ((وموهبة الشاعر تتسم بالذروة حين يجعل تراكيبه الشعرية مرئية ورنين إيقاعه دافئا ، حين يحول الكلمات إلى صورة مشرقة وموحية صورة ذوقية أو شمية أو حرارية أو صورة ضغطية من أصل إجمالي)) [٢].

والصورة تكون رمزية وإيحائية وتكون المعادل الفني للفكرة ... فالشاعر يحول المعادلات الفكرية ، إلى تجارب شعورية يطرح الموضوعات الذهنية بشكل لا تسقط هذه الموضوعات فيه في أذن السامع من دون صورة ، أو إيقاع وإيحاء ، إذ الشاعر يوفر المناخ الشعري للفكرة الذهنية التي يعالجها[٣].

والصورة هي أداة معقدة مركبة ، أخذت أنحاء كثيرة تبدأ بالتشبيه وتنتهي بالقصة الرمزية التي تستخلص شخصيتها من الواقع والخيال مجتمعين[٤].

وكلمة صورة تستخدم عادة للدلالة على ماله صلة بالتعبير الحسي ، تطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات ، فإن لفظ الاستعارة إذا حسن إدراكه ، قد يكون أهدى من لفظ الصورة ، وإن الصورة إذا جاء الحديث منفردا عنها لن تستقل بحال ما عن الإدراك الاستعاري ، وأن الاستعمال الاستعـــاري يربط الفرد بالكل ، ويربط اللحظة بالديمومة ، وتنشأ الصورة حين

---

(١) النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين – مقاييس واتجاهات وقضايا: العربي حسن درويش ، مكتبـــة النهضة المصرية – الطبعة – – بدون تاريخ – ص١١٧.

(٢) التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث : صابر عبد الدائم ، القاهرة مكتبة الخانجي ، الطبعـــة الأولى١٤١٠ ـــ١٩٩٠– ص١٩.

(٣) انظر الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس : ساسين سيمون عساف – طبع المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٠٢ – ١٩٨٢ – ص١٢.

(٤) انظر تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري : نجيب محمد البهبتـــي – طبـــع دار الفكر – بدون تاريخ – ص٩٥.

يتسع الشعور باجتماعية الحياة التي تشمل كافة الموجودات . وأول مظهر جمالي للاستعارة استعادة الحياة توازنها واستئناف الانسجام الداخلي بين المشاركين فيها[١].يتبين أن الصورة إما أن تكون جوهرية المعنى قوية الألفاظ تشبه ما وصفت به وإلا فهي صورة رديئة لا معنى لها ولا جدوى .

فالصورة تتخذ الجانب البلاغي ، ويكون لها عناصرها المهمة التي يتصدرها التشبيه فأخذ الجانب الأكبر في تشكيل الصورة ، وتوضيح مفهومها، ثم حلت الاستعارة محل التشبيه في تحقيق التصوير المنشود وإن عدَّ التشبيه في مرحلة أسبق من الاستعارة ، في الظهور والكثرة فإن الاستعارة تتعاون معه لتطبع الصورة بنسق من النضوج الفني والأداء المتطور[٢]. ((والصورة الشعرية عبارة عن أثر الشاعر المفلق، الذي يصف المرئيات وصفا يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة، أم يشاهد منظرا من مناظر الوجود ، والذي يصف الوجدانيات وصفا يخيل للقارئ أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره ، لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد))[٣].

ويتعاون في تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته ومقدرته في الربط بين الأشياء المتنافرة في الواقع لإثارة العواطف والملكات التخيلية ، وقد يربط الشاعر بين الأمور المتباعدة بالتشبيه ، وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة ، فيجعل من الطبيعة ذاتا ومن الذات طبيعة خارجية ، فتجمع الصورة بين التشبيه والاستعارة ، وغيرهما من وسائل الأداء والتصوير البلاغي[٤].

تبين مما تقدم أن الصورة تنبعث من نظرة الشاعر وعبقريته ، وهي ليست محدودة الطرق ، هذا يعني أن الصورة قد توسع مفهومها لتكون أكبر من أنها

---

(١) الصورة الأدبية : مصطفى ناصف ، بيروت دار الأندلس بدون تاريخ ص٣.

(٢) الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي، أحمد إبراهيم أبو زيد، ص٢٤١.

(٣) الموازنة بين الشعراء – زكي مبارك – الطبعة الثالثة – ١٣٩٣–١٩٧٣– ص٦٩.

(٤) الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي – ص٢٤٢.

تستخدم في التشبيه والاستعارة والكناية فقد تحمل الكلمة تصويرا وتؤدي العبارة صورة ، دون أن تتوسل بالمجاز أو بغيره من عناصر التصوير ، فيرصد الشاعر عناصر واقعه في عبارات تصور واقعه ، وتترجم آماله . فيعبر عن تجربته الذاتية بلغة تفاعلت فيها الألفاظ ، وأعطت من الإيحاء أبعادا فنية ، وظلالا خاصة نبعت من تركيب الألفاظ ، وترتيبها واستخدامها ، وتفاعل بعضها مع البعض ، فيبرز ما فيها من جمال ، وقيم خاصة ، لا تبدو في شكلها كوحدات مستقلة ، بل بتفاعلها معا بقدرة الملتقي علي تخيل المعاني ، والصورة وراء الكلمات التي توسل بها الشاعر في التعبير عن تجربته المعاشة.وقضايا المجتمع وما يختلج في نفوسهم. وهي نتاج لتفاعل الخيال الشعري فهو الذي يخلق لنا جميع الألوان البيانية وليس عليه نقل المشاهد ضربة لازم ولكن إعادة تصويره بطريقة تجمع بين المتباينات واكتشاف علاقات جديدة فيها . وتتآزر في تكوين الصورة كل الأدوات الفنية بما فيها الموسيقى الشعرية . وعلى هذا القول الذي جمع أقوال النقاد التي قدمت سأمضي في معالجة الصورة الفنية عند البستي ، ولي أن أذكر كلام مصطفى السيوفي الذي نوه فيه إلى أن الصورة ليست مختصة بالشعر فقط ولكن توجد في النثر أيضا ومن ذلك قول أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم[(١)]: ((فالأرض قد نشرت ملاءتها ، وسحبت رداءها ، ولبست جلبابها، وقلدت سخابها ، وبرز الورد من كمامها ، واهتز الروض حمامه ، والأشجار قد نشرت شعورها ، وهزت رؤوسها ، والدنيا قد بدأت بشرها وأماطت عبوسها))[(٢)].

المطلب الرابع : وظائف الصورة الفنية :

---

(١) هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن حزم أبـو المغيـرة أديـب أندلسـي مـن الكتاب من أهل الزاوية من قرية أونبة .تنقل إلى بلاد الثغر وكتب عن عدة ملوك واتسعت ثروتـه توفي شاباً سنة ٤٣١ – معجم المؤلفين عمر كحالة ج٦ ص ٢١٨

(٢) ملامح التجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري : دكتور مصطفي محمـد أحمـد السيوفي – الطبعة الأولى ١٩٨٥ – ص٣٣٩.

يرى الباحث أن من أهم مطالب الصورة الفنية وأولاها بالتقديم وظائفها. فأي عمل له وظيفته في الحياة ، وكل مخلوق له وظيفة من أجلها خلــق ، إذ التعريف بالوظيفة يصبح مقدما على كنه العمل نفسه ، ومن هذا المنطق قدمت الحديث عن وظيفة الصورة الفنية على أشكالها .

يعتبر الشعر العربي من النوع الغنائي يقول أحمد أحمد بدوي: ((ليس عند العرب من أنواع الشعر المعروفة لنا اليوم ، إلا النوع الغنائي ، الذي يتغنى فيه الشاعر بعواطفه ، ويصف لنا مشاعره ، فليس فيه ملاحم، ولا شعر تمثيلي ، ففنون الشعر عند العرب هي ألوان من الشعر الغنائي)) [١]

وتندرج كل الأغراض التي صاغ فيها الشعراء العرب ، داخل هذا النوع . فكل أغراض الحياة عندهم مباحة للشعر والشعراء ، يخوضون فيها ويتفننون في تعاطيها ، والتعامل معها كلٌ على طريقته وأسلوبه .

وقد اختلف نقاد العرب في تسمية الأغراض ، وعددها ، فقد جعلها صاحب ثمرات الأوراق أربعة هي: الفخر والمديح والهجاء والنسيب[٢] ووافقه صاحب الموشح في العدد ، لكنه وضع الوصف مكان النسيب[٣]. وفي نقد النثر المنسوب لقدامة جعلها أربعة كذلك ، وسماها المدح والهجاء والحكمة واللهو[٤]، لكنه في كتابه نقد الشعر ، جعلها ستة ، حيث عددها في باب – المعاني الدال عليها الشعر – قال : ((جماع الوصف لذلك أن يكون المعنى مواجهاً للغرض المقصود ، غير عادل عن الأمر المطلوب ، ولما كانت أقسام المعاني التي يحتاج فيها على أن تكون على هذه الصفة مما لا نهاية لعدده ،

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب – أحمد أحمد بدوي القاهرة مكتبة نهضة مصر ، الطبعــة الثالثــة ١٩٦٤– ص ١٣٧ .

(٢) ثمرات الأوراق : تقي الدين الحموي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيــروت دار الجيــل ، ط٣، ١٤١٧ هــ ــ ١٩٩٧ م ص٧٧ .

(٣) الموشح : المزرباني ، تحقيق علي محمد بجاوي القاهرة دار الفكر بدون تاريخ ص ١٧٢ .

(٤) نقد النثر : قدامة بن جعفر ، بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هــ ــ ١٩٩٥ م ص٨١ .

ولم يكن يؤتى على تعديد جميع ذلك ، ولا أن يبلغ آخره ، رأيت أن أكر منه صدراً ينبي عن نفسه ، ويكون مثالاً لغيره ، وعبرة لما لم أذكره ، وأن أجعل ذلك في الإعلام من أغراض الشعراء ، ومما هم عليه أكثر حوماً، وعليه أشد روماً ، وهو : المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه)) [١].

وفي قوله اقتصار وإن زاد على ما ذكرنا ، وجعله التشبيه والوصف أغراضاً فيه خلط ، حيث أن التشبيه ، والوصف يدخلان في أغراضٍ أُخرى .

وقد زادها ابن رشيق إلى تسعة هي : النسيب، والمدح، والافتخار، والرثاء، والاقتضاء والاستنجاز، والعتاب، والوعيد، والهجاء، والاعتذار[٢].

وإزاء هذا التفاوت في الأغراض يقول أحمد أحمد بدوي : ((وسواء ارتفعنا بعدد الفنون إلى تسعة ، أو نزلنا بها إلى واحد ، فإن ذلك لا يغير من الحقيقة شيئاً ، فمن اقتصر على العدد القليل أدخل الفنون بعضها في بعض ... غير

---

(١) نقد الشعر ص ٩١ .

(٢) قال ابن رشيق وقال بعض العلماء بهذا الشأن بني الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء ثم أعاد وذكر عن الرماني أنه قال أغراض الشعر خمسة النسيب والهجاء والفخر والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة في الوصف ثم يذكر في صفحة ١٢١ من الجزء الأول إن عبد الكريم قال يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح والهجاء والحكمة واللهو . ثم يتفرع من كل ذلك فنون فيكون من المديح المراثي والافتخار ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ويكون من الحكمة الأمثال والتزهيد والمواعظ وصفة الخمر والمخمور ثم أردف قائلا قال قوم الشعر كله نوعان مدح وهجاء فإلى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما يتعلق بذلك من محمود الوصف لصفات الطلول والآثار والتشبيهات الحسان وكذلك تحسين الأخلاق كالحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والقناعة ، والهجاء ضد ذلك كله غير أن العتاب حال بين حالين فهو طرف لكل واحد منهما وكذلك الإغراء ليس بمدح ولا هجاء لأنك لا تغري بإنسان فتقول انه حقير ولا ذليل إلا كان عليك وعلى المغري الدرك ولا تقصد أيضا بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجه أهـ العمدة : ابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت دار الجيل ج ١ ص ١٢٠ ــ ١٢١ قلت : فانظر كيف ذهب الناس مذاهب شتى في استقصاء الأغراض .

أن الذوق العام كان يفضل من بين أغراض الشعر أربعة ، يؤثرها على غيرها هي: النسيب والفخر والمديح والهجاء)) [١].

ولي أن أذكر في هذا المقام أن هناك من قسم هذه الفنون على أساس ديني خلقي ، فشعرٌ هو خير كله ، وشعرٌ هو ظرف كله ، وشعرٌ يتكسب به[٢] وهو رأيٌ لم يشتهر العمل به[٣]. ويرجع تعدد موضوعات الشاعر إلى نفسية الشاعر وطباعه والعوامل المختلفة التي أثرت عليه [٤].

ويجدر بي أن أتناول بعض التعريفات والمصطلحات الحديثة للأغراض وهي وظيفة الصورة الفنية ، فقد سبق أن تحدثت عن الصورة الفنية كمصطلح عصري له امتداد تراثي ، حيث وردت كلمة التصوير عند الجاحظ في تعريفه للشعر كما مر ، وتأثر النقد الحديث بموجات الحضارة الغربية من مناهج ومصطلحات . فالأغراض هي ما اصطلح عليه حديثا بوظيفة الصورة الفنية مع شيء من التوسع . يقول أبو صباح علي الطيب : ((الوظيفة للصورة هي إبراز ما في الشعر من قيم روحية حيث يصور الشاعر تجربته في صورة محسوسة ، تصور لنا ذلك الوفاء والإخلاص والشهامة والكرم والصدق والحب وجميع الصفات الحميدة ، حتى تظن أنك أمام صورة حية . فالوظيفة بالنسبة للصورة انعتاق وتحرر ، تكسب المعاني أبعادا جديدة ، وتعمل على الارتقاء الفني ، والجمالي باللغة ، والتعبير حيث تأنس الانسياب الذي يحكي

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ١٣٨ و١٣٩ .

(٢) انظر العمدة ص٧٦ .

(٣) يرى عبد الله الطيب أن أقدم أغراض الشعر ما كان متصلا بحياة الجماعة وعقيدتها وعرفها ووجوه نشاطها وهو الذي يسميه الناس الآن بالأدب الشعبي ـــ المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب دار جامعة الخرطوم للنشر ط ٢ ، ١٩٩٢ ج٤ القسم الأول ص٣٣١.

(٤) الصورة الفنية في شعر أبي ذؤيب الهذلي رسالة ماجستير إعداد الطالبة إيمان خلف الله يحي جامعة أمدرمان الأسلامية٢٠٠٣ ص١٣٧ .

مهارة الأديب وإبداعه في التأليف بين الكلمات في نظام مبتكر))[1]. وينطلق الشاعر من تعبيره التصويري مؤمنا بحتمية الأداء الوظيفي للصورة ، والجمع فيها بين الجمال في الصياغة والتشكيل وتصوير المواقف وترجمة الانفعال[2]. وعلى هذا يمكنني القول : أن لكل صورة دورها في الأداء الوظيفي ، أو الغرضي في تشكيل جزئية مع قرينتها من الصور الأخرى ، ولا تعجز الصورة الجزئية عن أداء الوظيفة إذ هي تصور من جوانب الصورة الكلية .

---

(١) الصورة الفنية في شعر البحتري، أبو صباح علي الطيب رسالة ماجستير، ١٩٩٨ ص ٥٣ .

(٢) الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ص ٤٠٣ .

المبحث الثاني
الأغراض الكبرى

طوَّف أبو الفتح البستي على كل هذه الأغراض ، فوظف شعره في المدح والفخر والغزل والخمر والشكوى والحكمة والإخوانيات ، لكن ديوانه جاء على الترتيب الهجائي ، لا على الترتيب الغرضي . إلا إن الثعالبي حينما أورد طائفة من شعره في اليتيمة قسمها على الأغراض التالية[1]

١. ما أخرج من ملحه في الغزل والنسيب .
٢. وصف الكتب والخط والبلاغة .
٣. من ملحه في الفقهيات .
٤. في الأدبيات .
٥. من الطبيات والفلسفيات .
٦. من النجوميات .
٧. من ملح مدحه وما يتصل بها .
٨. من الأخوانيات .
٩. من باب الشكوى والعتاب .
١٠. الذم والهجاء .
١١. الشيب والكبر .
١٢. الأمثال والنوادر والحكم والمواعظ وما يجري مجراها .

وفي هذا التقسيم تداخل ، ففي وصف الكتب والخط والقلم الذي جعله غرضاً مدحاً على الحقيقة لبعض أصدقائه ، وأغراض الفقهيات والطبيات والفلسفيات ليست أغراضاً مستقلة ، وإنما تأتي في سياق الفخر وغيره كما

---

(١) انظر يتيمة الدهر ج٤ ص ٣٥١ إلى ٣٨٢ .

سيتبين في هذا الفصل . عليه سأضرب صفحاً عن تقسيم الثعالبي هذا وأعمد إلى الآتي:

المطلب الأول : الفخر

وهو من أقدم الأغراض ، وقد كرهه بعض القوم ، جاء في الهوامل والشوامل ((سمج مدح الإنسان لنفسه ، لأن المدح تزكية للنفس ، وشهادة لها بالفضائل ، ولما كان الإنسان يحب نفسه رأى محاسنها ، وخفي عليه مقابحها، بل رأى لها من الحسن ما ليس فيها ، فقبح منه الشهادة بما لا يقبل منه ولا يرى له))[١]

ولكن ابن رشيق يجيز الفخر للشعراء يقول : ((فليس لأحدٍ من الناس أن يطري نفسه ويمدحها من غير منافرة ، إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب))[٢]. وهو ما عليه النقاد وبه العمل ، بل دار أكثر الشعراء حول هذا الغرض وقلما نجا شاعر من بعض الأغراض في شعره إلا هذا الغرض ، فهو شركة بين الجميع .

وعلل أحمد أحمد بدوي جواز الفخر في الشعر بقوله : ((ولعل السر في أن الفخر جائز في الشعر ، دون غيره من فنون القول ، أنه اتبع فيه سنن شعراء العصر الجاهلي ، فإن المجتمع كان يحتاج من الشاعر يومئذٍ أن يشيد بفضائل قبيلته ، وأن يرفع من شأنها في نظر غيرها من القبائل ، وكان الشعر يومئذٍ هو سجل المفاخر ، ومقيد المآثر ، فكان من ميادينه الفخر بالقبيلة ،

---

(١) الهوامل والشوامل : أبو حيان التوحيدي ومسكويه ، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، القـاهرة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م ، ص ١١٧ .

(٢) العمدة ج١ ص٨ .

والفخر بالنفس ، ونهج الشعراء بعدئذٍ منهج الشاعر الجاهلي ، فبقي مجال الفخر مفتوحاً أمام الشاعر ، مغلقاً أمام غيره من الناس)) [١]

يفتخر البستي بالفضائل في الأبيات التالية ، حيث يري أن فضائله تغنيه عن الجري وراء الغنى ويا لها من مفخرة ، رغماً من أنه نابه حسباً ، ويعتقد أن استغناءه عن الدنيا هو تاجه وزينته . يقول[٢] :

قالوا: رضيت بدون حقِّك، والغنى * يسمو بصاحبه إلى العلياءِ**

فأجبتهم، والقولُ مني فيصلٌ * يحكي غِرارَ السيف وقتَ مضاءِ**

حسبي التكثُّرُ بالفضائل، إنها * ذخري ليومَيْ شِدَّتي ورخائي**

فإذا تمادى مَعْشَرٌ في مفخرٍ * كنتُ الأحقُّ بسؤددٍ وعلاءِ**

وغنايَ عن دنيايَ أشرفُ زينةٍ * منْ أن يكونَ، بنَيْلِها استغنائي**

وينوه إلى حسبه في صدر الأبيات التالية ، إذ أنه من عبد شمس من جهة الآباء وبني هاشم أعمامه ، وأخواله من بني عبد المدان[٣]، أي أنه قرشي النسب ، ولكنه سرعان ما يلتفت عن هذا الشرف في النسب ، ويضرب عنه صفحاً ويتجه بكلياته ليفتخر بقلبه ، وما استكنَّ فيه من الفضائل . ولسانه وما يُخرج من الدرر ، وبنانه وما يخط به من الأشعار والأقوال ، ويجعل منهم ركيزة فخره وعنوان شرفه بل يزعم بلا مواربة أنما بنى نفسه بهم ، ويمكن أن أقول اختصارا إنه أراد أن الشرف ليس بالنسب والحسب وإنما بالعلم يقول[٤] :

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٢٢٢ .

(٢) ديوان أبى الفتح البستي ص٢١ .

(٣) عبد المدان : من صميم قريش وهم مشهورون بالشرف والعزة ، والمدان صنم كانوا يعبدونه .

(٤) ديوان البستي ص ٢٠٤

أنا العبد تَرفعُنـي نسبتـي * إلى عَبدِ شمس قَريعِ الزَّمانِ**

وعَمِّي شَمسُ العُلا هاشِمٌ * وخالي مِنْ رَهْطِ عبدِ المَدانِ**

ولكِنَّ فَخري بالأصَغَرَيْنِ * بقَلبي والمُنتضى مِن لِساني**

ولي من بناني شأن بديعٌ * ولو شئتُ قلتُ بَناني بَناني**

وهذا فخارٌ به الفرق دانٍ * إلى حيث يسلكه الفرقدان**

وفي الأبيات أدت الصورة الفنية وظيفتها ، واستعان في إبرازها بالجناس وما له من وقع جرسي رنان في بناني و بناني الثانية .

وعلى هذا المنوال يسير في امتداحه لشمائل نفسه والفخر بها ، كلما لاحت له الفرصة ، فحينما يتحدث عن مجالس الأُنس ، يجعل من العلماء خلانه ويجعل نفسه نظيراً لهم في العلم ، ويزري بالجهال . يقول[١]:

لا أُنْس إلا في مجالسَ تلتقي * بفنائِها الأشكال والنظراءُ**

فليجتنبني كلُّ نذلٍ جاهلٍ * وليصطنعني سادتي العلماءُ**

إنَّ الجهولَ تضرني أخلاقه * ضرر السعالِ بِمن به استسقاءُ**

ولعل إشارته الطبية في الشطر الأخير ، أراد بالإتيان بها التأكيد على أنه عالم في كل مجال ، حتى في العلوم الطبية ، والتي هي بعيدةٌ عن العلوم الأدبية ، وعلى العموم تكثُر في أبياته مثل هذه الإشارات ، حتى أفرد لها الثعالبي باباً في اليتيمة أسماه الطبيات والفلسفيات[٢].

وله في الفخر أيضاً[٣].

---

(١) ديوان البستي ص ٢١.

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ٣٥٧ .

(٣) ديوان البستي ص ٢٨ .

وإذا ضـمتِ الكفـايةُ قومـاً * في مَضَمِّ البيان لم يلحقـوا بـي**
صادقُ الوعدِ والوعـيدِ جميعـاً * ولسانُ الحكـيمِ غيـر كـذوبِ**

يفتخر هنا بكفاءته وتقدمه على أقرانه ، وصدقه وحكمته وشدة بأسه، وهو صادق في نعته لنفسه بالكفاءة ، فما أوردت من فصل حياته يبين ذلك. واستطاعت الكناية إن تعين الصورة على أداء وظيفتها في (مضم الزمان).

ويفتخر البستي بشعره ، ويذكر سيرورته في الآفاق ، وهو محقٌ صادقٌ في دعواه هذه ، فيكفيه من ذلك نونيته التي أفرد لها الأدباء شروحاً منهم ذو النون بن أحمد البخاري المتوفى سنة ٦٧٧هـ وغيره ، ويكفيه امتلاء كتب البلاغة بأبياته كشواهد بلاغية ، يقول[١]:

سيدي ، أنـت لا تُخِـلُّ بِخِـلٍّ * لمْ يُكدِّر ، لِـورْدِ وُدِّكَ شِـربا**
وتذكر سـوابقي إنَّ فيهـ ـنَّ لِسَرحِ الآمال مرعىً وأبـا
رُبَ شعرٍ ، لمّـا مـدحتُكَ فيـه * سار في العـالمين بُعـداً وقُرْبـا**
فكأنّي أوْدَعْتُـه فلـكَ الشمـ ـس ، فعمَّ البلادَ شرقاً وغربـا

فهي صورة جميلة انظر كيف جعل الآمال تسرح في المراعي وكيف وفق في ذلك ففيها صورة إبتداعية محببة ، ثم طابق بين شرق وغرب ليكمل المحسن البديعي للصورة زخرفها فتؤدي وظيفتها بالصورة المطلوبة .

وله في ذات المعنى[٢]:

إذا أحببـتَ أن تَحْظَـى بسـحرٍ * فلا تختَرْ على لفْظَـي وشِـعْري**

---

(١) ديوان البستي ص ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٢ و٢٥٣ .

فأحسنُ من نظامِ الــدُّرَّ نظمــي * وآنــقُ من نِثارِ الــوَرْدِ نَثْــري**

ويضمِّن في أبياته التاليات جماع صفات الفضائل من عطفٍ وصدق مودة وكرمٍ وعفة وشهامة ويكرر في آخرها أنه صادقٌ فيما يصف به نفسه من صفات من خلال الخير يقول(١):

ثقوا، معشرَ الناس بــي، إننــي * على معْشرِ الناس حــانٍ حَــدِبْ**

أُقيمُ على الودِ ثَبتَ الجنانِ * فــلا اســـتحيلُ ولا أضــطرب**

وأسْــخو بواجــب حقِّــي ولا * ألــظُّ بحــقِّي وإنْ لــم يجــب**

ألا فاتقوا بــي فـــإنِّي كمـــا * تمدَّحت ولْيَمتحِنْ مَــنْ يُحِــب**

فما كوكَبي راجعٌ فــي الإخــاءِ * و لا بــرجُ قلْبيَ بالمـــنقلب**

ويفرد لفخره بكرمه بيتين جاعلا فيهما الكرم إرثاً دله عليه أبوه فهو لم يبتدعه ثم يهش للكرم والجود بعبارات الترحاب التي تطلق على الإنسان . يقول(٢):

إنْ كنتُ أختار السُّلوَّ فلا تُــرِحْ * يا ربِّ قلْبي الدهرَ مــن أوصــابِه**

بالجودِ أوصــاني أبي فَحفِظتُــهُ * أهلاً وسهلاً بالــذي أوصــى بِــه**

فإن كان قلبه يريد التخلص من الجود ويخلد للراحة فإنه يدعو الله على قلبه ، لأن هذه الصفة وصية من والده ، ولا بد من إنفاذ الوصية فمرحبا بها ، وقد طغى الزخرف البديعي على الصورة فملأها تلألؤاً وإشراقا.

وله في فخره بالجود أيضاً والازدراء بالمال(٣)

---

(١) ديوان البستي ص ٣٠ و٣١ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق ص ٦١ .

إذا اعتزَّ بالمال الرجالُ فإنـــنا * نرى عِزَّنا في أن نجودَ وأن نَسْخو**

وعِزُّ الورى بالمال يُنْسخُ عاجلاً * وعِزُ الفتَى بالجودِ ليس لـــه نَسخٌ**

ويجعل العدل منهاجه والبعد عن الهوى في بيتين يلمح فيهما أنه إمام في هاتين الصفتين وعلى الآخرين الاقتداء به ، ويقف في شطرهما الأخير متسائلاً سؤال الواثق بنفسه هل من هاجٍ أو معيب على سبيل الفخر . يقول[١]:

يا أيُّها الباحث عــن مَنهَجــي * لِيقْتَــــدي فيـــهِ بِمِنـــــــهاجي**

مِنهاجِيَ العَدلُ وقَمْــعُ الهــوى * فهـــل لِمنهـــاجيَ مِـــن هـــاج**

وله في فخره بعدله وحلمه أيضاً[٢]

العدلُ ميــزاني فَمَنْ يــرَ غيره * عــدلاً فــإني تـــاركٌ ميزانـــهُ**

والحلمُ مِنْ شأني فَإنْ شَان امرؤ * أدبـــاً بِحِدَتِـــه فحلمـــي زانـــهُ**

ويوضِّح البستي أن المعالي ليست نهباً تسترق ، بل هي مذاهب تُتبع ، وأنه مستمسكٌ بها لا ينحرف عنها ولا يصدف ، في بيتين وردا في شكل حوار مع غانية وهو أسلوب له بعده البياني في إبراز الصورة الفنية ، في أبيات تمتلئ بالتكرار الترنمي أو اللفظي وقد أعطى تكرار حرف الهاء فيها جرسا مليحا ، ثم زخرفها بالبديع في المجانسة بين مذاهب وذاهب ولعله بذلك أراد أن يقول إن الغواني والحسان لا يصددنه عن المعالي ، ولا يصرفنه عن المجد مما يعطي تمسكه بالمعالي بعداً آخر. يقول[٣]:

---

(١) ديوان البستي ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٤ .

وقائلةٍ: إنَّ المعـالي منـاهِبٌ * فقلتُ لها: أخْطأتِ هـنَّ مـذاهبُ**

أرادتْ صُدوفي وانحرافي عنِ العـلا * وما أنا في هذي المذَاهِبِ ذاهـبُ**

والأبيات التالية جمع فيها صفات الشجاعة من عزة وإباء وشدة بأس ، بل أضاف أنهم أرغموا الملوك قسراً على الطواف بكعبتهم ، التي بنوها بأطراف الأسنة ، وأنهم يجازون الناس حسب معاملة الناس لهم ، والأبيات من بحر الطويل وهو بحر يليق بأغراض الفخر ، واهتم بالمعاني فيها لذا جاءت الصنائع البديعية فيها قليلة التي قد تجبر الشاعر على الانحراف عن المعنى المراد ، وتخير لها من الألفاظ ما توافرت فيها الفخامة ، ومن التراكيب ما امتلأت بالرصانة ، فهي أبيات قوية الألفاظ ، وتلمح في ثناياها أساليب التهديد، ولا نلحظ فيها الرقة التي تمتليء بها أشعاره ، فهي غريبة عن أساليبه التي نعرفها ، ولعله قد صاغها يريد بها الفخر بدولته ، فالضمير نحن يدل على الدولة ، كما جاءت كلمة حكومة في أول الأبيات ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه، إذاً سر مخالفته للمعاني التي كان يفتخر بها فيما سبق من العلم والفضائل، ولجوؤه للفخر بقوة البأس والمقاتلة وما إلى ذلك ، أنه هنا يتحدث باسم دولته فلزم المقام تغيير معاني الفخر التي كان يتناولها حينما يكون الفخر مختصاً بنفسه . إذاً هو غيْري في هذه الأبيات ذاتي فيما سواها في تناوله لغرض الفخر يقول[١]:

ونحن أُناسٌ لا نـذِلُ لجـانفٍ[٢] * علينا ولا نرْضى حكومةَ حـائفِ**

ملكنا المعالي بالعوالي فـجارنا * عَزيزٌ ومَنْ نكفُلْ به غيرُ خائفِ**

ورثـنـا عنِ الآباء عند اخْترامها * صفائحَ تغْني عن رُسومِ الصحائفِ**

---

(١) ديوان البستي ص ١٢٣.

(٢) جانف : جائر .

تُــؤمّــرُنا أســيافُنا ورمــاحــنا *** إذا لمْ يُؤَمرنا لـــواءَ الخلائــفَ

بنيــنا بأطرافِ الأســنةِ كعْبــةً *** أطاف بها قسْراً مُلوكُ الطوائــفِ

فَمنْ شاءَ فلْيخْشُنْ ومَنْ شاء فليلنْ *** فما نَقــدُنا إن قارضونا بزائــفِ

وسوف نُجازي باللطائفِ أَهْلَهــا *** ونَسقي ذُعافَ السّمِّ أهْل الكتائفِ(١)

وفي الأبيات نظرٌ إلي بائية أبي تمام في فتح عمورية انظر لكلمتي صفائح وصحائف .

وعلى ذات النهج جاء البيتان التاليان يقول(٢) :

إنَّ أسيافنا العضاب الــدوامي *** جعلتْ ملكنا قـــديمَ الـــدوامِ

واقتحام الأبطال في وقت حــام *** واقتسام الأموال في وقــت ســامِ

ومثله قوله (٣):

ونحــن إذا تصـــدينا لحــربٍ *** عبــوسٍ وجههــا دانٍ ضُــحاها

نُبكِّي المَشْـــرَفيَّ دمــاً نجيعــاً *** وضِحْكُ المشْــرَفيَّةِ فــي بكاهــا

غرسنا في مســاعينا غُروســاً *** يطيب علــى الليــالي مُجتناهــا

وشَــيــدَّنا مبــانيَ للمعالــــي *** يَدومُ على الزمــانِ قُــوى بُناهــا

---

(١) في هذا الشطر الأخير دليل آخر على قولي أن هذا الفخر تمثل فيه الشاعر روح الدولــة التــي لا تتهاون مع كل من يعبث بهيبتها أما هو فطبعه غير ذلك فهو يعفو ويصفح يقول في ديوانه ص ١٢٥

إنْ كنْتَ تطلُبُ رتبــةَ الأشــرافِ *** فعليكَ بالإحســانِ والإنصــافِ

وإذا اعتدى خِــلٌّ عليــكَ فخَلِّــهِ *** والدَّهرَ فهْوَ لهُ مُكــافٍ كــافِ

(٢) المصدر السابق ص ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١١ .

عليه فإن فخر البستي بنفسه ، قام على عناصر الفضائل من العلم والعدل والحلم والكرم ،وارتياد المعالي ، وصدق المودة ، وأدبه وشعره وكفايته وحكمته ، ولم يفتخر بماله علماً بأن منصبه في الدولة يتيح له الاغتناء، بل كان يزدري المال[١] كما لم يفتخر البستي بنسبه كما يفعل كثير من الشعراء ، ولكنه ذكر نسبه النابه في بيتين ، ولكن ليس على سبيل الفخر ، بل أكد فيما يليهما من أبيات أن فخره بقلبه ولسانه . وذهب أكثر من ذلك بذم من يفتخر بنسبه[٢]. إذاً فصور الفخر عند البستي جاءت نفسانية ، وليست جسمانية وهذا هو ما عليه قدامة بن جعفر في الصفات التي يجب الفخر والمدح بها[٣].

وحينما يتمثل البستي الدولة ، فإن صور فخره تختلف كما لاحظنا عنها في فخره بنفسه ، فعناصر الفخر هنا العزة ، وإباء الضيم ، واقتلاع المعالي بالسيوف ، وحماية المستجير ، والفخر بالسيوف الموروثة عن آباء صدق ، واجتلاب الأمجاد والملك بها ، وإذلال الملوك والتهديد والوعيد ، وقتل

---

(١) يقول في الازدراء بالمال

تكثَّرْتَ بـــالأموال جَهــلاً وإنّــــما * تكثَّرْتَ باللّاتي تَــروحُ وتَغْتَــدي**

فأنتَ علَيها خائفٌ غَصْبَ غاصِــبٍ * وحيلةَ مُحتالٍ وغِيلَـــةَ مَرْصَــدِ**

فهَلاّ اقتنيْــتَ الباقيــاتِ الّتي لَهـــا * دَوامٌ على طُولِ الزَّمــانِ المؤبَّــدِ**

فضائلَ نفســانيةً لـــيسَ يَهتــدي * إلى سلبِها مــن أهلِها كيــدُ مُعْتَــدِ**

هِيَ العلُم والتَّقوى هيَ البأسُ والحِجى * هي الجُودُ بالمَوجودِ والفكرُ في غَدِ**

الديوان ص ٦٨ .

(٢) يقول في ذم من يفتخر بنسبه

وأخلَقُ خَلْــقِ اللهِ بـــالذُلِّ تائــهٌ * يَتيهُ بــلا عِلــمٍ حَــواهُ ولا أَدَبْ**

يقـــولُ إذا استَنْهضْــتَهُ لِعَظيمَـــةٍ * شَرُفتُ وأغناني عنِ النَّصَبِ النَّسَبْ**

الديوان ص ٣٥ .

(٣) يرى قدامة أن فضائل الناس من حيث أنهم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيـه مـع سـائر الحيوان فلذا قصر صفات المدح والفخر على العقل والشجاعة والعدل والعفة. نقد الشعر ص٩٦.

الأبطال. فهي عناصر بدوية قحة استلزمها اختلاف المقام ، خاصة إذا علمنا أن دولته كانت دولة ناشئة تحدق بها الأخطار من كل جانب ، وما تخرج من حرب حتى تدخل في أخرى ، حتى استقام لها الأمر فغدت تغزو ، وتغزو حتى فارقها . عليه فقد وفق البستي في اختيار عناصر فخره بنفسه وبدولته متبعاً مقتضى الحال في كليهما .

ويقول :

زُفتْ إليكَ لنـــا عَــرائِسُ أربـــعُ * فَفَضضْتُها بالسمعِ وهي قصائدُ[1]**

فابعثْ إليّ مُهـــورَهنَّ بأســـرِها * إنَّ النكاحَ بغيـــر مَهْـــرٍ فـــــاسدُ**

وفيها فخر بشعره ، إذ شبهه بالعرائس ولا ينبغي أن يفهم من البيت الثاني أنه يستجدي بشعره بل ساقه إليه البديع كما يعتقد الباحث .

ويقول مفتخرا بفروسيته ولين طبعه في بيت واحد:

لا يغرنك أنَّنـــي لـــين المــــــسِ * فغربـــي إذا انتضـــيت حســـامُ[2]**

أنا كالوردِ فيـــه راحـــةُ قـــومٍ * ثـــم فيـــــه لآخريـــــن زكـــامُ**

فقد رسم في البيتين صورة فنية رائعة لفخره بنقيضين هما الشدة واللين وهي صورة جيدة جدا وكان للتشبيه أكبر الأثر في إبراز هذه الصورة وتعليل النقيضين .

ويقول مفتخرا بشعره وهو من الطويل:

يقولونَ ذِكرُ المَرءِ يبقى بنَســلِهِ * وليسَ لهُ ذكرٌ إذا لم يكُنْ نَسْــلُ[3]**

---

(١) ديوان البستي ص٢٣٦.

(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق ١٥٩ .

فقلتُ لهم نسلي بدائعُ صــنعتي *** فإن فاتنا نسلٌ فإنا بهــا نســـلو

فقد جعل شعره بمثابة ولده في الذكر .

وهكذا يظهر كيف استطاع البستي توظيف الصورة الفنية لخدمة وظيفة الفخر فقد نهج في فخره بتصوير المعاني النفسية من رجاحة عقل وعفة وكرم وفخر بأدبه وعلمه كما هو منهج قدامة ، ويتخذ من البديع أجلّ أدواته ليستعين به في توضيح المعنى وتوشيته ليظهر أكثر نصاعة وإشراقا إلا حين يفتخــر بدولته فألفاظه قوية ومعانيه فيها قوة فهم ملوك أرغموا غيرهم ، وهم ســادة السيوف الموروثة ، وهم أهل الحرب . وتقل هنا الصور البديعيــة والتــرنم اللفظي . وإجمالا فقد كان البستي موفقاً في توظيــف الصــورة الفنيــة لهــذا الغرض .

المطلب الثاني : المدح :

يقول أحمد أحمد بدوي : ((لم يكن هذا الباب من أبواب الشعر العربي في أول نشأته ، وأغلب الظن أنه تأخر عن الوجود عن كثير من فنون الشعر التي يتغنى فيها الشاعر بعاطفة قديمة شخصية كالغزل مثلاً))(١)، وهــو رأي وجيه له حجته ، لكن مع إيمان الباحث بهذا الرأي لا يعتقد أنه يــؤثر علــى أهمية هذا الغرض ،فقد قدمه عبد الله الطيب قارناً إياه بالهجاء ، بــل نســب إليهما سائر الأغراض(٢)، وذكر عبد الله الطيب ماضيا في تعزيــز رأيــه أن الشعراء كانوا دعاة الدولة وأسنتها ، وكانوا لحيوية الشعر واللغة نافذين إلـــى

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب ص ١٨٠ .

(٢) يقول دكتور عبد الله الطيب في المدح والهجاء: وهما أهم أغراض الشعر ومن شاء نســب ســائر الأغراض إليهما إذ الغزل مدح والرثاء مدح والوصف منه مدح ومنه هجاء وأبواب مــن الكــلام تتوسط بينهما كالعتاب وضروب من مذاهب المزح ، حسب مداناتها الســخرية والــتهكم والهــزو وبعدها من ذلك ـــ انظر المرشد ، ج٤ قسم ١ ص ٦٠٣ .

الأغراض ، يُقلون الحز ويطبقون المفصل ، وقد مدح الحطيئة[1] عمــر بــن الخطاب ﷺ فقال :

أَنتَ الأَمينُ الَّذي مِن بَعدِ صاحِبِهِ * أَلقَت إِلَيكَ مَقاليدَ النُهى البَشَــرُ[2]**

لَم يوثِروكَ بِها إِذ قَدَّموكَ لَهــا * لَكِن لأَنفُسِهِم كانَــت بِــكَ الخِيَــرُ**

وكان ذلك مما شفع له عند عمر وكان بالشعر عالماً[3].

وقال قدامة : ((كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفع منزلة من الخطيب ، لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر ، وحماية العشيرة ، وتهييبهم عند شاعر غيرهم من القبائل ، فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على نفسه ، فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة ، وتولوا به الأعراض ، وتناولوها صارت الخطابة فوقه))[4] يريد استكراه الناس للتكسب بالشعر في المدح[5].

---

(١) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي أبو مليكة شاعر مخضرم أدرك الإسلام ، كان هجاءً عنيفا ، لم يكد يسلم من هجائه أحد وهجا أمه وأباه ونفسه . ونهاه عمر عن هجاء الناس . توفي ســنة ٤٥ هــ – الأعلام للزركلي ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) ديوان الحطيئة شرح د .يوسف عيد . بيروت دار الجيل . ط ١ سنة ١٩٩٢ ،ص ١٠١

(٣) المرشد . عبد الله الطيب ج٤ قسم ١ ص ٦٠٧ .

(٤) العمدة ج ١ ص ٨٢ –٨٣ .

(٥) بين ذلك نصا حيث قال (وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاما لها كما قال امرؤ القيس بن حجــر يمــدح بني تيم رهط المعلى :

أَقَرَّ حَشا اِمرِئِ القَيسِ بنِ حُجــرٍ * بَنــو تَــيمٍ مَصــابيحُ الظَــلامِ**

لأن المعلى أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء ، لقتله بني أبيه الذين قتل بدير مرينا، فقيل لبني تيم (مصابيح الظلام) من ذلك اليوم لبيت أمريء القيس وقال أيضاً لسعد بن الضباب :

سَــأَجْزِيكَ الــذيْ دَافَعْــتَ عَنِّــيْ * وَمَا يَجْزِيكَ عَنِّي غَيْر شُــكْرِي**

فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت العمدة ج ١ ص ٨٠ .

وسرعان ما أفاض الشعراء في المدح ، حتى صار أوسع ميادين الشعر العربي ، وقد جاراهم النقاد في العناية به ، على الرغم من أن منهم من قرر أن الشعراء قد فقدوا بهذا المديح من قدرهم الذي كان لهم قبل التكسب بشعرهم، ــ كما مر ــ . وافتن النقاد في إرشاد الشعراء إلى طرق نيل الحظوة عند ممدوحيهم[١] وعنوا كل العناية بنظام القصائد في المدح ، وبالحديث في معانيها، فصارت هذه القصائد في بنائها جامعة لكثير من التقاليد، التي سنها الجاهليون في نظام القصيدة بعامة ، ثم كان مجال التجديد في أجزائها لكنها ظلت تحاذي القديم حتى في منهج تجديدها نفسه[٢].

وقد استحسن النقاد في المدح ما استحسنوه في الفخر وهو المدح بالعقل والشجاعة والعدل والعفة ، عليه فإن من يمتدح عليه أن يتجه إلى الفضائل النفسية دون غيرها وإن كانوا قد سمحوا في المدح بالمبالغة ، وتطلبها الممدوحون[٣].

وهذا الغرض يعد غرضاً أساسيا لدى أبي الفتح البستي ، وقد أحصي الباحث أكثر من مائة قطعة في المدح وما يتبعه من تهاني وشكر واستماحة وطلب عفو وأحسب أن عمله في ديوان الإنشاء ، وما يقتضيه من بناء العلاقات بينه وبين أمراء الدويلات حوله كان له أثر في الإكثار من تناوله لهذا الغرض ، ومن ظهرت أسماؤهم من ممدوحيه من خلال كتب الأدب لا يتعدون العشرين وردت أسماؤهم وعرفتهم لشهرتهم ، وتبقى عدد كبير لم أستطع معرفتهم ، فلم يكن دوماً يذكر أسماء الممدوحين ولكن في الغالب كان يذكر صفاتهم وهل هم من طبقة الأمراء أم غيرهم من رجال العلم والأدب .

---

(١) يقول أبو تمام في وصيته للبحتري : إذا أخذت في مدح سيد ذي أيادٍ فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه ، وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها . وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام . زهر الآداب ، ج ١ ص١٠١

(٢) انظر النقد الأدبي الحديث : محمد غنيمي هلال ، بيروت دار العودة ١٩٨٧ م. ص١٧٦.

(٣) انظر أسس النقد الأدبي ص ٢٢٢ .

وعند مديحه لذوي السلطان ، يخلع عليهم ألقابهم . أو يصف ما يحبونه من عطف وبر . أو ينشد ما يرجو تحقيقه منهم إلى ذلك قوله [(١)]:

مَلِكٌ يفيضُ على العُفاةِ سِجالَهُ * وعلى العُداةِ بسَطْوِهِ سِجِّيلا**

وإذا حَباكَ بغُرَّةٍ من مالِهِ * ثَنَّى وأعقَبَ غرَّةً تَحجيلا**

فهو ملك كريم يفيض كرمه على العافين . أما عداته فإنه يرجمهم بحجارة من سجيل . ثم يضيف البستي من أوصاف كرم الملك أنه يعطي ثم يعطي وهو فرح . وقد أجاد البستي في توظيف الصورة الفنية هنا .

أو قوله:

يا سَيِّدَ الأُمراءِ يا مَن جودُهُ * أوفى على الغَيثِ المَطيرِ إذا همى[(٢)]**

الغيثُ يُعطي باكِياً مُتَجَهِّماً * ونَراكَ تُعطي ناضِراً مُتَبَسِّما**

ذكر مقام ممدوحه وهو الإمارة ثم قارن بينه وبين الغيث وفضله عليه، حيث أنه وصف جري انكباب الغيث بالبكاء فاستغل هذا الأمر خير استغلال حين قال إن ممدوحه يعطي مبتسما والغيث يعطي باكيا كأنه مرغم على العطاء في صبه والمعنى شركة بين الشعراء إلا أن في البيت الثاني قدم البستي هذه الصورة الجميلة التي قارن فيها بين ممدوحه وبين الغيث وبذه عليه .

وله في الشكر على العطية:

لئِن عجَزَتْ عن شُكرِ برِّكَ قُوَّتي * فأقوى الورى عن شُكرِ برِّكَ عاجِزُ[(٣)]**

---

(١) ديوان البستي ص ٢٨٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩١ .

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٣ .

فإنَّ ثنائي واعتِقادي وطاعــتي * لأفــلاكِ مـــا أولَيْتَنِـــيـــهِ مـــراكِزُ**

يصور قصوره عن شكر ممدوحه ، بل قصور الخلق عن إدراك ذلك . عليه جعل طاعته واعتقاده وشكره لممدوحه ، وفي البيت لمحة فخرية حيث شرط عجزه بعجز أقوى الورى .

وقال أيضا:

لا تظنّنْ بي ـ وبــرّك حــيٌّ ـ * أنَّ شكري كشكر غيري مــواتُ**[1]

أنـــا أرضٌ، وراحتـــاك ســـماءٌ، * والأيادي غيثٌ، وشـــكري نبـــاتُ**

أبدع البستي في رسم صورة فنية في البيتين السابقين فشكره حي والجملة الاعتراضية ــ وبرك حي ــ أتت متسقة مع شكر الشاعر الحي . والمقابلة بين أرض وسماء جيدة ، ثم أتى التشبيه ليكمل لنا اللوحة الفنية بتشبيه الأيادي بالغيث والشكر بالنبات ، ولكن البراعة لا تقف على حدود التشبيه بل تتعداه إذ أن الغيث ينبت النبات فكلما هطل الغيث نبت النبات فزاد الشكر . فتأمل كيف نفذ إلى غرضه بطلب العطية بصورة ملتوية مهذبة رقيقة .

وله أيضاً:

يا مَنْ غَدا سَبَبي حتَّى عُرِفْتُ بهِ * حَسْبي عُلاكَ إلى نَيلِ المُنى سَبَبا**[2]

لَو لَمْ تُرِدْ نَيْلَ ما أرجو وأطلُبُــهُ * من فَيضِ جُودِكَ ما علَّمتني الطَّلبا**

يريد أن ممدوحه كان سبباً فيما وصل إليه حتى أصبح الشاعر يعرف بممدوحه . وقد أجاد .

---

(١) ديوان البستي ص ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ – ٣٨ .

يقول في الشفاعة[1]:

يا مَنْ تواضُعُهُ عَوْنٌ وسـؤدُدُهْ * نَجْـدٌ وهِمَّتُـهُ التَّفـريجُ لِكُـرَبِ**

أَوصِ الزَّمانَ بحِفظي مِن نَوائِبِه * فإن أحداثَهُنَّ السُّودَ تلعَـبُ بـي**

جمع الشاعر جيد الصفات وصبها صباً على ممدوحه في بيته الأول ، ثم طلب منه إن يوصي الزمان حفظه من نوائبه ، وفيه مبالغة وإفراط يقول قدامة عن الوصف المفرط ((وقد وصف شعراء مصيبون متقدمون قوماً بالإفراط في هذه الفضائل [يريد الفضائل الأربعة] حتى زال الوصف إلى الطرف المذموم وليس ذلك منهم إلا كما قدمنا القول فيه في باب الغلو في الشعر من أن الذي يراد به إنما هو المبالغة والتمثيل لا حقيقة الشيء))[2] عليه يقبل وصف أبي الفتح .

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي ((...أخبرني أبو الفتح البستي قال: عملت في الملك خلف ثلاثة أبيات، لم أبلغها إياه لكنها اشتهرت ، فلم أشعر إلا بثلاث مائة دينار بعثها إليَّ، والأبيات هي :

خَلَفَ بنُ أحـمـدُ أحمدُ الأخـلافِ * أربى بسـؤدُدِهِ علـى الأسـلافِ**

خلفُ بنُ أحمدَ في الـحقـيقةِ * واحدٌ لكِنَّـهُ مُـوفٍ علـى الآلافِ**

أضحى لآلِ اللَّيثِ أعلامِ الهُـدى * مـِثْلَ النَّبيِّ لآلِ عبدِ منَـافِ))**[3]

في هذه الأبيات الثلاث بضعة مسائل: منها أن الممدوح هنا أمير سجستان عليه تجوز المبالغة في الوصف ، ومنها أنه شبهه في آل الليث مثل الرسول (ﷺ) في آل عبد مناف وفيه سوء أدب ، ومنها ما سماه عبد الله

---

(١) ديوان البستي ص ٢٢٥.

(٢) نقد الشعر لقدامة ص٩٩

(٣) سير أعلام النبلاء الذهبي : ج١٧ص١١٧، والأبيات في الديوان، ص ١٢٥.

الطيب بالتكرار الخطابي[١] حيث كرر خلف بن أحمد في بيتين مما يقوي المعنى ، ومنها أنه قال إن الأمير خلف أعطاه مالاً فيبرز هنا سؤال هل كان البستي متكسباً ؟ لكي أجيب على هذا السؤال أقول إن أبا الفتح مدح الأمير خلف بعدها بقصيدة من البسيط جاءت في سبعة عشر بيتاً وتعتبر طويلة جداً بالنظر إلى مقطوعاته رأيت إثباتها كلها لجودتها :

مَنْ كانَ يَبغي عُلُوَّ الذِّكْرِ والشَّرَفا * أو يَبتغي عَطْفَ دَهْرٍ قد نَبا وَجفا[٢]**

أو كانَ يأمَـلُ عِـنـدَ اللهِ منزِلَةً * تُنـيلُـهُ قُـرَبَ الأبـرارِ والزُّلَفا**

أو كان يطلُبُ ديناً يسـتقيمُ بـهِ * ولا يرى عِوَجاً فيهِ ولا جَنَـفَـا**

أو كانَ ينشدُ ممَّا فاتَهُ خَلَـفـاً * فلْيَخدم المَلِكَ العَدْلَ الرَّضِيَّ خَلَفـا**

الوارِثَ العَدْلَ والعَلْياءَ من سلَفٍ * حَثَوا بعَليائِهِمْ في وَجهِ مَنْ سَـلَفا**

المُؤثِرَ القَصْدِ في أنحاءِ سؤدُدِهِ * فإنْ أرادَ عَطاءَ آثَـرَ السّـَرَفـا**

إذا التوى عُنُقٌ ولَّى حكـومَتَهُ * سيفاً إذا ما اقتضى حَقّاً لهُ انتَصَفا**

والسيفُ أبلغُ للأعناقِ موعظةً * كمْ من صليفٍ حماه حَدُّه الصـلفا**

وإن بدا كَلَفٌ في وجـه مكرمة * جلا بلا كُلفٍ عن وجهـه الكلفـا**

رضاهُ يصرفُ عمَّنْ يستجيرُ بهِ * صَرفَ الزَّمانِ إذا مـا نابُهُ صرَفا**

إذا اقشَعرَّ زَمـانٌ مـن جُدوبَتـهِ * أغنى الورى وكفى جودٌ له وكَفـا**

بسخطِه يـدَعُ الأفـلاكَ خـائفَـةً * والشَّمسَ حائرَةً والبَدْرَ مُنْكَسِـفا**

---

(١) يقول عبد الله الطيب في المرشد ((التكرار المراد به تقوية المعاني التفصيلية ولك أن تسميه التكرار الخطابي لأن الشعراء أكثر ما ينحون فيه منحى الخطابة وهو نوعان ملفوظ وملحوظ ، فالملفوظ ما ألح فيه الشاعر على استعمال كلمة واحدة بعينها أو كلمة مقاربة لها في الاشتقاق والملحوظ ما استعمل فيها الشاعر كلمات مترادفات أو متشابهات المعاني)). المرشد ج٢ ص ١٣٧

(٢) ديوان البستي ص ٢٧٠ –٢٧١ .

يرى التَّوقُّفَ في يَومَيْ وغى ونَـدى *** وَصْماً فإنْ عنَّ رأيٌ مُشكِلٌ وَقَفـا

لله نَصْلٌ ضـئيـلٌ فـي أناملِـهِ *** أعادَ حَظِّي سَميناً بَعدَ مـا نَحفـا

يهينُ أموالَهُ كي يَستفيـدَ بِـهـا *** عِزَّاً يُؤَثِّلُ في أعقابِـهِ الشَّـرفا

لا يلحقُ الواصِفُ المطريُّ معانيَهُ *** وإن يكُنْ سابِقاً في كُلِّ ما وَصَـفا

القصيدة قصيدة خطابية رائعة تتدفق بين فجاجها نعوت الفضائل ، فهو ينعته بالشرف والتقى والتفقه والعدل والحزم في شئون الدولة والكرم والقوة وهلم جرا ، كما تتدفق بين جنباتها صور بديعية جذابة انظر قرب المخارج في نبا وجفا في البيت الأول والتكرار الملحوظ في قرب والزلفا في البيت الثاني وبين عوجا وجنفا في الثالث ، والتجنيس بين خلفا وخلفا في الرابع . وسلفٍ وسلفا في البيت الخامس ، والمقابلة بين القصد والسرف في البيت السادس ، والمقابلة بين التوى واقتضى في البيت السابع ، والتجنيس بين الصليف والصلف في البيت الثامن وكلف والكلفا وجلا وبلا في التاسع ، وبين يصرف وصرف وصرفا في العاشر ، وبين وكفى ووكَفا في الحادي عشر وهكذا إلى آخر الأبيات لا يخلو بيت من الصور البديعية والبيانية التي زادت من بهاء الصورة الفنية .

ونستخلص مما جاء في سير الأعلام أن أبا الفتح ما أراد من الأبيات الثلاث الأولى التي امتدح بها خلف غير مجرد المدح ، ولعل موقعه في الدولة له أثر في ذلك لما يمكن أن نقول عليه ضرورات دبلوماسية، كما يقول أهل هذا الزمان، لتوطيد العلاقات بين الإمارتين ولم يكن محوجاً إلى المال لمكانته في الدولة كما أسلفنا ، إذن القصيدة الثانية المطولة تعبر عن شكر وامتنان أبي الفتح لما منحه الأمير خلف من هدية فهذا وضعها . ولأبي الفتح مقاطع أخرى تؤكد رأينا يقول:

لِمــــولايَ عنــــدي أيـــادٍ تَجِــلُّ * وتكثُرُ عــن صِــفَةِ الواصِــفِ[١]**

فــلا يَقْــدِحَنِّي بمــا لا أُطيـــــ * ـــقُ من شُطرِ معَروفِــهِ الآنــفِ**

فذِمَّـــــةُ شُـــكري مشـــغولَةٌ * بعُهــدَةِ إحســانِـــــهِ السّـــالِفِ**

هنا يطلب الشاعر من أحد ممدوحيه أن يتمهل في هداياه حتى يؤدي له شكر ما سلف ، فهل هذا هو مذهب المتكسبين . ولماذا لا أرى قصائد أخرى طويلة على غرار القصيدة التي أثبت آنفاً ، فجل مدائحه نتف صغيرة تأتي شكراً على نوال لا طلباً له ، أو طبعاً وحينما عزل البستي من منصبه وذاق ألم الحرمان فإنه لم يتكسب ، وإنما تضمن شعره الشكوى فهو إلى الاستماحة والرجاء أقرب منه إلى التكسب والاستجداء . يقول [٢]:

هلْ مُنِعمٌ في النَّاسِ أو مُفضِــلٌ * يرغبُ في الشُــكرِ وفــي الــذِّكرِ**

يجودُ بالــقِــيراط مــــن بِــرِّهِ * ويأخذُ القِنطــارَ مــن شُــــكري**

كَلاَّ فقد غابَ النَّــدى والسَّــدى * وماتَ أهــلُ الفَضــلِ والقَـــدْرِ**

وأصبــحَ النّـــاسُ ومــا فــيهِم * حُــرٌ إلـــى أُكرومَــةٍ يَــجـــري**

ما شئتَ من مالٍ ومـــن ثَــروَةٍ * ومــن عَــديـــدٍ وافِـــرٍ دَثْــرِ**

لكنّهُمْ من ضــيقِ أخلاقِــهِـــمْ * في أَضيَقِ العُســرَةِ والفَــقْـــرِ**

والمالُ مـــا لَــم يحــوِهِ فاضِــلٌ * أضيعُ من عِقـــدٍ بــلا نَــحـــرِ**

وحينما يمدح البستي نظراءه من الكتاب والوزراء والعلماء فقد كان يمدحهم بالبلاغة وروعة البيان والعلم والفضل .

---

(١) ديوان البستي ص١٢٦ –١٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٢ – ٨٣ .

قال مادحا[1]:

أهبت بأشعاري إلى السيد الندب * فجئنَ سِراعاً وانتـدبن إلى نـدبـي**

تيممته فاخضر عودي، وأشـرقتْ * سُعودي وفاءَ الخِصبُ لي عَقِبَ الجَدْبِ**

وكانت صروفُ الدهر بي قد توسدت * فصِرت كأنَّ الدهرَ لم يتوسدْ بـي**

أبا بكرٍ الممدوحَ! أُصفيك مِـدحتي * وأصفي الذي لم يصفك الود بالجـدب**

إلى المرتجى إن ليلُ مشكِلة سـجا * لكشفِ الـدجا بـالعلم والأَدب الأدْب**

الممدوح هنا يسمى أبو بكر ولم أعرف عنه شياً فاسمه مبتور لذا لم أعثر عليه في المظان ، ولكن البيت الخامس يدل على أنه من أهل العلم والأدب والأبيات لا تخلو من ملحه البديعية التي تعين علي أداء وظيفة الصورة الفنية . انظر إلى التجنيس بين كلمتي الندب وندبي في البيت الأول وكلمتي توسدت ويتوسد بي .

وقال يمدح القاسم بن حمزة الكاظم [2]

أنـا للِسَّـيِّدِ الشَّـريفِ غُـلامٌ * حَيثُما كنـت فَلْيُبَلَّـغْ سَـلامي[3]**

وإذا كُنـتُ للكِـرام غُلامـاً * فأنـا الحُـرُّ والزَّمـانُ غُلامـي**

وقد عرفت اسم الممدوح من كتاب عمدة الطالب وفيها يمتدح رفعة شان الممدوح ويتواضع إزاءه.

---

(١) ديوان البستي ص٣١.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة الكاظم خدم ملوك ساسـان وعاشـر كتابهم وله شعر. عمدة الطالب: لابن عنبة، تحقيق محمد حسن آل طالقـاني ، النجـف مطبعـة الحيدرية الطبعة الثالثة ١٣٨٠ هـ ــ١٩٦١ م ص ٢٢٨ .

(٣) ديوان البستي ص١٧٦ .

وله [١]:

ما إنْ سمِعْتُ بنُوّارٍ لــهُ ثَمــــرٌ * في الوَقتِ يُمتِعُ سَمْعَ المَرءِ والبَصَرا**
حتَّى أتاني كِتابٌ مِنكَ مُبتسِــماً * عن كُلِّ لَفظٍ ومعنىً أشبَهَ الدُّرَرا**
فكانَ لفظُكَ فــي آلائِــه زَهَــراً * وكــانَ مــعناكَ فــي أثــنائهِ ثَمَــرا**
تسابَقا فأصابا القَصْدَ في طَلَــقٍ * للهِ من ثَمَرٍ قــد سابَــقَ الــزَّهَرا**

يمتدح البستي في هذه الأبيات ممدوحه في أدبه وألفاظه ومعانيه ، لعل كتاباً من الممدوح ورد إليه فشبه ما فيه من ألفاظ ومعاني حيث شبه ألفاظه بالزهر والمعاني بالثمر ، وقد أصاب ولعلَّ ممدوحه كان أديبا .

وله أيضاً والأبيات [٢]

كتابُكَ سَــيِّدي جَلَّــي هُمــومي * وجَلَّ بــهِ اغتِبــاطي وابتِهــاجي**
كِتــابٌ فـــي ســـرائرهِ سُـــرورٌ * مُـــناجِيــهِ مِنَ الأحــزانِ نـــاجي**
فكَمْ معنىً بــديعٍ تْحــتَ لَفــظٍ * هُنــــاكَ تــــزاوَجَا أيَّ ازدِواجِ**
كَراحٍ في زُجــاجٍ بــل كَــرُوحٍ * سَرتْ في جسمٍ مُعتــدلِ المِــزاجِ**

أو قوله [٣]:

بنفسيَ مَنْ أهدى إلــيَّ كتابَـــهُ * فأهدى ليَ الدُّنْيا معَ الدِّينِ فــي دُرْجِ**
كِتابٌ معانيــه خِــلالَ سُــطورِهِ * لآلِئُ في دُرْجٍ كــواكــبُ في بُرجِ**

---

(١) ديوان البستي ص٩٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٣ .
(٣) المصدر السابق ص٥٤ .

وله مقالة أخرى يقول فيها[1]:

فهِمْتُ كتابَكَ يـــا سـيّـــدِي *** فهِمْــتُ ولا عجــبٌ أنْ أهـــيما
وذاكَ لأنِّـــي تأملْــتُ مِــنـــــــ *** ـــهُ دُرّاً نظيماً وبِــرّاً عَظــيـــماً
وصـــادَفْتُهُ صــدَفاً للعُلـــــــو *** مِ ضمّنَ مِنها البَـديعَ الـــيَتيما
فكْم من كواكِبَ تجلـــو البَهــيمَ *** وكمْ من مشـــارِعَ يَــروينَ هيمـــا
وكمْ روضـــةٍ تَســتفيدُ الريـــا *** ض مِنهُنَّ نوراً ونَبْتـــاً عَميمـــا
وكمْ قد قرانِـــيَ لفظـــاً وســيماً *** عَلَيهِ من الطبَّــعِ حُسْــنٌ وســيما

والمعني يتكرر في مدح الألفاظ والمعاني ، ويزينه التجنيس .

وقال يمدح أبا عبد الله محمد بن حامد[2]:

مُحَمَّدُ بــنُ حامــدٍ إذا ارتَجَــلْ *** ومرَّ فـــي كَلامِــهِ علـــى عَجَــلْ
أقلامُهُ يَســقينَ كُــلَّ ناصــحٍ *** وكاشحٍ كأسَــيْ حَيَــاةٍ وأجَــلْ
فَناصِــحوهُ مُشــرِقونَ بالأمــل *** وكاشِــحوهُ مشــرقون بالوَجَــلْ
أبقاهُ لِلــدِّين والــدُّنْيا معـــاً *** ولِلَمعالي رَبُّنا عَـــزَّ وجَـــلْ[3]

---

(١) ديوان البستي ص ٢٨٩ .

(٢) الترجمة من اليتيمة قال الثعالبي : (حسنة من حسنات خوارزم وغرة شادخة في جبينها يرجع إلى كل فضل ويجمع بين قول فصل وأدب جزل ويؤلف بين أشتات المناقب وينظم عقود المحامد وله خط يستوفي أقسام الحسن ونثر كنثر الورد ونظم كنظم الدر وكان في عنفوان شبابه يكتب لأبي سعيد الشبيبي وهو منه بمنزلة الولد والعضو من الجسد) اليتيمة ج ٤ ص ٢٨٤.

(٣) ديوان البستي ص ٢٨٧ .

يمتدح ممدوحه في كلامه ، ويمتدح خطه ، وله فيه قطعتان أخريان لا يخرجان عن هذه المعاني . وله واصفاً ممدوحه بالرأي السديد [١]

وإذا أعوزَ الصوابُ وأضحى * منهم القول مُرْتَج الأبواب**

وانبرى دون ضوئه وتجليـ * ـه نقابٌ يضلُّ رأيَ النقاب**

بعثتْ نفسه النفيسة فيه * فكَراً تستدِر صوب الصواب**

ومن استعراضي لما فات من مدائحه ، أعتقد أنها جرت على مجريين، مجرى مدح الملوك والأمراء . وفيه يوظف البستي مدحه في امتداح الملك، وقوة الشكيمة ، والخلال النفسية ، وبهاء الوجه ، والمغالاة في النعوت من الشجاعة وقوة الإرادة ، والتصرف في العالم إلى ما سواه كما تبين وظهر في ما اخترته من مدائح[٢] وقد أصاب فيها .

ومجرىً آخر يمتدح فيه أصدقاءه من الأدباء والعلماء ، وفيه يختار من الصفات ما يناسب الممدوح من الفضل والعلم وبراعة الأسلوب ورشاقة الألفاظ وإشراق المعاني وحسن الخط وهكذا .

---

(١) ديوان البستي ص ٢٥ .

(٢) يقول أحمد أحمد بدوي: ((إن نقاد العرب أدركوا أن المدح أو معظمه على أقل تقدير يتصف بسمتين أساسيتين هما : أنه ناشئ من غير عاطفة صحيحة طبيعية ، وأنه كاذب في دعاويه لا يلتزم جانب الصدق . وهاتان الصفتان جديرتان أن تلقيا بشعر المدح إلى الهاوية ، لولا أن هذا الكذب في التصوير له فضله في أن الشاعر لا يرسم بشعره لوحة لإنسان معين السمات ولكنه يرسم بقلمه لوحة لإنسان فاضل فهو إذ يرسم لنا صورة الحاكم يصور لنا صورة الحاكم المثالي ذا الصفات الرفيعة وعندما يرسم الوزير يصور الوزير المثالي كما ينبغي أن يكون وهكذا يكون لبعض شعراء المدح أثره في تصوير المثل العليا للإنسان المثالي وربما كان لهذه المثل أثرها في نفوس قرائها وفي هداية الناس إلى العمل بما يصل إلى تحقيقها فإن للشعر أثره في هز النفوس وتحريكها)). أسس النقد الأدبي ص ٢١٦ .

عليه فقد أصاب البستي واختار لكل صنف ما يناسبه من صفات . وكذلك لم يكن البستي من المتكسبين بالشعر فقد كان ذا منصب مرموق ، وإنما كان يشكر على ما يصله من هدايا .

وقد استطاع بهذا المنحى أن يوظف صورته الفنية في خدمة غرضه بأن يسلك هذين المسلكين في مدح الملوك والأدباء خير توظيف .

وقبل أن أختم حديثي عن المدح أود أن أورد مقالة طريفة لعبد الله الطيب يرد فيها على من ينكرون على المدح ، ويقرنونه بالسؤال ، يقول: ((وأهل العصر قد فشا فيهم إنكار المدح وقرنه بالسؤال ، وإراقة ماء الوجه والخجل للأدب العربي وللشعر العربي من كثرته فيه ، وصحف عصرنا هذا ، ليس لها عمل إلا المدح والهجاء . تفعل ذلك كل يوم . ورجال الصحافة لهم إلى رجال السياسة حلٌ وترحال ويرغبون ويرغب إليهم . ويرهبون ويُرهبون. ويَكسبون ويُكسبون . وكذلك كان حال الشعراء ، حين كان الشعر هو طريق الدعاية الأكبر وليس في شيءٍ من ذلك عار))[١] فلله دره .

المطلب الثالث : الهجاء:

وهو باب من أبواب الشعر المهمة ، فسبق أن قلت إن بعض النقاد رد جميع الأبواب إلي المدح والهجاء فقط[٢].

ويري قدامة: ((أن الهجا ضد المدح فكلما كثر أضداد المديح في الشعر كان أهجى له ؛ ثم تنزل الطبقات علي مقدار قلة الهاجي فيها وأكثر)) [٣]. عليه فإن قول قدامه يلزم أنه لما كان المديح الجيد أنما يكون في الفضائل النفسية

---

(١) المرشد :عبد الله الطيب ج ٤ قسم ١ ص٦٠٣-٦٠٤ .

(٢) انظر المرشد ج١ ص ٣٠٦ .

(٣) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١١٣ .

فكذلك الهجاء الجيد يكون بسلبها . فإذا سلب المهجو شيئاً غير الفضائل الإنسانية فيكون الهجاء معيباً وهذا ما عليه قدامه[١].

ويخالف ابن رشيق قدامه في رأيه يقول: ((وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء بها دون ما تقدم . وقدامه لا يراه هجواً البتة وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً ولا يعد الهجو به صواباً))[٢] وينقل ابن رشيق أن النقاد إلا القليل يخالفون قدامة في مذهبه إذ يرون أن الهجاء سائغ بالعيوب الجسمية ، ونقص الآباء والأمهات[٣] وفي هجاء المتنبي لكافور[٤] وهجاء ابن الرومي ــ وهو يعد من أقوى الهجاء ؛ تأييد لمذهب ابن رشيق . قال المتنبي[٥]:

وَتُعجِبُني رِجلاكَ في النَعلِ إِنَّني * رَأَيتُكَ ذا نَعلٍ إِذا كُنتَ حافِيا**

وَمِثلُكَ يُؤتى مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ * لِيُضحِكَ رَبّاتِ الحِدادِ البَواكِيا**

وقوله[٦]:

مَن عَلَّمَ الأَسوَدَ المَخصِيَّ مَكرُمَةً * أَقَومُهُ البيضُ أَم آباؤُهُ الصيدُ**

---

(١) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ١١٣ .

(٢) العمدة لابن رشيق ج ٢ ص١٧٤ .

(٣) المصدر السابق ج٢ص١٧٤ .

(٤) كافور: (أبو المسك)، توفى سنة ٣٥٧هـ، كان مملوك الأخشيد ملك مصر، تولى الحكم بالوصاية بعد وفاة سيده سنة ٩٤٦م، أصبح سلطان مصر وسوريا سنة ٩٦٥م، جمع حوله الأدباء والشعراء ومدحه المتنبئ ثم عاد فهجاه. المنجد، ص٤٥٢.

(٥) ديوان المتنبي: شرح البرقوقي بيروت الناشر دار الكتاب العربي ١٩٨٦ ص ٤٣٣ ج ٤ .

(٦) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٧ .

يقول القاضي الجرجاني[١] في الهجاء البليغ ((فأما الهجو ، فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل محفظه وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس . فأما القذف والإفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن ، وتصحيح النظم)) [٢].

وقال خلف الأحمر[٣]: ((أشد الهجاء أعفه وأصدقه وقال أيضا ما عف لفظه وصدق معناه))[٤] وهو ما عليه أبو عمرو بن العلاء[٥] فيروى أنه قال: ((خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقبح بمثلها)) [٦] وهذا هو الفرق بين الهجاء والإفحاش . ومن أشد الهجاء ، الهجاء بالتفضيل ، وسموه

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ . اشتهر بالفقه وفسر القرآن واشتغل بالتاريخ . الذريعة ج ١٣ ص٢٧٤

(٢) العمدة ج٢ ص ١٧١ . .

(٣) خلف الأحمر الشاعر . يكنى أبا محرز مولى بلال بن أبي بردة . حمل عنه ديوانه أبو نواس وتوفي في حدود الثمانين ومائة . وكان رواية ثقة علاّمة يسلك الأصمعيّ طريقه ويحذو حذوه حتى قيل : هو معلِّم الأصمعي . وهو والأصمعيّ فتَّقا المعاني وأوضحا المذاهب وبيَّنا المعالم . ولم يكن فيه ما يعاب به إلا أنه كان يعمل القصيدة يسلك فيها ألفاظ العرب القدماء وينحلها . الوافي في الوفيات ج١ص١٨٧٤ .

(٤) العمدة ج٢ص١٧١ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء اسمه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهمة بن حجر بن خزاعي بن مازن وكان أبو عمرو من أهل الفضل ممن عني بالأدب والقراءة حتى صار إماما يرجع إليه فيها ويقتدى باختياره منها توفى سنة ست وأربعين ومائة بالبصرة – معجم المؤلفين ج٣ ص ٣٤٦ .

(٦) وقد أورد قول أوس للتمثيل قال :

إِذا ناقَةٌ شُدَّت بِرَحلٍ وَنُمرُقٍ * إِلى حَكَمٍ بَعدي فَضَلَّ ضَلالُها**

العمدة ج٢ ص١٧٠ .

المقذع لأن فيه الموازنة التي ترفع هذا وتضع ذاك ، فيحدث في النفس أذى نحو بيت جرير[١].

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِـن نُمَيـرٍ * فَـلا كَعبـاً بَلَغـتَ وَلا كِلابـا**[٢]

والصدق في الهجاء من أشد الهجاء كما قال خلف : سره أن الشاعر يذكر نقائص المهجو الحقيقية [٣].

ومن أبلغ الهجاء ما سلك فيه الشاعر مسلك التشكيل والتجاهل نحو قول زهير بن أبي سلمى[٤]:

وَما أَدري وَسَوفَ إِخـالُ أَدري * أَقَـومٌ آلُ حِصـنٍ أَم نِسـاءُ**

فَإِن تكـن النِسـاءُ مُخَبَّـآتٍ * فَحُـقَّ لِكُـلِّ مُحصَـنَةٍ هِـواءُ**

وهذا من أشد الهجاء وأمضه[٥].

والتعريض في الهجاء أشد من التصريح قال ابن رشيق معللاً ذلك: ((باتساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به ، والبحث عن معرفته ، وطلب حقيقته ، فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً ، وقبلته يقيناً في أول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان النسيان أو ملل)) [٦].

---

(١) هو جرير بن عطية بن الخطفي بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع التميمي أبو حرزة . ولد باليمامة وعاش عمره يناضل شعراء زمانه . كان هجاء مرا كان بينه وبين الفرزدق والأخطل مهاجاة توفى باليمامة سنة ١١٠ وعمر نيفا وثمانين سنة – معجم المؤلفين عمر كحالة ج ٣ ص ١٢٩ .

(٢) ديوان جرير بيروت دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٩١ ص٦٣ .

(٣) انظر العمدة ج٢ ص ١٧١ .

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٢ .

(٥) العمدة ج٢ ص١٧١ .

(٦) المصدر السابق ج٢ ص ١٧٢-١٧٣ .

والشعراء أيضاً في الطبع مختلفون ، منهم من يسهل عليه المدح ويعسر عليه الهجاء ، وما يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل، وقيل للعجاج[1]: ((إنك لا تحسن الهجاء . فقال : إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نظلم ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظلم . وهل رأيت بانياً لا يحسن أن يهدم . وليس هذا ما ذكره العجاج ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل لأن المديح بناء والهجاء بناء وليس كل بانٍ بضرب بانٍ بغيره)) [2]. ويعلق عبد الله الطيب علي قول ابن قتيبة قائلاً : ((ولكلا القولين وجه من الصواب . وذلك لأن المدح يخالطه بيان الفضائل وربما احتاج ذكرها إلى ذكر أضدادها ليبينها ومن أجل ذلك قال أبو الطيب[3]:

وَنَذيمُهُم وَبِهِم عَرَفنا فَضلَهُ * وَبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشياءُ**

ثم يقول : ومراد ابن قتيبة واضح وذلك إن بناء القصيدة كلها على الهجاء ليس بهدم ولكنها إنشاء وعمل فني)) [4].

ويبرز هنا سؤال ونحن نستعرض ما يمتلئ به أدبنا القديم من هجاء . هل هذا الوصف الممعن في الإيذاء المشتط في السب وإظهار العيوب فن جميل يناسب عصرنا هذا ؟ يرد على هذا عبد الله الطيب حين يقول: ((يدخل الهجاء وما فيه من رفث القول في باب ما يلذه الذوق الحضاري . وطريقة الحضارة والبداوة في هذا مختلفة. البداوة ذات تخشين متعمد حين تقذع بالرفث. ويكون ذلك عن انفعالة حدة غضبه ، أو قصد إضحاك في ساعته أو

---

(١) هو أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي هو وابنه راجزان مشهوران كل منهما له ديوان رجز ليس فيه سوى الأراجيز – معجم المطبوعات العربية اليان سركيس ج٢ ص ١٣١١ .

(٢) الشعر والشعراء: ابن قتيبة بيروت دار إحياء العلوم الطبعة السادسة ١٩٩٧م ص ٣٩٧ .

(٣) ديوان المتنبي ج ١ ص ١٤٩ .

(٤) المرشد ج٤ قسم١ص ٦٥٢-٦٥٣ .

بسالة هجوم صارخ . وأكثر رفث الهجاء في شعر الفرزدق[١] الحضري يجمع بين التهكم والهزو والإضحاك)) [٢].

وكل شيئ يثير فينا الإعجاب هو شيء جمالي بغض النظر عن كنهه طالما استلطفه الأدب وما الجمال الفني إلا ذاك الأمر الذي يثير فينا إنفعالات لأنها مصدر إعجاب لذاتها نتأثر ، أي حتى إذا كان موضوع الأدب في حد ذاته غير موصوف بالجمال ، عليه يدخل من هذه الزاوية الهجاء ، ففيه تبرز ملكة الأديب في إثارة انفعالات كامنة فينا .

وفي معرض حديثه عن الانفعالات التي يثيرها الشاعر في الهجاء يقول أحمد بدوي : ((إنه يثير فينا الإعجاب بالشاعر ، الذي استطاع أن يرتسم بقلمه النقائص التي يراها فيمن يهجوه ، وبهذه المهارة التي رسمها بها، كما يعجب المرء بصورة مصور ماهر صور بائساً بالي الثياب ، متغضن الوجه ، معروق العظام . يثير فينا إعجاب بمقدرة الشاعر على لمح هذه النواحي الناقصة ومقدرته على إبرازها في قوة وجلاء ، كما هو المصور الفني يبرز ناحية النقص فيمن يصوره . يثير فينا ناحية التهكم الباعثة على الابتسام بل على الضحك أحيانا))[٣].

لم يكن أبو الفتح البستي هجاءً بطبعه . بل كان رجلاً مرهف الشعور والإحساس . لا ينطق بالكلمة المعيبة ، لأنها ضد طبعه . فلم يكثر من هذا اللون ، ولعل أبياته التالية دليل على ذلك، يقول[٤]:

---

(١) الفرزدق (٦٤١ – ٦٣٣م): هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع التميمي، من شعراء الأمويين الكبار، ولد في البصرة، واشتهر بالمدح والهجو، نشبت بيته وبين جرير مناقضات، له لغة غنية بالألفاظ والتعابير. المنجد، ص٤١٠.

(٢) المرشد ج٤ قسم١ ص٦٨٢–٦٨٣ .

(٣) أسس النقد الأدبي ص ٢٥١ .

(٤) ديوان البستي ص٣٠ .

توقَّ مُعاداةَ الرِّجالِ فإنَّها * مُكَدِّرَةٌ للصَّفْوِ من كُلِّ مَشْرَبِ**

فلا تَسْتَثِرْ حَرباً وإن كنتَ واثِقاً * بشدَّةِ رُكنٍ أو بقُوَّةِ مَنكِبِ**

فَلَنْ يَشربَ السمَّ الذُّعافَ أخو حجىً * مُدِلاًّ بِدرْياقٍ لَديهِ مُجرَّبِ**

فكأنه وضع منهجه في هذه الأبيات ، وهي الوقاية من معاداة الرجال ، أو ترك هجائهم ، ولكنه لم يترك الهجاء جملة ، بل سعى إلى ذم الأخلاق الخسيسة كالشر والبخل وهذا ما ضمنه في الأبيات الآتية(١)

مَنْ مَبلِغُ الأشرارِ عنِّي أنَّني * مادامَ بي طَرفٌ وعِرقٌ يَنبِضُ**

أقليهُمُ طُرّاً لأنِّي ضِدُّهُمْ * والضِّدُّ للضِّدِّ المُنافِس يبغِضُ**

وإذا رأوْني مُقبلاً فلْيعلَموا * أنِّي بوَجهِ الودِّ عنْهُم مُعرِض**

فلعله هنا يستدرك على ما أثبته في الأبيات الأولى التي قال فيها ، (توق معاداة الرجال) ، ويحترز من أن الأشرار ليسوا داخلين فيما ذهب إليه أولاً بل أنه سيقليهم ويبغضهم مادام حيا . بل إنه يصرح بألا تحتقر إنساناً لدمامة وجهه أو رثاثة ثيابه يقول(٢):

لا تَحقِرِ المَرءَ إنْ رأَيْتَ بِهِ * دَمامَةً أو رَثاثَةَ الحُلَلِ**

فالنَّحْلُ شيءٌ على ضؤولته * يشتار منه الفَتى جَنى العَسلِ**

فهو غير معادٍ للرجال إلا من كان منهم شريرا ، وهو غير محتقر للفقراء وغير مكترث بمنظر الرجل . هذا جملة ما أثبته في الأبيات السابقة كمنهج له في حياته وشعره . وسوف أجلِّي الآن موقفه من الأشرار .

---

(١) ديوان البستي ص١١٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٤ .

ذم البستي عمال نيسابور وقال فيهم[1]:

لله نَيْســابورُ مِــن حِـلَّـــهْ *** مـــا مـــِثْلُها دارُ ولا حِلَّــهْ
وَللخَيْــرُ والمَيْــرُ بهــا كَثْــرَةٌ *** لَلَشَّــرُّ والضَّــيْر بــهــا قِلَّــهْ
فِيهــا كِــرامٌ ســادَةٌ جِلَّـــهْ *** ســادُوا علــى السّــادَة والجِلَّــهْ
مـــا عَيْبُهـــا إلاّ بعُمّالِـــها *** فالبُخــلُ والمَنــعُ لهُــمْ مِلّــهْ
جَفُّوا فما فــي طيــنِهم لِلّــذي *** يَعصِــرُهُ مـــِن بِلَّـــةٍ بِلَّــهْ
فهــذهِ أولـــى خِطــابي لَهُــم *** وبعـــدَها مـــا يهتِـــكُ الكِلَّــهْ

فقد وصفهم بالشر ، والبخل . فهو دينهم وملتهم . والأبيات سطحية المعاني ضعيفة الصورة الفنية .

وله يذم التيه بلا علم ولا أدب [2]:

وأخلَــقُ خَلــق اللهِ بالــذُلِّ تائِــهٌ *** يَتيــهُ بــلا عِلــمٍ حَـــواهُ ولا أَدَبْ
يقــولُ إذا استَنْهضْــتَهُ لِعَظيمَـــةٍ *** شَرُفتُ وأغناني عنِ النَّصَبِ النَّسَــبْ

ولا هجاء فيها ، وهي إلى الموعظة أقرب ، ولا صورة فنية ولا جمال بديعي فهي بالتقريرية ألصق .

وله [3]:

يا عائِبَ الحبرِ والأقلامِ ما قدحتْ *** زِنادُ قولِكَ غيرَ الإفْــكِ والكَــذِبِ
لولا المَحابِرُ والأقلامُ لانطمَستْ *** مِنَ الأنامِ رُســومُ العِلــمِ والأدَبِ

---

(١) ديوان البستي ص٢٨١-٢٨٢ .

(٢) المصدر السابق ص٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص٣٧ .

هَذي قَليبُ القُلوبِ الصَّادِياتِ وذي * أرشاؤها يُستقى مِنها بــلا تَعَــبِ**

وهنا يذم من يعيب العلم والأدب ويصفه بالكذب ثم يلتفت إلي العلوم يُعلي من شأنها وينوه لشرفها . وليس فيها هجاء أيضا ، بل هو يمدح الأقلام . وله [1]:

لكُمْ تــاجُ الأُبُــوَّةِ راقَ حُســنا * وفَــوق الــرِّزقِ دُونَكُــمُ الرِّتــاجُ**

تَشــــينُكُمُ حــــوائجُكُمْ إلينــــا * وكيــفَ يَــروقُ للمُحتــاجِ تــاجُ**

يذم السؤال ويجعله شائناً للمرء الشريف .

وهجاؤه أقرب للتهكم والمداعبة منه إلي الإيلام يقول [2]:

يا مُخلف الميعاد ! كم تجفوني!؟ * وَمُجَوِّدَ الإنشاد! كــم تهجــوني؟**

أفما ترى في ذي البَــرِيَّةِ قاســياً * فتَذُمَّ قســوتَه بِشــعْرِكَ دونـــي**

ما إنْ عدَوْتك في ثنائي عامــداً * فبأَيِّ ذنــب فيــه قَــدْ تعــدوني؟**

أنا شاكرٌ للعُرْف نشْر يد، فكــمْ * عِنْدَ العميد المرتضي تشــكوني؟**

يا قاسيــاً والقافُ منه نقـــطةٌ * ومعرضاً في شــعره للهُـــونِ**

رفقاً بشيخٍ في ودادك مُخْلِــصٌ * بِهَــوَاكَ طُــول زمانِــه مفتــونُ**

وهي كما يبدو ردٌ على هجاء كان قد أنشأه المهجو فيه ولعله كان قد مدحه من قبل كما يبدو في البيت الثالث ، إذن هو صديقه لا محالة ويؤكد ذلك

---

(١) ديوان البستي ص٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص١٩٦ .

البيت الأخير (رفقاً بشيخٍ في ودادك مخلصٌ)، زد على ذلك أن الأبيات ليس فيها أي هجاء ممض بل هي إلي التهكم أميل ، انظر لقوله:

يا قاسيـــاً والقاف منه نقـــــطة * ومعرضــــاً في شعره للهُــــون**

فإذا حذفنا إحدى نقطتي القاف فالأمر لا يعدو أكثر من الضحك .

ومثل قوله [١]:

وقالُوا فعظِّـمْ قـدرَهُ ومحلَّـهُ * فإنَّ أبا الخَطّابِ شَيخٌ لـهُ نَفْسُ**

فقلتُ لهُ نفسٌ ولكِـنْ سـخيفَةٌ * ونحنُ علـى أمـثالِها أبـَداً نفسـو**

فأبو الخطاب كما أوردنا في الفصل الأول صـديقه والبيـت لا يعـدو الإخوانيات وهكذا يمضي أبو الفتح في مقطوعاته هذه وهي مقطوعات تثيـر الضحك ويغلب أنها في مجالس الشرب . عليه يمكن أن أقول أن أبا الفتح لـم يكن هجاءً بل تخلو مقطوعاته من الهجـاء المـؤذي الممـض ، ولكـن لـه مقطوعات أقرب للملح والإخوانيات . ولم يستطع توظيف الصورة الفنية لهذا الغرض فلا معاني فيها وقلت التشبيهات والاستعارات . بل حتـى الزخـرف البديعي لم يكن حاضرا في مقطوعاته هذه . وإن كان قد استطاع أن يبث فينا الضحك والطرفة .

المطلب الرابع: النسيب:

وهو ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن[٢]. وقد كان في البدء غير مستقلٍ عن المدح . يقول محمد غُنيمي هلال: ((وأكثر

---

(١) ديوان البستي ص١١١ .

(٢) انظر نقد الشعر قدامة، ص ١٣٤ .

ما بقي لنا من الغزل الجاهلي كان مقدمة لقصائد المدح ، وقلما استقل هذا الغزل بقصائد على حده في العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام ومنذ العصر الأموي أصبح الغزل جنساً أدبياً مستقلاً ، وتنوعت فنون القول فيه متأثرة بالبيئة الاجتماعية وما كان لها من صدى في الحياة العاطفية. وإلى جانب هذه القصائد المقصورة على هذا الجنس الأدبي ظل المديح يفتتح كذلك بالنسيب على ما جرت به العادة منذ الجاهلية مع اختلاف في المعاني التي صورت بها العاطفة في العهدين)) [١].

وهناك ثلاث كلمات تتوارد كأنها مترادفات وهي التشبيب والغزل والنسيب فهل بينهن فرق . قال ابن سلام[٢] في معرض حديثه عن عبيد الله بن قيس الرقيات[٣]: ((وكان غزلاً وأغزل من شعره شعر عمر بن أبي ربيعة[٤] وكان عمر يصرح بالغزل ولا يهجو ولا يمدح وكان عبيد الله يشبب ولا يصرح – هنا فرق ابن سلام بين الغزل والتشبيب ثم استخدم ابن سلام النسيب

---

(١) النقد الأدبي الحديث ــ ص١٨٨ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي أحد الأخباريين والرواة وله كتاب الفاضل في ملح الأخبار. والشعراء وكتاب بيوتات العرب وكتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين . الفهرست لأبن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ تحقيق رضا تجديد بيروت دار المعرفة ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ .

(٣) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك من بني عامر بن لؤي شاعر قريش في العصر الأموي خرج مع مصعب على عبد الملك بن مروان . انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير أكثر شعره في الغزل سمي بالرقيات لأنه كان يشبب بنسوة اسم كل واحد منهن رقية ــ الأعلام الزركلي ج ٤ ص ١٩٦ .

(٤) عمر بن أبي ربيعة (٢٣-٩٣) هو عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو حفص بن أبي ربيعة . ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب فسمي باسمه . كان يفد إلى عبد الملك بن مروان فيكرمه . غزا في البحر فاحترقت السفينة به ومن معه . فمات بها غريقا وقد بلغ السبعين أو جاوزها . له ديوان شعر ــ معجم المؤلفين عمر كحالة ج ٧ ص ٢٩٤ .

مكان الغزل – وكان لكثير[١] في التشبيب نصيب وافر، وجميل[٢] مقدم عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً))[٣]. ولكن قدامة فرَّق بينهما يقول الفرق بين النسيب والغزل أن الغزل هو المعنى الذي اعتقده الإنسان في الصورة إلى النساء نسب به من أجله فكأن النسيب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه[٤] وقد وردت كلمات الغزل والتشبيب والنسيب في ألسن الشعراء بمعنى واحد ، يقول إياس بن سهم[٥]:

نَسَبْنَا بِلَيْلَى فانْبَعَثْتَ تعِيْبها * أَضَلَ مِنْ الحَجامِ أوْ ساق مغزلِ[٦]**

وقال عمر بن أبي ربيعة:

فَبِتِلكَ أَهذي ما حَييتُ صَبابَةً * وَبِها الغَداةَ أُشَبِّبُ الأَشعارا[٧]**

وقد وضح أحمد أحمد بدوي الأمر بجلاء. حين قال: ((الغزل في أصله حديث إلى النساء والنسيب أن ينسب الشاعر إلى نفسه هوىً مبرحاً وحباً عنيفاً

---

(١) كثير عزة أبو صخر كثير بالتصغير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر الخزاعي الشاعر المتوفى بالمدينة سنة١٠٥ هجرية وله ديوان شعر – هدية العارفين إسماعيل باشا البغدادي ج١ ص٨٣٧

(٢) جميل: هو جميل بن معمر. توفى سنة ٧٠١م، شاعر أموي، من بني عذرة، تغني بمعشوقته بثينة، فعرف بها، توفى في مصر. المنجد، ص٢٠٤.

(٣) طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي شرح محمود شاكر . الناشر دار المدني بجدة السفر الثاني ص٦٤٨ .

(٤) طبقات فحول الشعراء، ص ٥٤٥ .

(٥) لم أقف له على ترجمة ولكن ورد اسمه مستشهدين ببعض شعره في لسان العرب وأساس البلاغة ج٣ ص ٤٥٠ وغيرها من كتب الأدب .

(٦) ورد البيت في نقد الشعر لقدامة ص ١٣٤، وفي أساس البلاغة للزمخشري ج٣ ص ٤٥٠. دار الفكر ١٩٧

(٧) ديوان عمر بن أبي ربيعة: شرح يوسف شكري بركات دار الجيل ط أولى ١٩٩٢. ص ٢٤٣

وأن يتحدث إلى ما ينسب إلى المرأة من ديار وآثار. أما اشتقاق التشبيب فيجوز أن يكون من ذكر الشبيبة . ويجوز أن يكون من الجلاء يقال : شب الخمار وجه الجارية إذا جلاه ووصف ما تحته من محاسنه ، فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في وصفه إياها وجلاها للعيون ، ولما كان من العسير أن تخلص قصيدة لمعنى واحد يصح أن تطلق عليه إحدى هذه الكلمات فلا تكون كلها حديثاً عن هواها، ولا تكون كلها وصفاً لها بل الغالب أن يكون في القصيدة أكثر من غرض واحد ، جاء هذا التجاوز فأطلقت كل كلمة منها على هذا الشعر الذي يتصل بحب المرأة))[١].

ومقياس جودة النسيب عند قدامة هو ((ما كثرت فيه الأدلة على التهالك والصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ، وما كان فيه من التصابي والرقة ، أكثر ما يكون من الخشن والجلادة ، ومن الخشوع والذلة ، أكثر ما يكون فيه من الإباء والعز ، وأن يكون جماع الأمور فيه ما ضاد التحافظ والعزيمة ، ووافق الانحلال والرخاوة ، فإذا كان النسيب كذلك فهو المصاب به الغرض))[٢].

وأضاف أبو هلال العسكري على ما ذكره قدامة تضمن ((ذكر التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بهبوب الريح ، ولمع البرق ، وما جرى مجراهما من ذكر الديار والآثار)[٣]. ولقدامة وصف آخر للإجادة يقول: ((المحسن من الشعراء فيه هو الذي يصف من أحوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضر، أو داثر أنه يجد أو قد وجد مثله ، حتى يكون للشاعر فضيلة

---

(١) أسس النقد العربي عند العرب ص ١٤٢ .

(٢) نقد الشعر ص١٣٤ .

(٣) الصناعتين: أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٩ ــ ١٩٨٩ م ص ١٢٥ .

الشعر))[1] ولا أجد أي التفات للعاطفة في وصفهم للشاعر المجيد ، فإن ما لا يعبر عن عاطفة صادقة في الحب لا يعتبر مقبولاً في النسيب . كما يقول أحمد أحمد بدوي[2]: ((أن يظهر الشاعر للناس الرغبة في الحب ولا يظهر التبرم كقول مجنون ليلى))[3]:

فيا حُبَّها زدني جَوىً كــلَّ ليلــةٍ * ويا سلوةَ الأيام موعدُك الحَشر**[4]

وقد وصف ابن رشيق ألفاظ ومعاني النسيب المستجادة ، فحقها عنــده: ((أن تكون حلوة الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الإيثار رطب المكســر شــفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين))[5].

لم يرد في المصادر أن البستي كان عاشقاً ولا أجد في غزلياته اسماً لمحبوب ولا على سبيل ما تفعل العرب من إيراد عدة أسماء لمحبوبات بل تلازم غزله ــ إلا قليلاً ــ مع الخمريات فلا أكاد أجد غزلاً مستقلا أو خمريات مستقلة إلا نادراً مما جعلني أدمج هذين الغرضين يقول البستي[6]:

ومُهفهف يسعى بكأسِ مدامــةٍ * والكأسُ فوهُ والرُّضــابُ مُدامُــهُ**

وإذا تثنَّى مائسا فــي مَشـــيه * فالسَّرْو في ريحِ الشّــمال قَوامُــهُ**

---

(١) نقد الشعر ص ١٣٦ .

(٢) أسس النقد العربي عند العرب ص١٧١ .

(٣) هو قيس بن الملوح بن مزاحم ــ وقيل غير ذلك ــ وقد أنكر قوم وجوده . وليلى بنت مهدي وقيل غيره أيضا. كانت من أجمل النساء ، وفيه روايات أشبه بالأساطير : المنتظم ج٦ ص ١٠٢

(٤) ديوان مجنون ليلى : شرح عدنان زكي درويش ، بيروت دار صادر ، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هــ ــ٢٠٠٣ م ص٩٤

(٥) العمدة ج٢ص ١١٦ .

(٦) ديوان البستي ص ٢٨٨ .

فهو يتغزل في مجلس شرب ويصف فاه المتغزل به بالكأس وريقه بالمدام ويصف مشيته ويشبهها بنبات السرو ، ولا وجْد في البيتين ولكن وصف لغانية أو ساقية في مجلس شرب وقد أبرز صورة الغانية في مشيتها واستطاع تحريك الصورة ويقول(١):

يومُ لــه فضلُ علــى الأيـــّام * مزجَ السَّـحابُ ضــياءَهُ بظــلامِ**

والبرقُ يخفِق مثل قلــبٍ تائــهٍ * والغيمُ بكي مثــل طــرْفٍ هــامِ**

وكأنَّ وجهَ الأرضِ خــدٌّ مُتــيَّمٍ * وُصِلَتْ سُجومُ دُموعِــه بسِــجامٍ**

فاطلبْ ليَومِك أربعاً هن المنـــي * وبهـــن تصـــفو لـــذةَ الأيـــامِ**

وجهَ الحبيبِ ومنظراً مستبشــراً * ومُغَّنــياً غَرِداً وكــأس مُـــدامِ**

تلازم الغرضان أيضاً في هذه القطعة وفي بيته الثاني أجاد في إبراز صورة البرق والغيم وفي البيت الثالث أجاد في وصف أديم الأرض وكان التقسيم في البيت الأخير قد أعطى الصورة الفنية زخرفاً ترنمياً جيداً.

ويقول (٢):

بنفســـي نشـــوةُ الخمْـــــر * فمنهـــا تـــمَّ لـــي أمـــري**

ولـــو لا طَلـــبُ الشُّـــكْر * لأحجــــمْت مـــن الـــذُّعرِ**

فأخللـــت بحـــظَّ النَّفْـــــ ـــــ ـــسِ إشفاقـــاً علــي قـــدْري

ولكنِّـــي توقَّحْــــــتُ * بأقـــداحٍ مـــنَ الخــمْـــرِ**

ولم أخــشَ مخــوف الثَّغــ ـــــ ـــر عنــد الرَّشــف بـــالثَّغْرِ

---

(١) ديوان البستي ص ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ص٩١ .

وبـــادرْت اعتنـــاق البــــــ ـــــ ـــــدر من ليلـــي إلـــى الفـــجْرِ

فيـــا ليلتنـــا! مـــا كُــــــ ـــــ ـــــنتِ إلَّـــا ليلـــــــةَ القـــدْرِ

وتلازم الغرضان هنا أيضا فبدأ بالحديث عن الخمر ، ثم كرَّ يتحدث عن ليلة حمراء مع إحداهن حتى الصباح .

وعلى ذات المنوال في تلازم الغرضين يقول(١):

بأَبي منْ أدار مـــن عيْنَيـــــــهِ * مثـــل مـــا قـــدْ أدارهُ بيدْيـــهِ**

قمـــر يقمُـــرُ العُقـــول بســـحْرٍ * مالـــهُ مركـــزُ سِـــوى عَينيْـــهِ**

هو أغنى الأنـــامِ عنِّـــي ولكـــنْ * أنـــا مـــن أحْـــوجِ الأنـــامِ إليـــهِ**

وله فلسفته في شرب الخمر أوردها في بيتيه التاليين (٢):

أفدْ طبعكَ المكدودَ بالجـــدِّ راحةً * يجُم ، وعلِّله بشـــيءٍ من المُزحِ**

ولكنْ، إذا أعطيْته المزحَ ،فلْيكُنْ * بمقدارِ ما تُعطي الطَّعام من المِلحِ**

فلا بد للنفس من إجمامة مرة بعد مرة بشيء من الشرب لكن بمقدار حتى لا يفسد الأمر . وله كلمة طيبة يصف فيها أيامه الخوالي لزم فيها ما يلزم بصورة رشيقة قال (٣):

يا حُسنَ لـــذَّةِ أيامٍ لنا سلفت * وطيبَ لذَّةِ أيّـــام الصِّـــبا! عُـــودي**

أيام اسحبُ ذيلي في بطالَتِـــها * على ترنُّـــمِ ضـــربِ النَّـــاي والعُـــودِ**

---

(١) ديوان البستي ص٢١٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٩ .

(٣) المصدر السابق، ص٧٥ .

وقهوةٍ وسُلافِ الدَّنِّ صـــافية * كالِمسكِ والعـنبرِ الهنـديِّ والعُـودِ**

تستلُّ روحكَ في أمْنٍ وفي دَعَةَ * إذا جرتْ منك مجرى الماءِ،في العُودِ**

فهو يتذكر أيام صباه ويصفها بما فيها من شرب وطرب ، ولعله قال تلك الأبيات بعد شبابه .

وله [(١)]:

أوانٍ أنـــت فـــي هـذا الأوان * عن الرَّاح المروَّقِ فـي الأوانـي**

تعالَ إلى الصَّـواني مترعـات * وأبرزْ نورهُـنَّ مِن الصَّـواني**

وفكَّ إسـارَ لـــذَاتٍ عـــوانٍ * ببكْرٍ مِـنْ كؤوسِـــكَ أوْ عَـوانِ**

فما عَـيشُ الفـــتى إلاّ عَنـاهُ * بـــرَاحٍ أو غنـاءٍ أو غَـــوانِ**

إذا سَنحَ السُّرور فـأيُّ عُـذرٍ * لذي الرَّأْي الُمسدَّدِ فـي التَّـواني**

فهي مجالس شرب ينسج فيها مقطوعاته هذه ويخالطها بالغزل ولكن طابعها العام خالٍ من العاطفة . وله أبيات انفرد فيها بالغزل يقول [(٢)]:

لـــي حبيـــبُ إذا جفـــا * بـــتُّ منـــه ، علـــى خَطَـــرْ**

وبَلائـــي بـــه ونـــــا ــــ رُ فـــؤادي علـــى خَطَـــرْ

وليست بها عاطفة وإنما يظهر فيها جريانه وراء البديع . وله [(٣)]:

أبــــرزتْ وجهـــاً كَـــلاذَا * فـــي الهـــوى ،أُلـــبِسَ لاذا**

---

(١) ديوان البستي ص١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص٩٢ .

(٣) المصدر السابق ص٧٧ .

ثــمّ قالــتْ: أيُّمــا أحــــــــــ ـــ ـــسَنُ؟هــــذا ، قلـــت: لا ، ذا

أنـــتِ لِـــمْ أضـــنيْت صَـــبّاً ، * بِـــــــكِ دونَ الخلـــــقِ، لاذا**

فتثنَّـــــت، ثَّـــم قــــــالتْ: * قـــــد جـــرى الأمـــرُ علـــى ذا**

والأبيات انفردت بالغزل دون الخمر ، ولكنها ذات معانٍ متهافتة ما صنعها إلا ليلبسها ثوب البديع وكأنه أبى إلا أن يرتاد القوافي العصية .

وله أيضاً [(١)]:

بأبي غزال نامَ عن وَصَبى بـــه * ومُراق دمعي بـــالنَّوى وصَـــبِيبِهِ**

ياليتـَـهُ يرْثى على ولَهِي بِـــه * لغرامِ قلبي في الَهـــوى ،ولَهيبـــهِ**

فالمعنى ليس فيه شيء ولكن يمكن أن أقول إنما صنع أبو الفتح هذه الأبيات من أجل وصبي به الأولى وصبيبه في البيت الأول وولهي به ، وولهيبه في البيت الثاني ونحوها قوله:

أنكرتِ من أدمُعي نَثْري ســـواكِبَها * سَلي دُموعي هلْ أبكي سِواكِ بِهـــا؟**[(٢)]

لم يرد أن يتغزل وإنما أراد سواكبها الأولى ، وسواك بها الثانية .

وله [(٣)]:

يا قمـــراً فـــي الفُـــؤادِ، حَـــلاّ! * دَمِـــي حـــرامُ، فكيـــفَ حـــلاّ؟**

يـــا أحسنَ النّـــاسِ منـــــهُ دَلاّ * علـــى تَـــــلافي هَـــــوَاك دُلاّ**

---

(١) ديوان البستي ص٢٦ .

(٢) المصدر السابق ص٢٧ .

(٣) المصدر السابق ص١٤٥.

دقَّتْ معـــــانيه، حـين جــلاّ * مَنْ لــو يشــاءُ الهمــومَ جلّــى**

عليَّ، سـيفَ الصُّـدودِ، سـلاّ * والقلــبُ منــــه للوصــل ســلاّ**

فهو يتغزل ولا غزل إنما صنعه بديعية متمكنة .

ومثلما أنشأ في النساء أنشأ في الغلمان أيضاً ونحسب ذلك من سمات عصره يقول (١):

مــررَتُ بــأمرَدَيْنِ فقُلْــتُ زورا * مُحِبَّكُمـــا فقـــالَ الأمــــردانِ**

أذو مـــالٍ فقُلْــتُ وذو يَســـارٍ * فقـــالَ الأمـــردانِ الأمــرُدانِ**

وأظن أن أبا الفتح ما كتب هذين البيتين إلا لما رأى في الأمردان ، والأمر، دان من تواطؤ وجناس ولم يكثر البستي من هذا النوع، ولعل تدينه وأدبه قد منعاه من الإفحاش والتغني في مثل هذا النوع رغم من أن التغزل بالغلمان كان سمةً شائعة في ذاك العهد، وفي تلك المنطقة التي عاش فيها البستي.

وله في الغلاميات أيضا(٢):

قلتُ للقَلبِ مَنْ دَهاكَ أجِبــني * قالَ لي بائعُ الفَرانــي فَرَانـــي**

ناظِراهُ فيــما جــنى نــاظِراه * أوْدَعاني أمُــتْ بِمـــا أوْدَعــاني**

كنْتُ في الحُبِّ ذا انبساطٍ ولكِــنْ * كاشِحٌ من بَني الزَّوانـي زَوانــي**

ووصنعته للبديع هنا متمكنة جدا ، والألفاظ فيها عذوبة واضحة ، لكن المعاني متهافتة إلا البيت الثاني فهو ذو معنى طريف . وأرض فارس التي

---

(١) ديوان البستي ص١٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٣

عاش فيها البستي منها وفد عشق الصور المستحسنة إلى جزيرة العرب ، مع الفتوحات الإسلامية ، فما نجده من هذا اللون يعكس وجه المجتمع الذي عاش فيه البستي ، وكان ينبغي أن يكون هذا اللون من الغزل كثيرا عند البستي بحسبان منطقته التي عاش فيها فهي منبعه ، ولكن قلة هذا اللون الغزلي عنده يصدِّق ما ذهبت إليه من أن ما كتبه فيه لم يكن عن عشق حقيقي ، وإنما تصوير للواقع المجتمعي الذي عاشه الشاعر .

وعليه يمكن أن أقول إن البستي لم يكن عاشقاً ولم يكن مدمناً للخمر وإنما كان يتعاطاها بين الفينة والأخرى ، وكان ينظم شعره الغزلي في مجالس الشرب حيث الجواري والغلمان والغناء والطرب والضرب بالعود . ولم يصب في غزلياته ولم تتضمن أحكام قدامة وابن رشيق ، وجاءت خالية من العاطفة فليس ثمة اسم لمعشوق ، ولم نذق تباريح الهوى في غزلياته التي جاءت باردة لكنها خلت من الإسفاف والفحش ، ولعل أدبه الجم ألجمها . وليس في غزلياته معانٍ جديدة وإنما هي جريان وراء البديع ، ولكن ألفاظه وتراكيبه جاءت عذبة سلسة رشيقة ، كما ينبغي في ألفاظ وتراكيب الغزل ، وفي هذا قد أصاب . كما عكست صوره الغزلية وجه المجتمع الذي عاش فيه.

المطلب الخامس: الرثاء:

سأل أحدهم بعض الأعراب :((ما بال أصدق أشعاركم الرثاء ؟ قال : لأننا نقوله وقلوبنا موجعة ، فالألم يعتصر النفوس ولكنه ينقيها . والفرح ينعشها ولكنه يطغيها . والقلوب تكون موجعة بفقد عزيز ، فيسيل هذا التوجع على الشفاه كلمات موجعة)) [1].

---

(١) المدينة في العصر الجاهلي: محمد العيد الخطراوي ، دمشق سوريا، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن المدينة المنورة دار التراث الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤م ص ١٣٠ .

فالرثاء فن من فنون الشعر ، يعبر فيه الشاعر عن حزنه وتفجعه لفقدان حبيب[1].

وقد ذكر ابن رشيق أنه لا فرق بين الرثاء والمديح إلا أن يخلط بالرثاء شيئاً يدل على أن المقصود به ميت . ويقول: ((وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والأسف والاستعظام ، إن كان الميت ملكاً أو رئيساً كبيراً))[2].

ولم يكثر البستي المراثي فله أربع مراثٍ فقط . قال يرثي ناصر الدين بن سبكتكين [3]:

توكَّل على الله فـي كـلَّ مـا * تحـاولُهُ واتَّخـذه وَكيـلا**

ولا يخْـدعنَّك شِـرْبُ صـفَا * فأظمأ قلـيلاً وأروى غليـلا**

فإنَّ الزَّمـانَ يـذلُّ الـعزيزَ * ويجعلُ كـلَّ جليـلٍ ضئيـلا**

ألم ترَ ناصِـرَ ديـنِ الإلـه * وكانَ المهيبَ العظـيمَ الجلـيلا**

أعدَّ الفيـول ، وقـاد الخُيـولَ * وصيَّرَ كـلَّ عـزيزٍ ذليـلا**

وأوهمـه العـزُّ أنَّ الزَّمـانَ * إذا رامـه ، ندَّ عنـهَ كَليـلا**

كـذلكَ يـفعلُ بالشّـامتين * ويفنيهمُ الدَّهـرُ جيلاً فجيـلا**

أتتْـهُ المنيَّـةُ مُغْـتـالةً * وسلَّتْ عليه حُسـاماً صَقيـلا**

فلْم يُغنِ عنـهُ كُمـاةُ الرِّجـالِ * ولم يُجـدِ فيلُ عليـهِ فَتيـلا**

---

(١) انظر أروع ما قيل في الرثاء . أميل ناصف . المؤسسة الحديثة للكتاب ، الطبعة الأولى ١٩٦٢م، ص٥.

(٢) العمدة ج٢ ص ١٤٧ .

(٣) ديوان البستي ص١٤٤ .

وهي قطعة باردة ليس فيها ما يحسب من توجع وأسى ، والبيتان الأولان موعظة غير متسقة مع الحدث . وقوله في البيت الثالث إن الزمان يذل العزيز غير لائق فقد جعل الموت ذلة وهو ليس كذلك لدى من نصروا الدين فإن الله سيبدل سيئاتهم حسنات ويسكنهم في ديار خيراً من ديارهم وهو أقرب إلى الهجاء . أما البيت الرابع والخامس ففيه مدح للمرثي لائق به .

أما البيان السادس والسابع فغير لائقين فقد قال إن العز أوهمه ثم قال كذلك يفعل بالشامتين ويفنيهم الدهر جيلاً فجيلاً فكأنه ساواه بالشامتين .

وله فيه أيضاً [(١)]:

قلْتُ إذ ماتَ ناصِرُ الدِّينِ والدُّنــ ـــــ ــــيا ، وحيَّــاة ربُّـــه بالكرامـــة

وتـــداعَتْ جُموعُـــهُ بـــافتراقٍ: * هكـــذا ، هكـــذا تقـــوم القيامـــة**

في البيت الثاني صورة قوية تصور موكب جنازة ناصر الدين بن سبكتكين ولكننا كنا ننتظر من أبي الفتح أن يفرد لأميره مراثي مطولات مفجعات تليق به وبما فعله شكراً على أياديه البيضاء عليه وهذا ما لا أجده .

وله يرثي الصاحب بن عباد[(٢)]

مضى الصاحِبُ الكافي ولم يبق بعدهُ * كريمُ يروِّى الأرضَ فيضُ غَمامِهِ**

فَقَدنـــاه، لمّا تَمَّ واعتمَّ بالعُـــــلا * كذاكَ خُسوفُ البـَدرِ عندَ تَمامِــهِ**

ورغم قصر القطعة فهي بيتان فقط فقد أجاد فيهما أكثر مما أجاد في مقطوعة الأمير ناصر الدين بن سبكتكين .

---

(١) ديوان البستي ص١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦-٢٩٧ .

وعلى كل فلا أثر لوقوع الحادثة على نفسه ، ولا توجع ولا تفجع ولم يستطع البستي تأدية الغرض بالصورة التي ينبغي . بل قصر في مراثيه أيما تقصير ، وما كان ينتظر منه هذا فالبستي شاعر حكمة ، ومن كان هذا مجاله كان أقرب للإجادة في المراثي ، فالغرضان متقاربان لا ينبغي لمن أجاد في إحداهما إلا الإجادة في الآخر ، ولا أجد تفسيرا لهذا التقصير إلا أن يكون قد قال هذه المراثي في سطوة شبابه وقال الحكمة في كهولته وبعد أن زحزحه القدر عن السلطان .

المبحث الثالث
الأغراض الصغرى

سيأتي فيها الباحث بالأغراض التي لم يتحدث عنها في المبحث السابق وهي: الأخوانيات ، والاعتذاريات والشكوى مــن الزمـــانٍ أو المشــيب ثــم الحكمة. وهي ليست صغرى عند البستي ، فالحكمة مثلا تكثر في شعره كثرة ظاهرة ، بل أطول قصيدة له في ديوانه جاءت في الحكمة ، ولكــن بالنســبة للشعر العربي تأتي هذه الأغراض دون تلك التي ساقها الباحث في المبحــث الفائت ، بل لعل بعض هذه الأغراض ليس لها موضعٌ في كتب المتقدمين .

المطلب الأول: الإخوانيات

للبستي في هذا الغرض شعر كثير ويرجع ذلك لكثرة أصدقائه . وكل أصدقاء البستي كانوا من الكتاب والعلماء والوزراء ، وشعره في أقرانه هؤلاء كان رقيقاً جميلاً يضج بالمزح ويمتلئ بالحلاوة وينضح بالطلاوة وقد كان أنسه في مجالسهم يقول في هذا الشأن(١):

لا أُنس إلاّ في مجــالِسَ تلتقِــي * بفنائها الأشكال، والنّـــــــُظَراءُ**

فلْيَجْتنبْني كلُّ نَـــذلٍ جاهــــلٍ * ولْيصْطنعْني ســـادتي العُلــماءُ**

إنَّ الجهولَ ، تضــرُّني أخلاقُــهُ * ضررُ السعُالِ بِمَنْ بــهْ استِســقاءُ**

فهو يسجل في الأبيات الفائتة نهجه في اختيار صداقاته ، فلا بد من أن يكون أصدقاؤه ومن يجالسهم من نظرائه ، وقد صور ضرر الجهول بصورة جميلة .

---

(١) ديوان البستي ص ٢١- ٢٢ .

يقول في قصيدة لصديق له تأخر في الزيارة [١]:

أقَربُ النّــاس بــالكرامِ بعيــد، * ولِقــاءُ الكــرامِ جـــدٌّ سَــعيدُ**

ولقد صُمتُ عن لقائــكَ أُسبـــ ـــ ــوعا، وبعد الصِّيام فِطر، وعِيــدُ

فتحَشَّمْ فدتْكَ نفسي، فوعد الدَّهــ ـــ ــر ،إن أنتَ لم تزُرْنـــي، وعيــدُ

وإذا كنـــتَ لـــي قعيــداً فـــإنِّي * للنُّجـــومِ المـــدبِّرات قَعـــــيدُ**

وهنا يبدو مبتهجاً بوصول كتاب إليه من أحد أصدقائه مشيداً به يقول[٢]:

كتابُكَ سَــيِّدي جَلَّــي هُمــومي * وجَلَّ بهِ اغتِبــاطي وابتِهـــاجي**

كِتابٌ فـــي ســرائرهِ سُـــرورٌ * مُناجِــيهِ مِــنَ الأحــزانِ نــاجي**

فكْم معنىً بــديعٍ تْحــتَ لَفــظٍ * هُنـــاكَ تــزاوَجَــا أيَّ ازدِواجِ**

كَراحٍ في زُجــاجٍ بــل كَــرُوحٍ * سَرتْ في جسمِ مُعتــدلِ المِــزاجِ**

فإنه هنا يصف ما فعله كتاب صديقه إليه من إدخال البهجة والسرور إلى نفسه وقشع ما بها من هموم ويصف الكتاب بأنه يخرج قارئه من الأحزان ويرده موارد السرور والغبطة وألفاظه بديعة كمعانيه وزاد من روعتها ائتلافها، ثم شبه الألفاظ بالخمر والمعاني بالكأس وحاله حين قرأ الكتاب كمن شرب الخمر فطرب . وهي تشبيهات جميلة .وأدت الصورة الفنية وظيفتها .

وله عتاب رقيق لصديقه أبي سليمان الخطابي [٣]

---

(١) ديوان البستي ص٧٤ .

(٢) المصدر السابق ص٥٣،٥٤ .

(٣) المصدر السابق ص١٨٥ .

أخ ، تباعَدَ عنِّي شخصــُه ودنا * معنَاهُ منَّي، فلم يظعَن، وقد ظَعَـنا**

وكيف يبعدُ مني مَنْ جعلْتُ لــهُ * صميم قَلبي، على عِلّاتِــه، وطنا؟**

أمْ هَلْ يُزايلُني مَــنْ لا يُغـــايرُني * في الرَّأْي كيف رأي واللَّحْظِ كيف رَنــا**

أبا سُليمانَ! سِــرْ إنْ شئــتَ أو فأقِمْ * بحيث شئت ،دنا مثــواكَ أمْ شَــطَنا**

ما كنتَ غيري أخشى أن يُفارِقَني * فديْتُ روحَــك، بَلْ رُوحي فأنْتَ أنا**

فهي قطعة رقيقة جميلة الألفاظ فيها حلاوة ، ولم يجنح فيها إلى اتباع الجناس المصنوع الذي قد يؤدي إلى تقييد أو تغيير المعاني .

ويلاحظ حينما ذكر اسم صديقه في البيت الذي يقول :

أبا سُليمانَ! سِــرْ إنْ شئــتَ أو فأقِمْ * بحيث شئت دنا مثواكَ أمْ شَــطَنا**

يبدو كأن هذا البيت مطلع قصيدة ، لا بيت في درجها وفيه التفات كذلك مما يقوي من زعمي أنه أراد من ذلك زيادة قوة تأثير البيت وهو مفعم بالعاطفة وفيه حزم ، فقد جعل له الخيار بالبقاء أو البعد ، فالبيت كالشلال العنيف . ثم يُرى في البيت الذي يليه :

ما كنتَ غيري أخشى أن يُفارِقَني * فديْتُ روحَك بَلْ رُوحي، فأنْتَ أنا**

يُرى فيه سكينه ثم لين ولطف إذ يقول فديت روحك بل روحي فأنت أنا ، فقد أجاد البستي في هذا البيت أيما إجادة . واستطاعت الصورة الفنية أن تؤدي وظيفتها المطلوبة .

وله أيضاً (١):

---

(١) ديوان البستي ص ٢٤ .

لنـــا صـــديقٌ يُجيـــدُ أَكْـــلاً *** راحتُنـــــا فـــــي أذى قَفــــاهُ
مـــا ذاقَ مِـــن كَســـبِهِ ولَكِـــن *** أَذى قَفـــــــاه أَذاقَ فــــــاه

وهي نتفة ساخرة ، وهي خليقة جداً بان تكون من الإخوانيات حين لا تحمل معنىً جاداً ولكن فكاهة مرصعة بالجناس .

وله أيضا (١):

أخٌ لـــيَ جَرَّبْتُـــــه مَـــــرَّةً *** فَنَـــدَّمَني طـــولُ تَجريبـــه
فهـــل كـــان يُـــربِحُ تجريبُـــه *** وفُلْـــكُ التكبُّـــرِ تجـــري بـــهِ

فهو أخوه وله معه تجربة ، ولكنه ندم عليها طول عمره ، وهي مزحة ظريفة من البستي.

وله أيضاً (٢):

مَحبَّتـــــي لـــــكَ طَبْـــعٌ *** والطَّبْـــــعُ رأسُ المَحَبَّـــــةْ
وقيمـــهُ الحُـــبِّ مـــا لـــم *** يكُـــنْ طِباعـــاً فَحَبَّـــهُ

وله أيضاً (٣):

لـــي سَـــيِّدٌ هِلباجَـــــةْ *** دعَوتُـــهُ الكُبـــرى بِـــلا باجَـــهْ(٤)
يَقـــري الأَخِـــلاَّءَ ولكِنَّـــهُ *** يطـــبُخُ فـــي خَدَّيْـــهِ سِـــكباجَهْ

---

(١) ديوان البستي ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٣ .

(٤) الهلباجه : الاحمق ، الفدم : الآكول ، الباجه : معرب من الفارسية نوع من الطعام ، السـكباجه : نوع من الطعام .

فهو يضحك على صاحبه الآكول الفدم ، ولكنه يصفه بالسيد إمعاناً في الضحك.

وله [١]

أخٌ لي أمَّـا خَلْقُــهُ فُمطَهَّـمٌ * جَمـيلٌ وأمّـا خُـلْقُهُ فَقَبـيحُ**

لهُ أسهمٌ قـد راشَـها بجَفائـهِ * وقَلبي مِن تِلـكَ السِّـهامِ جَـريحُ**

مواعِيدُه رِيحٌ ولا خيرَ في فتـىً * مواعيـدُهُ عِنـدَ الحقـائق رِيـحُ**

وهكذا يسير البستي في إخوانياته ، فهي تمتلئ بالسخرية والضحك والهزل ، وهو فن أجاد فيه البستي ولم ينسَ أن يرصعه بالتجنيس وخفة الظل، ومع ذلك فقد كان للبستي معيارٌ للأخوة سجله في أشعاره .

يقول [٢]:

إذا اتخذْتَ أخاً فاسبر خلائقَهُ فإنَّ * ذا الحزم والتّـَدبيرِ مَنْ سَـبَرا**

ولا تُعَوِّلْ على شخصٍ له عُمُـمٌ * وصورَةٌ ذاتُ حُسْنٍ تَبهَرُ القَمَـرا**

فكمْ فتىً راقٍ مِنهُ ظاهِرٌ حَسَنٌ * وكان باطِنُهُ ضـِدَّ الَّذي ظَـهَرا**

فهو يدعو إلى سبر أخلاق الأخلاء وتنقيتها ، ويحذر من الانخـداع بصورة الشخص وملبسه ، ويأتي في البيت الثالث بحكمة مؤداها أن كثيراً من الأشخاص ظاهرو الحسن ، أما سرائرهم فسيئة . وينصـح شـاعرنا باتخـاذ الكرام أخلاء ولو قلوا يقول[٣]

---

(١) ديوان البستي ص ٥٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩ .

نصحتُكَ لا تصحَبْ سِوى كُلِّ فاضل * خَليــقِ السّجايا بالتَّعفُّف والظَّرفِ**

ولا تَعتمِدْ غيرَ الكِرامِ فـــواحِدٌ * منَ النّاسِ إنْ حصَّلْتَ خَيرٌ منَ الألفِ**

ولكنه لا يعتمد هذا الرأي على إطلاقه فربما نفع السفيه في الشدائد . يقول [1]:

نصيبكَ منْ سَــفيهٍ أو فَقيــهٍ * ففي هَــذا وذا حِصْــنٌ وحُسْــنُ**

فإنْ سالمتَ فالفُقهــاءُ حُسْــنٌ * وإنْ حاربْــتَ فالسُّــفَهاءُ حِصْــنُ**

وما استوفى شُــروطَ الجِــدِّ إلاّ * فتىً فــي خُلْقِــهِ سَــهْلٌ وحَــزْنُ**

ولا جرم أنه مصيب فأهل السفه خليقون بالمقاتلة واللؤم والشدائد ، وأهل الفقه خليقون بالمسالمة والمصاحبة والمجالسة في أوقات السلم ، ثم عزز البستي رأيه هذا بمثل يحتويه البيت الثالث .يقول :

وما استوفى شُــروطَ الجِــدِّ إلاّ * فتىً فــي خُلْقِــهِ سَــهْلٌ وحَــزْنُ**

إذ أن الحياة لا تستقيم على أمرٍ واحد. ولا تدوم على حال واحدة ، فالجمع بين هؤلاء وهؤلاء قمين بأن يسير المرء في حياته دون مناقض . ولا تنقض أبياته الثلاثة الأخيرة هذه ما سلف من آراء فما أراد البستي من السفهاء اتخاذهم أخلاء وإنما أراد أن يكون للمرء معهم معرفة قد يحتاج إليهم فيتخذها مدخلاً إليهم وقت الحاجة.

وللبستي أبيات أُخرى يرى فيها التسامح مع عثرات الأصدقاء ، يقول[2]:

---

(١) ديوان البستي ، ص ١٨٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ .

نصحتُكَ جامِلِ الإخــوانَ طُــرّاً * على عَــذْبٍ سَقَـــوْهُ أو أُجــاجِ**
ولا تَرجُ الصَّــفاءَ بِغَيــرِ مَــذْقٍ * فلا يخلو السِّــراجُ مِــنَ السِّــناجِ**

فدعوته لمجاملة الأصدقاء جلية معززة بالمثل في بيته الثاني .
وله نتفة جميلة أيضاً ، يرى فيها تذكير الصديق إذا تناسى واجباً ، يقول [(١)]:

ذَكِّرْ أخــاكَ إذا تناســى واجِبــاً * أو عَــنَّ فــي آرائــهِ تَقصــيرُ**
فالرَّأيُ يَصْدَأُ كالحُســامِ لعــارضٍ * يطــرا عَليــهِ وَصَــقْلُهُ التَّــذكيرُ**

تمثيله في البيت الثاني الداعم لرأيه في البيت الأول تمثيل جميل .
لكنه يترك كل ما سجله من شعر في الأخوة والصداقة واتخاذ الأعذار للأصدقاء جملة ولا يرى في الدنيا خل وفي ، ولا صديق صفي ، يقول [(٢)]:

لا تَعتَــبَنَّ ولا تَــخدَعْكَ بارِقَــةٌ * من ذي خِــداعٍ يُري بِشْراً وإلطافا**
فلو فَليتَ جميعَ النَّاسِ قاطـــِبةٌ * وسِرتَ في الأرضِ أوساطاً وأطرافا**
لم تُلف مِنها صديقاً صادقاً أبــداً * ولا أخاً يبذُلُ الإنصافَ إنْ صــافي**

هنا يرى كل صداقة خداعاً ، حتى لو قلبت الأرض وتأملت في الناس جميعاً لن تجد صديقاً صادقاً أبداً ، ولا أخاً يجازي الإنصاف بالإنصاف ، حتى ولو كان هادئ البال صافي الوجدان . فلماذا غير البستي رأيه ورمى كل ما سجله عن الإخاء وراء ظهره . فزعت إلى الديوان استجلي الأمر ، ولكن الديوان مرتب حسب القوافي وليس ثمة نظر إلى الترتيب الزماني للقصائد

---

(١) ديوان البستي ص ٢٤٥ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٧ .

وهو أمر طبيعي ، ولكن هناك قطعة أخرى وجدت فيها إشارة لتفسير هذا الانقلاب يقول [١]:

عفاء على هذا الزّمــانِ فإنَّــهُ * زَمانُ عُقــوقٍ لا زَمــانُ حُقــوقِ**

فكُلُّ رَفيقٍ فيــه غَيــرُ مُرافِــقٍ * وكُلُّ صَديقٍ فيــهِ غَيــرُ صَــدوقِ**

فحينما قرأت هذين البيتين مع تلك القطعة استنتجت أن البستي إنما قال هذه الأبيات حينما غدر به الزمان ، وقلب له ظهر المجن . فتبدل عنه الإخوان وتغيروا فكتب ما كتب عن نفسية صادقة تفصح عما تضج به نفسه وتمور ، فرغماً عن سوداوية المعاني التي تتنفسها الأبيات ، إلا أن قيمتها الجمالية عالية جداً إذ إنها خارجة من نفس تتلوى على نار الغدر وتعكس صورة صادقة عن واقعه ، ونراها خالية من الصنعة البديعية التي ألفناها في شعره ــ إلا قليلاً ــ والتي قد تضطر الشاعر أن يخرج عن مرماه فهي صادقة صادقة .

فإخوانيات البستي أدت غرضها في الحالين . حال كانت أيامه في خير حال فكانت عبارة عن طرائف ومزح . وحال عزل من منصبه فتضعضعت حاله وأصبحت إخوانياته حكماً سائرة وأقوالاً تتنفس الحكمة .

المطلب الثاني: الاعتذاريات

جعل ابن رشيق الاعتذار خاصاً بالرؤساء والإخوان ، ولم يأتِ بنماذج لاعتذار الإخوان وإنما أورد ما يكون للرؤساء . ونهجه التلطف ليستحوذ على قلب المعتذر إليه وكيف يمسح ألطافه ويستجلب رضاه . فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، ولاسيما مع الملوك وذوي السلطان ، وحقه

---

(١) ديوان البستي ص ١٣٨ .

أن يلطف برهانه طالباً الكشف عن كذب الناقل . محيلاً الكذب على الحاسد . متنصلاً عن الذنب[1] وللبستي كلمة قطعة في الاعتذار هي [2]:

قد جئْتُ مُعتذِراً والعَفوُ من شيَمِكْ * فامْهَدْ لِعُذري مَقيلاً في ذَرى كَرمِـــكْ**

وإنْ أردْتَ جعلْتُ الخَدَّ واسِــطَةً * حتَّى يكــونَ شَفيعاً لي إلى قدمِكْ**

وقد قالها في أبي محمد الموصلي[3] الذي حجب من الدخول عليه ، وقد كان لمحمد الموصلي مكانة كبيرة دل على ذلك ما جاء في البيتين السابقين ، فقد جعل البستي خده وساطة في التشفع لقدم محمد ، والواقع يقول: إن أبا الفتح كان أسمى مكانة وإلا ما حجب محمد الموصلي من الدخول عليه ، وبهذا نفهم أن هذه الاعتذاريات كانت أيام سطوته ومكانته الرفيعة والتي ربما جعلته يتجاهل في بعض الأحيان بعض القوم لانشغاله بأمر الدولة ، وتدخل هذه الأبيات في باب اعتذار الأخوان ولكنها ترى كأنها من باب اعتذار الملوك والرؤساء لو لم نكن نعلم فيمن قيلت ، ولعله لم يجانبه الصواب فيها.

وله [4]:

لِمـــولايَ عنـــدي أيـــادٍ تَجِــلُّ * وتكثُــرُ عــن صِــفَةِ الواصِــفِ**

فــلا يَقْــدِحَنِّي بمـــا لا أُطيـــ ـــــ ــقُ من شُطرِ معَروفِــهِ الآنــفِ

فذِمَّـــــةُ شُــكري مشـــغولَةٌ * بعُهـــدَةِ إحســـانِهِ السّـــالِفِ**

---

(١) انظر العمدة، ج٢، ص١٧٩.

(٢) ديوان البستي ص ١٦٦ .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

(٤) ديوان البستي ص١٢٦ .

فيُرى هنا أن أبا الفتح قد ضج من كثرة الهدايا التي تنهال إليه فيرفض بعضها بهذه الأبيات . وقد تأدب في رفضها وأتى بعلة حسنة جداً برر بها رفضه . وهي أنه مشغول بشكر معروف الممدوح السابقة .

وله أيضاً [(١)]:

يَخطُـــبُ وُدِّي ولـــيسَ كُفْــواً * لِـــوُدِّهِ الــــرّائعِ النَّبيـــهِ**

فهــلْ نِكـــاحٌ بـــلا تَكــافٍ * يجــوزُ فـــي مَـــذهَبِ الفَقيـــهِ**

هنا اعتذر لأحد أعيان عصره أراد مصادقته ، بعلة عدم التكافؤ . ويمكن أن يقرأ المعنى على وجهين . الوجه الأول تواضع مكانة الشاعر مما يجعله ليس كفؤاً لمكانة الخاطب ، والثاني عكسه وهو الصواب والأقرب ، وفيه تعالٍ، لكن الطرفة الفقهية التي أوردها ، تخفف وطأة البيت على من قيل فيه ، ويقيناً أن البستي قد قال هذه الأبيات أيضاً أيام بسطة حاله .

وله [(٢)]:

ســيّدي أنــتَ لا تُخِــلُّ بِخــلٍّ * لم يُكَـدِّرْ لــوِرْدِ وُدِّكَ شــرِبا**

وتــذكَّرْ سَـــوابِقي إنّ فيهــــ ـــ ـــنَ لِسَرحِ الآمالِ مَرعــى وأَبَّــا

رُبَّ شِـــعرٍ لَّمامَـــدَحتُكَ فيـــهِ * سارَ في العــالَمِينَ بُعــداً وقُرْبــا**

فكأنّي أودَعتُهُ فَلَــكَ الشَّـــ ـــ ـــسِ فَــعَمَّ البِلادَ شَــرقاً وغَرْبــا

وقد قالها في السلطان محمود بن سبكتكين لما اتضعت مكانته . وكنت قد أوردت فصلاً عن حال الشاعر في عهد هذا السلطان والذي أنهى أمر البستي بنفيه ، وقد جعل البستي شعره فيه وسيلة يتشفع بها إليه .

---

(١) ديوان البستي ص٢١٢ – ٢١٣.

(٢) المصدر السابق ص٢٩ .

والبستي مضى في اعتذاره ما بين الجد والهزل ، فكان اعتذاره لذوي السلطان فيه جدًّ . أما اعتذارياته للأخوان فأكثرها مزح .

المطلب الثالث : شكوى المشيب

وهو غرض منتشر في شعر الشعراء ، ولم يورده قدامة ولا ابن رشيق، وهو من الشعر الوجداني الصادق .

يقول البستي متذكراً أيام شبابه[1]

يا حُسنَ لــذَّةِ أيامٍ لنــا ســلفت * وطيبَ لذَّةِ أيّــام الصِّــبا عُــودي**

أيام اسحبُ ذيلي في بطالَتِــــها * على ترنُّمِ ضربِ النَّاي والـــعُودِ**

وقهوةٍ وسُلافِ الدَّنِّ صـــافية * كالمسكِ والعنبرِ الهنديِّ والــعود**

تستلُّ روحكَ في أمْنٍ وفي دَعَة * إذا جرتْ منك مجرى الماءِ في العودِ**

وفيها رسم لنا صورة رائعة لأيام شبابه وما بها من لهو وترنم وغناء وخمر ، ويطالب تلك الأيام بالإياب . وقد استطاعت صورته إبراز تلك الأيام في لوحة جميلة تضج بالموسيقى وتتوشى بالجناس . وأمتع ما في القطعة جودة الوصف ، وما أدري لماذا كلما قرأت هذه الأبيات تذكرت قول أبي نواس[2]:

وَدارِ نَدامــى عَطَّلــوها وَأَدلَجــوا * بِهــا أَثَــرٌ مِنهُــم جَــديدٌ وَدارِسُ**

مَساحِبُ مِن جَرِّ الزِقاقِ عَلى الثَــرى * وَأَضغــاثُ ريحــانٍ جَنِيٌّ وَيــــابِسُ**

---

(١) ديوان البستي ص٧٥ ،٧٦ .

(٢) أبو نواس هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي البغدادي الشاعر المشهور توفي سنة ست تسعين ومائة . هدية العارفين ج١ ص ١٤١.

حَبَستُ بِها صَحبي فَجَدَّدتُ عَهدَهُم * وَإِنّي عَلى أَمثالِ تِلكَ لَحابِسُ**

أَقَمنا بِها يَوماً وَيَوماً وَثالِثاً * وَيَوماً لَهُ يَومُ التَرَحُّلِ خامِسُ**

تُدارُ عَلَينا الراحُ في عَسجَدِيَّةٍ * حَبَتها بِأَلوانِ التَصاويرِ فارِسُ**

قَرارَتُها كِسرى وَفي جَنَباتِها * مَهاً تَدَّريها بِالقِسِيِّ الفَوارِسُ**

فَلِلخَمرِ ما زُرَّت عَلَيهِ جُيوبُها * وَلِلماءِ ما دارَت عَلَيهِ القَلانِسُ**[1]

وقد قال الجاحظ في أبيات أبي نواس ((لا أعرف شعرا يفضل هذه الأبيات التي لأبي نواس ... قال صاحب المثل السائر: ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزفِ ولعمري إن الجاحظ عرف ووصف وخبر فشكر والذي ذكره هو الحق))[2] يريد أن فصاحة هذا الشعر هي الموصوفة ، فإنه لا كبير كلفة فيه . وكذلك هنا في قطعة فصاحة الكلام وجودة الوصف مع ما نعلم من الفرق بين الرجلين وبين القطعتين ، ولكن لا يمتنع التشبيه مع الفارق .

وله [3]:

دَعْ دُموعي يسِلْنَ سَيلاً بِدارا * وضُلوعي يصلَيْنَ بالوَجدِ نارا**

قد أعادَ الأسى نهاريَ لَيْلاً * مُذْ أعادَ المَشِيبُ لَيلي نَهارا**

يصور حاله ويجرد من نفسه شخصا آخر يخاطبه ، ويصور كيف دهمه المشيب وأعاد ليله نهارا .

ويقول [4]:

---

(١) ديوان أبي نواس ، شرح علي فاعور ، بيروت دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ص ٣٠٠

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبو الفتح ضياء الدين الموصلي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت المكتبة العصرية ١٩٩٥ م ، ج٢ ص ١١٥ .

(٣) ديوان البستي ص٨٠ .

(٤) المصدر السابق ص٢١٧ .

أَنِسْتُ بأيّامِ الشَّبــابِ وظِلِّهـــا * وآنستُ دَهراً في جوارِ الجَوارِيــا**

فلما رأيْتُ الشَّيْبَ يبسِمُ ضــاحِكاً * بكيتُ فأخْجِلْتُ العُيونَ الجَوارِيــا**

وقلتُ غدا زَنْدي بشــيبي كابيــاً * وكنتُ أراهُ يقــدَحُ الثّلجَ وَارِيــا**

فظُنَّ ريا بالــدُّموعِ سَفَحتُـــها * وما بدُموعٍ قد قراها الجوىَ رِيــا**

فإنه يتذكر أيام شبابه وما كان يتبعها من جوارٍ وقيان ، ولكنه أصبح يبكي لما رأى شيبه ضاحكاً ، وفيها مقابلة لطيفة وهكذا يمضي في بكاء شبابه وله (١):

ســقَى اللهُ أيّام الشبَّابِ فــإنَّني * لبستُ بها بُــرْدَ الفَخــارِ قَشــيبا**

أضعتُ لها جهلاً قَراها فغــادرَتْ * على سَخَطٍ منِّي المَفــارقَ شــيبا**

يدعو لأيام شبابه بالسقيا لما والته من خفض الحال ونعم العيش ، وفي البيت الثاني معنى لطيف إذ جعل الشباب كالضيف وبينهما جامع عدم المكوث. ثم ذكر أنه أضاع إكرام ضيفه ، فغادر ساخطاً مخلفاً الشيب وراءه ولكنه يرى في المشيب فضيلة يذكرها في البيت التالي(٢):

ما اســتقامَتْ قنــاةُ رأيــيَ إلاّ * بعدَ ما قــوَّسَ المَشــيبُ قنَــاتي**

فالمشيب هنا علامة استقامة الرأي وهذا صحيح ، ولكن ما يتركه المشيب في النفس أفجع ، وحينما كبر تحدث حديثاً فلسفياً زاهداً في الحياة . قال (٣):

---

(١) ديوان البستي ص٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

(٣) المصدر السابق ص٢٣ .

أرى المرءَ يرجو أن يطول بقــاؤُهُ * ليُدركَ ما يهوَى بـــطولِ بقائِــه**

وأيَّةُ جَدوى في البقاءِ وقدْ وهَتْ * قواه وأَقْــوى قلبُهُ مــن ذكائِــهِ**

إذا مانَبا حِسٌّ وكــلَّتْ بَصــيرةٌ * فطولُ بقاءِ المرء طــولُ شــقائهِ**

ففي هذه الأبيات مخالفة لما كان يقوله في الأبيات الخالية من معانٍ تضج بالجزع على طروء المشيب على رأسه ، وتذكره أيام الصبا بما فيها من مباهج . فهنا يستسلم للقدر ولا يبالي بالفناء فلا جدوى من الحياة بل طول الحياة بعد أن وهت قواه يعني له طول شقائه .

وأحياناً يتمسك بشيبه ويطلب بقاءه فله [1]:

يا شَيْبَتي دُومـــي ولا تترَحَّلي * وَتَيَقَّني أنِّــي بوَصـــلِكِ مُولَــعُ**

قد كنتُ أجزَعُ من حُلولِكِ مــرَّةً * واليومَ من خَوفِ التَّرحُّلِ أجــزَعُ**

وهو معنى بديع ولعله قال هذه الأبيات قبل التي سبقتها . وله في نفس المعنى ولعله تعليل لما مر من أبيات[2]:

بَقيَّةُ العُمــرِ ما عِــندي لَها ثَمَنٌ * وإن غَــدا خَيرَ مَحبوبٍ منَ الثَّمنِ**

يَستدرِكُ المرءُ فيها ما أفاتَ ويُـــح * يى ما أماتَ ويَمحو السُّوءَ بالحَسَنِ**

إذ يريد من بقائه استدراك ما فاته ومحو سيئاته ، فهي أيام خالصة لله تعالى ، والملاحظ أن أبا الفتح في تناول غرضه هذا قد كان عميقاً وذا فلسفة، ولم يتناول موضوعه بسطحية وقد أدى غرضه بحيوية . وقد خلت قطعه في هذا الغرض من الصناعة البديعية إلا ما أتى عفواً .

---

(١) ديوان البستي ص١١٦ .

(٢) المصدر السابق ص١٨٥ .

المطلب الرابع : شكوى الزمان

شكا البستي زمانه ، حينما قلب له ملكه ظهر المجن ودارت عليه الأيام، فقل اهتمام السلطان محمود بن سبكتكين به حتى عزله ثم نفاه ، كما أوردت في فصل حياته . وقد سجل البستي ما مر به في شعره أحسن ما يكون يقول[١]:

وإذا ضَمَّتِ الكـفِايَـــةُ قَومــاً * في مَضَمِّ البَيانِ لم يَلحَقــوا بــي**

فَلِماذا حُرِمْتُ من غَيرِ عَـــجزٍ * ولماذا عُوقِبْتُ من غَيــرِ حُــوبِ**

ولماذا أُخِّرتُ من غَيرِ نقــص * عن أُناسٍ هُــمُ عِيَــابُ العُيُــوبِ**

صادِقُ الوَعدِ والوعيــدِ جَميعــاً * ولِسانُ الحَكــيمِ غَـــيرُ كَــذُوبِ**

يفتخر في بيته الأول ببيانه وفصاحته ، ثم يذكر الحرمان الذي أصابه من غير عجز ، والتأخير الذي وقع عليه من غير نقص ، ثم يصرخ في البيت الأخير مؤكداً أنه صادق في وعده . والأبيات تكشف بجلاء ما كان يعانيه وأظنها في الفترة الأولى قبل أن يعزل ولكن بدأ إهمال أمره .

وفي الأبيات التالية يسلك مسلكاً لطيفاً للتنويه بما اعتراه من إفلاس نتيجة لقلة العطاء وقد اتخذ من نفسه شخصاً أخر هو يخاطبه يقول[٢]:

قلتُ لِطَرْفِ الطَّبعِ لّمــا جــرى * ولــم يُطِعْ أمـــري ولا زَجــري**

مالكَ لا تجــري وأنــتَ الّــذي * تحوي مدى الغايــاتِ إذْ تجــري**

فقالَ لـــي دعْنـــي ولا تُــؤذِني * حتَّــى متــى أجــري بــلا أجــرِ**

---

(١) ديوان البستي ص٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص١٠١ .

وفي البيت الأخير إلماح لما كان يعانيه من قطع الأجر والصلة، ولعله أُعطى بعد هذه الأبيات عشرون درهماً فقال مستاءً[1]:

إنَّ الوزيرَ أبي عُسري فأوردَني * مِن بَعدِ مطْلٍ طويل مُتعبٍ نَطَفَا**

أجرى برسمي عشرينيةً أمَمـا * وسامَني مع عُسري نِيَّـةً قـذَفَا**

وقد صور حاله المعسر تصويراً مجيداً وكيف كان بعد هذا الإعسار والمطل الشديدين ما محصلته أجر زهيد وفي البيتين تعريض .

ثم يعاود البستي التذكير بنفسه والتنويه على ما كان من أمره ، وما حال إليه من ضعف ويستدعي أفضاله على سيده يقول[2]:

سـيّدي أنـتَ لا تُخِـل بخِـلٍّ * لم يُكَـدِّرْ لـورْدِ وُدِّكَ شِربـا**

وتـذكَّرْ سَـوابِقي إنّ فيهنــ ـــ ــنَ لِسَرحِ الآمالِ مَرعـى وأَبَّـا

رُبَّ شِـعرٍ لَّمامَـدَحتُكَ فيـهِ * سارَ في العـالَمِينَ بُعـداً وقُرْبـا**

فكأنِّي أودَعتُـهُ فَلَـكَ الشَّمـ * سِ فَعَـمَّ الـبِلادَ شَـرقاً وغَرْبـا**

فهو لم يجن شيئاً بل له شعر سار في العالمين شرقاً وغرباً ، ذكره ومدح به أميره . ولكن ظل حال صاحبنا ينحدر للأسوأ حتى عزل من منصبه، وهذا العزل نتيجة طبيعية متوقعة من خلال إحساسنا بتضعضع أمر البستي أمام سيده من خلال ما مر من شعر . ولكنه قد دُهى بهذا العزل ، وفرِق منه فرقاً شديداً فقذف بهذه الأبيات[3]:

---

(١) ديوان البستي ص١٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص٢٩ .

(٣) المصدر السابق ص١٢٥ – ١٢٦.

أغِثْ أيُّها الشَّيخُ الوزيُر فــإنَّني * دُهِيتُ بما قد كنتُ قبــلُ أخــافُ**

عُزِلْتُ ولم أعجَزْ ولم أكُ خائفــاً * وذاكَ لإنصــاف الــوزير خِــلافُ**

حُذِفْتُ وغَيري مثبَتٌ في مَكانِــهِ * كأنِّيَ نونُ الجَمعِ حــينَ تُضــافُ**

وقد قال ما قد كنت قبل أخاف وكأنه كان يتوقع هذا العزل ، ولكنه لم يذنب ولم يخن وقد راعه أن العزل مسه هو دون غيره ، فوجد في هذه الصورة شبهاً واضحاً بحذف نون جمع المذكر السالم حينما يضاف فأجري التشبيه بصورة رائعة.

وهنا يخاطب نفسه على سبيل المناجاة وفي الأبيات شكوى لنفسه يقول[1]:

جُـعِلْـــنا أجـنـــبِيَّيْنِ * بـــلا جُـــرْمٍ ولا تَبْـــلِ**

وأُقصِـــينا ومـــا خُنّـــا * ومـــا زِغْنـــا عَـــن العَـــدْلِ**

فقــلْ لــي يـــا أخـا السُّــودَ ـــ دِ والهِمَّـــــةِ والفَضـــــلِ

إلــى كْــم نحــنُ فــي ضِــيقٍ * وفـــي عَـــزْلٍ وفـــي أَزْلِ**

أمــا تنشَـــطُ أن تُملـــي * علـــى الكُتّـــابِ أنـــتُمْ لـــي**

في مخاطبته لنفسه يردد ما ردده آنفاً من معانٍ ، وتنحصر في عدم الخيانة وكأن الخيانة كانت هي داء ذلك الزمان ، وسبب وكيد في تقلب الأحوال وبهذا يعكس لنا صورة عن الحال السياسي لزمنه . وفي الأبيات عشمه ظاهر في إعادته لمنصبه بل هو يطلب ذلك . (أما تنشط أن تملى على الكتاب أنتم لي) عليه فهو حتى كتابة هذه الأبيات لم ينقطع به العشم من العودة لمكانته الأولى ، ويصادفنا في هذه الأبيات المنبعثة من دواخله المعبرة

(١) ديوان البستي ص٢٨٤ .

عن المرارة التي يجترعها يصادفنا الجناس في أن(تملي _ وأنتم لي) كأنه يريد أن يقول لنا أنه طبعٌ في البستي ، وليست صنعة فالمقام ليس مقام صنعة. والحقيقة إن من شدة جريان الجناس على البستي أصبح طبعاً .

ثم تمضي الأيام فيتشوى أبو الفتح من ألم العزل ، ويحس بالنسيان فيبث شكواه في الأبيات الثلاث الآتية(١):

أشــكو إلــيكُمْ ذِلَّــةَ العَــزْلِ * يــا صُــوَرَ الإحســانِ والعَــدْلِ**

دُهِيــتُ فــي نُصْــرَةِ أيّــامِكُمْ * بــالعَزْلِ والعَــزلُ أخــو الأَزْلِ**

أُدرِجْــتُ فــي أثنــاءِ نِســيانِكُمْ * حتَّــى كــأنِّي أِلــفُ الوَصــلِ**

وفيها يعود البستي لاستخدام المصطلحات النحوية ، كأنه يود أن ينوه بمقدراته العلمية والتي تجعله أبعد من يكون عن العزل .

ثم يرى انفضاض الناس عنه ، وقد كان قبلاً يعتذر عن مقابلتهم حينما كان مسئولاً فيسخط منهم ويصفهم بأخس الصفات يقول(٢):

عفاء على هذا الزّمــانِ فإنَّــهُ * زَمانُ عُقــوقٍ لا زَمــانُ حُقــوقِ**

فكُلُّ رَفيقٍ فيــه غَيــرُ مُرافِــقٍ * وكُلُّ صَديقٍ فيــهِ غَيــرُ صَــدوقِ**

فقد ذم الزمان وذم ناسه . وفي غمرة استيائه وتبرمه كفر بكل صديق ، بل اعتقد عدم وجوده أصلاً على الأرض يقول(٣):

لا تَعتبَنَّ ولا تخدَعْكَ بــارِقَــةٌ * من ذي خِداعٍ يُري بِشْراً وألطافا**

---

(١) ديوان البستي ، ص١٥١ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٧ –١٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص١٢٧ .

فلو فَليتَ جميعَ النَّاسِ قـــاطِبةً * وسِرتَ في الأرضِ أوساطاً وأطرافا**

لم تُلف مِنها صديقاً صادقاً أبــداً * ولا أخاً يبذُلُ الإنصافَ إنْ صــافي**

فهو ينصح بألا ينخدع أحدٌ بالصداقة ، وأرى أن هذه الأبيات تصور بجلاء ما بلغه من حالة نفسية سيئة . ويمضي في ذم زمانه يقول(١):

تَعِسَ الزمانُ فإنَّ فِــيْ إحْسَانِه * بُغضاً لِـكلِ مُقدمٍ ومُـــفضل**

وتَراهُ يَعشَقُ كُــلَّ نَذْلٍ ســاقِطٍ * عِشْــقَ الــنتيجَةِ للأَخَــسِّ الأرذَلِ**

فهو يذم الزمان ويدعو عليه بالتعاسة ، فإحسانه للأنذال لا للأفاضل فالزمان يقدم النذل الساقط ويؤخر الفاضل المقدم ، وهو بهذا يقدم لنا أيضا صورة لمجتمعه في عهد الأمير محمود بن سبكتكين ، فقد انقلب الحال على كل فاضل ، وجاءت دولة الأنذال . وله في ذات المعني(٢):

لا تَعْجَبَنَّ لدَهرٍ ظَلَّ فــي صَــبَبٍ * أشرافُهُ وعَلا في أوجِــهِ السَّــفِلُ**

وانقَدْ لأحكامِهِ أنَّى يُقادُ بِهـــا * فالمُشْتري السَّعْدُ عالٍ فوقَهُ زُحَــلُ**

وهنا استسلم لحكم الزمان وطلب بعدم التعجب منه ، بل التسليم له لأن هذا لا يتعارض مع حكم الطبيعة فالمشترى وهو أعظم الكواكب فوقه زحل . وله(٣):

للنَّاس في مِحَنِ الزَّمانِ مَراتِــبُ * ولِكُلِّهِمْ فيهــا نَصــيبٌ راتِــبُ**

وكأنَّ أوفَــرهُمْ إذا اســتقرَيْتَهُمْ * فيهــا نَصــيباً شــاعِرٌ أو كاتِــبُ**

---

(١) ديوان البستي ص١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٣ .

(٣) المصدر السابق ص٢٢٣ .

فأَقِلَّ عَتْبَكَ والعِتابَ معـاً فلـمْ * يُسعَدْ بإعتـابِ الزَّمـانِ مُعاتِـبُ**

وتبدو روح الاستسلام للقدر هنا واضحة جلية ، بل إن ما صار إليه هو الأصل ثم يلتفت البستي إلي السلاطين وخدمتهم ويذمها، يقول[1]:

يا مَن يَرى خِدمَةَ السُّلطانِ عُدَّتَهُ * ما أَرْشُ كَدِّكَ إلاّ الـذُّلُّ والنَّـدَمُ**

دَعِ الوُجودَ فخَيرٌ من وجودِكَ ما * تَبغيهِ عندَهُمُ الحِرمـانُ والعَـدَمُ**

إنِّي أرى صاحِبَ السُّلطانِ في ظُلَمٍ * ما مِثْلُهُنَّ إذا قاسَ الفتـى ظُلَـمُ**

فجِسمُهُ تَعِبٌ والنَّفْـسُ مُزعِجَةٌ * وعِرْضُهُ عُرْضَةٌ والـدِّينُ مُنـثَلِمُ**

هَذا إذا أشـرقَـتْ أيّـامُ دَولتِهِ * والصَّيْلَمُ الإدُّ إنْ زَلَّتْ بـهِ القَـدَمُ**

فخدمة السلطان تعقبها الندامة ، وصاحبها عرضة للناس ، ودينه منثلم، وأظنه قد قال هذه الأبيات بعد نفيه ، وبعد أن استوثق من عدم إجابة الوزير لاستغاثاته ونداءاته التي أرسلها له لأجل إرجاعه لمنصبه . فاستدار إلى ذم السلطان وخدمته . والأبيات قوية وردت فيها ألفاظ قوية مثل الصيلم والأد، ولم تخلُ من البديع ولكنه قليل نسبياً فقد أراد المعنى أكثر.

وله[2]:

إذا خدمَ السُّلطانَ قَـومُ ليُسرِفوا * بـهِ وينـالُوا كل مـا يَتَشَـوَّفوا**

خدمْتُ إلَهي واعتصَمـْتُ بحَبلِهِ * ليَعصِمَني من كُـلِّ مـا أتَخَـوَّفُ**

رضِيت بمَنْ يولي السّلاطِينَ مُلكَهُمْ * وينزِعُهُ عـنهُمْ أجـلُّ وأشـرَفُ**

---

(١) ديوان البستي ص١٧٦ – ١٧٧.

(٢) المصدر السابق ص٢٦٨ .

وهكذا قد أفلحت صورته الفنية في أداء وظيفتها في الشكوى . فشكواه تجنح للحكمة ، وهي بعد عزله واستيقانه من عدم عوده للحكم أنضج وأبهى . وفي الشكوى يضع حكمته ويبرزها بجلاء .

المطلب الخامس : الحكم والأمثال

الحكمة في اللغة : حكم – حكمه صار حكيماً – أحكمته التجارب : جعلته حكيماً ، والحكمة جمع حكم الكلام الموافق للحق[١]. ويقول صالح بيلو: ((يراد بالحكمة تلك النظرات العميقة الصائبة ، والتأملات الجريئة والطويلة الفاحصة في الكون ، وما فيه من جماد ونبات وحيوان وناس ، وما يحكم حياتهم من دين وقيم وأخلاق وسلوك وثوابت ومتغيرات ... وبطول تفكر الإنسان وتأمله وإعماله لعقله تجاه تلك الأشياء تتكون لديه وجهة نظر معينة تحكم سلوكه وتضبطه وتوجهه))[٢] ويقول يحي الجبوري : ((الملاحظ في الحكمة أنها تلخص تجربة الشاعر ونظرته إلى الحياة والناس ، وقد جاءت بعامتها في أسلوب واضح سهل بعيد عن الغريب والتكلف . وقد تغلب على الحكمة مسحة من الحزن والعاطفة التي يشيع فيها الألم والحسرة والتشاؤم ، وذلك لارتباط الحكمة بالرثاء من ناحية ، والتفكير بمصائر الناس والموت والفناء من الناحية ثانية))[٣]. ((والحكمة إذا اشتهرت وسارت في الناس فأكثروا من استخدامها صارت مثلاً)) [٤].

---

(١) انظر المنجد في اللغة والإعلام مادة حكم ص ١٤٦ .

(٢) فصول وقطوف في الأدب : صالح آدم بيلو، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـــ ١٩٨٩ م ص ٦ .

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: يحي الجبوري ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر الطبعة الرابعة ١٤٠٣ هـــ ١٩٨٣ م ص ٣ ــ ٤ .

(٤) فصول وقطوف في الأدب : صالح بيلو، ص٦ .

والمثل في اللغة: هو الشيء الذي يضرب لشيء فيجعل مثله[١]. وقد عرفه الميداني قال: ((المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول))[٢].

ويرجع إعجاب الناس بالأمثال إلى كونها تعبر عن الجماعة كلها والأُمة بمختلف طبقاتها فلا تقتصر على طبقة واحدة بعينها ، ولا على عقلية متميزة متفردة كالمثقفين أو الشعراء مثلاً . إنها تعبر بصدق عما يحس به الجميع في أعماقهم من أحاسيس وخلجات قد لا يتيسر لهم كلهم سبيل الإعراب والإبانة عنها فما كل إنسان قادر مستطيع للإعراب عما في نفسه ويبوح به[٣].

وديوان البستي يحتشد بالحكم والأمثال فهو شاعر حكيم تجري الحكمة من بين جنباته بل هو يصف نفسه بالحكمة يقول[٤]:

صادِقُ الوَعدِ والوعيـدِ جَميعـاً * ولِسـانُ الحَكـيمِ غَيـرُ كَـذُوبِ**

فهو حكيم من الدرجة الأولى ، وحسبك نونيته المسماة عنوان الحكم التي سأتطرق إليها في آخر هذا المبحث. ولانشغال البستي في مبدأ حياته بالتعليم فضلٌ في ميله إلى المناصحة وضرب الأمثال . فهي أولى مزايا المعلم أما أكثر شعره فيمتلئ بالحكمة ويرجع ذلك إلى تقلبه في الحياة فمن معلم إلى العمل بالديوان فترة أكسبته تجارب مهمة ، إلى سقوط نجمه بعزله وما لاقاه من انفضاض الناس عنه إلى نفيه . وبهذا يكون قد بلغ الدرك الأسفل . وثقافته الواسعة سبب في تمكنه من الحكمة . وسبب في دفعه إليها فلو لم يكن مثقفاً لما قال الحكمة . وللبستي ثقافة واسعة عربية ويونانية وفارسية ، وإلمام واسع

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ج١٤ ص ١٨ مادة مثل .

(٢) مجمع الأمثال: للميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه يناير ١٩٧٨ ج١ ص ٧ .

(٣) انظر فصول وقطوف في الأدب : صالح بيلو ص٦ .

(٤) ديوان البستي ص ٢٨ .

بعلوم عصره من طب وفلك وتنجيم وفقه ولغة وغيرها . واكتظاظ ديوانه بمصطلحات تلك العلوم دليل قاطع على ما ذهبت إليه .

يقول البستي في الصبر على العسر[1]:

لا تيأسَنَّ لعُسـرَةٍ فوراءَهـا * يُسرانِ وَعداً ليسَ فيـهِ خِـلافُ**

كم عسرة قلق الفتى لنزولهـا * للـه في إعسـارها ألطـاف**

والبيت مأخوذ من قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[2]. بل هو نثر له .وله[3]:

خُذِ العَفْوَ وأمُـرْ بعُـرْفٍ كمـا * أمِرْتَ وأَعرِضْ عـنِ الجـاهِلينْ**

ولِنْ فـي الكَـلامِ لِكْـلِّ الأنـامِ * فُمستَحْسَنٌ مِن ذَوي الجـاهِ لِـينْ**

فالبيت مأخوذ من قوله تعالى:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[4]. والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[5]:

وله[6]:

بـينَ مَـن يُعطـي ومـن يـأ ـــ خـذُ فـي التَّقـديرِ عَـرْضُ

فيَـدُ المُعطـي سـماءٌ * ويـدُ الآخـذ أرْضُ**

---

(١) ديوان البستي ص١٢٢ .

(٢) سورة الانشراح آية ٥ ،٦ .

(٣) ديوان البستي ص٣٠٧ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

(٥) سورة آل عمران ص ١٥٩ .

(٦) ديوان البستي ص١١٥ .

وعلـــى الآخـــذِ أن يشـــــ * كُــــــرَ إنَّ الشُّـــكرَ فـــرْضُ**

فيه اقتباس من قوله (ﷺ) ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) [١].

وله[٢]:

إنْ كنْتَ تطلُــبُ ثَــروةٌ وغِنــىً * فَعَليــكَ بالإجمـــالِ فـــي الطَّلَـــبِ**

فالرِّسْلُ ليسَ يدِرُّ فــي العُلَــبِ * مِن غَيــرِ إبســاسٍ[٣] ولا حَلَـــبِ**

فيه نظر لقوله (ﷺ) (... وإن روح القدس قد نفس في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فأجملوا في الطلب)[٤].

وله:

نصيبكَ مــنْ سَــفيهٍ أو فَقيــهِ * ففي هَــذا وذا حِصْــنٌ وحُسْــنُ**

فإنْ ســالمتَ فالفُقهــاءُ حُسْــنٌ * وإنْ حارَبْتَ فالسُّفَهاءُ حِصْــنُ[٥]**

وهو مأخوذ مما ينسب إلى سيدنا عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) إذا سافر اصطحب معه سفيهاً فقيل له ما ذلك فقال:((إذا قابلنا سفيه قوم ردعنا سفاهته فإننا لا ندري بم نقابل به السفهاء))[٦].

---

(١) أخرجه البخاري تحقيق مصطفى ديب البغا . الطبعة الثالثة ١٩٨٧ . دار ابن كثير اليمامة بيروت ، كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى حديث رقم ١٣٦١ . ج٢ ص١١٧

(٢) ديوان البستي ص٢٢٥ .

(٣) إبساس: مصدر أبس الإبل إذا صوت لها منطلقاً بقوله: (بس بس) لتسكن وتدر.

(٤) ورد في مسند الشافعي بيروت دار الكتب العلمية رقم ١١٥٣ كتاب الرسالة إلى ما كان معادا ج١ ص ٢٣٣. .

(٥) ديوان البستي ص ١٨٦ .

(٦) بهجة المجالس : ابن عبد البر ، تحقيق محمد مرسي الخولي مراجعة عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار الجيل للطباعة ، بدون تاريخ ج١ ص٤٢٨ .

وقد أخذ عن اليونان من فلسفتهم ما تضمنه هذان البيتان[١]:

إذا نقلَ الرّاوونَ قَولاً ولــم يكُنْ * لهُ من ذَوي الإتقانِ والذِّهْنِ مأخَذُ**

فأولى بذي التَّمييزِ والحَزمِ عَرضُهُ * على العقلِ إنَّ العقلَ للنَّقلِ جِهبِــذُ**

وهنا يعلي من شأن العقل ويعتبره أساس القياس السليم وهو من منطق اليونان .

وله[٢]:

إذا وُلِّيتَ فاعْمُــــرْ مــا تَليــهِ * بعَـــدلِكَ فالإمـــارَةُ بالعمـــارَهْ**

وأفضلُ مُستَشــارٍ كُــلَّ وَقْــتٍ * زمانُكَ فــاقتَبسْ مِنــهُ الإشــارَهْ**

وهو مأخوذ من وصية أردشير بن بابك[٣] إلى الملوك من بعده : ((لا ملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولا مال إلا بالعدل))[٤].

وله[٥]:

تَعِسَ الزمانُ فإنَّ فــي إحســانِه * بغضاً لِكِــلِ مُقَــدَمِ وَمُفَضَـــلِ**

وَتَراهُ يَعشَقُ كُــلَّ نَــذْلٍ ســاقِطٍ * عِشْــقَ النتيجَــةِ للأَخَــسِّ الأرذَلِ**

وقد أخذه من قواعد المنطق .

---

(١) ديوان البستي ص٧٧ .

(٢) المصدر السابق ص٨٦ .

(٣) أردشير بن بابك: توفى ٢٤١م، مؤسس سلاسلة الساسانيين بفارس ٢٢٤م، احتل طيسفون، وقضى على أرطبان آخر الإرشاقيين الفريسيين، فرض الزرادتشية دينــاً للدولــة ٣٧٩ – ٣٨٣م، خلّــف نسيبه شاهبور. المنجد، ص٣٦.

(٤) بهجة المجالس : لابن عبد البر ج١ ص١٤٤

(٥) ديوان البستي ص١٥٤ .

وله[1]:

إذا خـــدمْتَ المُلــوكَ فــالْبَسْ * مــنَ التّــوَقّي أعـــزَّ مَلْــبَسْ**

وادخُلْ علــيهِم وأنــتَ أعمــى * واخرُجْ إذا ما خرجْــتَ أخــرَسْ**

مأخوذ من الحكمة الهندية الشهيرة القائلة : لا أرى ، لا أسمع ، لا أتكلم .

وله[2]:

قِـــيلَ للكُرْكِـــيِّ إذْ قـــا ـــ مَ علـــى الرِّجـــلِ الـــوَحيدَهْ

كيـــفَ لا تـــعتمِدُ الـــرِّجْ * لَـــيْنِ فـــي الأرضِ الوَطِيـــدَهْ**

قـــالَ إشـــفاقاً علـــى النَـــا ـــ بِـــتِ فِـيـــها أنْ أُبـــيدَه

وهذه الأبيات تجري مجرى كتاب كليلة ودمنة في محاكاة الحيوان واستنطاقه وجريان الحديث على لسانه .

والبستي مقتدر في الحكمة بصورة أظهر من أي غرض . وفيها استخدم كل معرفته بمعارف الأمم ، فيأخذ حكمهم ويصوغها بصورة متمكنة ، وينظر إلى القرآن والحديث ويأخذ معناه أو بعض ألفاظه ويصوغها أبياتاً حكمية . وهذا الباب هو ميدانه الذي لا يبارى فيه .

وهناك أمثلة كثيرة جداً لشعره الحكمي ولكني اكتفي بما قدمت لأورد نونيته كاملة والتي جمع فيها كل حكمه وتجاربه ، والشاهد أن البستي استطاع بثقافته الواسعة سواء كانت عربية أو هندية أو يونانية ، ومعرفته لعلوم عصره، أن يستفيد منها غاية الاستفادة في حكمته ليهتدي بها الناس والتلاميذ والعوام والخواص فقد وفق في غرضه أيما توفيق .

---

(١) ديوان البستي ص١٠٦،١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص٦٣ .

المطلب السادس : نماذج من شعره

قصيدة (عنوان الحكم)

سيثبت هنا الباحث أطول قصائد البستي وأشهرها وهي نونيته المسماة (عنوان الحكم) وكنت قد رأيت إثباتها في آخر البحث إلا أن ارتباطها بمطلب الحكمة ومبحث الأغراض جعلني أرى أن موقعها المناسب هنا .

والنص المثبت هنا من الديوان ، ويبلغ خمسة وستين بيتاً أما الشرح المبسط المصاحب القصيدة فهو مأخوذ من كتاب (قصيدة عنوان الحكم) لعبد الفتاح أبي غدة .

زيادَةُ المَرء في دُنياهُ نقصانُ * وربْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ**[1]

وكُل وِجدانِ حَظٍّ لا ثَباتَ لَهُ * فإنَّ مَعناهُ في التَّحقيق فِقْدانُ**[2]

يا عامِراً لخَرابِ الدَّهرِ مُجتهِداً * تاللهِ هل لخَرابِ الدَّهرِ عِمرانُ**[3]

ويا حَريصاً على الأموالِ يَجمَعُها * أنْسِيتَ أنَّ سُرورَ المالِ أحْزانُ**[4]

زَعِ الفؤادَ عنِ الدُّنيا وزُخْرُفِها * فصَفْوُها كَدَرٌ والوَصلُ هِجْرانُ**[5]

---

(١) أي ازدياد الإنسان من الدنيا وتوسعه فيها – إن لم يكن في الخير الخالص – يكون خسارة له ونقصان ونقصا من حظه في آخرته .

(٢) أي كل حظ ونصيب يجده المرء في دار الدنيا ، ولا يصحبه منه الأجر والثواب إلى دار الآخرة ، فهو علي التحقيق فقدان .

(٣) أي يا عامرا للدار الخراب وهي الدنيا باذلا فيها جهدك وعمرك هل لخراب عمرك العزيز وضياعه فيها عمران ؟.

(٤) أي أأنسيت أن سرور المال هموم وأحزان : في جمعه ،وتصريفه ، وواجباته ، ومسؤولياته وفقده...؟

(٥) زع الفؤاد ، بالزاي ، فعل أمر من وزعه عن الأمر كفه عنه ، أي كف القلب عن حب الدنيا وزخارفها ، لأنها غرارة غدارة ، فما تراه من صفوها فهو كدر ، وما تراه من قربها فهو هجران.

وأَرعِ سَــمعَكَ أمثـــــالاً أُفَصِّــلُها *** كما يُفَــصَّلُ يَاقــوتٌ ومَــــرْجانُ(١)

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلــوبَهُمُ *** فطالَما استَعبــدَ الإنسانَ إحســانُ(٢)

وإنْ أساءَ مُسيءٌ فلْيَكنْ لــكَ فـــي *** عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْــحٌ وغُفـــرانُ(٣)

وكُنْ على الدَّهر مِعواناً لذي أمَلٍ *** يَرجو نَداكَ فإنَّ الحُــرَّ مِــعْـوانُ(٤)

واشدُدْ يَدَيْكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِماً *** فإنَّهُ الرُّكْنُ إنْ خانَــتـْكَ أركــانُ(٥)

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدُ في عَواقِبِــه *** ويَكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَنْ هــــانُوا

مَنِ استعانَ بغَيــرِ اللهِ فـــي طَلَبٍ *** فإنَّ ناصِــرَهُ عَجــزٌ وخِــذْلانُ(٦)

مَنْ كانَ للخَيرِ مَنّاعاً فلــيسَ لَهُ *** على الحَقِيقَةِ إخــوانٌ وأخْــدانُ(٧)

مَنْ جادَ بالمالِ مالَ النَّاسُ قاطِبَــةً *** إلَيــهِ والمــالُ للإنســان فَتّــــانُ

مَنْ سالَمَ النّاسَ يسلَمْ من غوائِلِهِمْ *** وعاشَ وَهْوَ قَريرُ العَينِ جَــذْلانُ(٨)

مَنْ كانَ للعَقلِ سُلطانٌ عَلَــيهِ غَدا *** وما على نَفسِهِ للحِرْصِ سُلــطانُ(٩)

من مد طَرفاً بِفَرط الجَهلِ نَحو هَوىً *** فَذاكَ لاشَــكَّ ذو غيٍّ وَسَكــران(١٠)

---

(١) ارع سمعك : أصغه إلي لتستمع مقالتي بانتباه وتدبر .

(٢) تستعبد قلوبهم : تستملها وتملكها بالإحسان إليهم ، فكثيرا ما ملك الإحسان قلب الإنسان . وقديما قــالوا : جبلت القلوب علي حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها . وليس هذا القول بحديث نبوي .

(٣) عروض زلته . يعني : زلته العارضة .

(٤) معوانا : كثير العون والمساعدة . يرجو نداك : أي كرمك وعطاءك .

(٥) فانه الركن ، أي الملاذ والمرجع .

(٦) فان ناصره عجز وخذلان ، أي إن ما له الي العجز والخذلان .

(٧) أخدان : أصدقاء ، جمع خدن وهو الصديق .

(٨) من غوائلهم: شرورهم ومساءتهم . قرير العين : مسرور . جذلان: فرحان .

(٩) يعني من عمل بالعقل وفكر في أمور الدنيا ، غدا زاهدا في حطامها ، وليس للحرص والطمع عليه سيطرة

(١٠) الطرف هنا : العين . خزيان : ذليل . والمعني من أطلــق بصــره نحــو الهــوى والشــهوات المحرمة، تثاقل عن نصر الحق وباء بالذلة والخزي .

مَنْ عاشَرَ النّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصباً *** لأنَّ سوسَهُـمُ بَـغْـيٌ وعُـدْوانُ[(١)]

ومَنْ يُفَتِّشْ عنِ الإخْـوانِ يقلِهِمْ *** فَجُلُّ إخْـوانِ هَذا العَصرِ خَـوّانُ[(٢)]

منِ استشارَ صُروفَ الدَّهرِ قامَ لهُ *** على حقيقةِ طَبعِ الـدهر بُرهَـانُ[(٣)]

مَنْ يَزْرَعِ الشَّرَّ يَحصُدْ في عواقبِهِ *** نَدامَـةً ولِـحَصـدِ الزَّرْعِ إبّـانُ[(٤)]

مَنِ استَنامَ إلى الأشرار نامَ وفـي *** قَميصِهِ مِنـهُـمُ صِـلٌّ وثُعْبـانُ

كُـنْ رَيّـقَ البِشْرِ إنْ الحُرَّ هِمَّتُهُ *** صَحيفَةٌ وعَلَيـها البِشْـرُ عُنْوانُ[(٥)]

ورافِقِ الرِّفْقَ في كُلِّ الأمـورِ فلَمْ *** يندّمْ رَفيقٌ ولم يذمُمْـهُ إنسـانُ

ولا يَغُـرَّكَ حَـظٌّ جَـرَّهْ خُـرقٌ *** فالخُرْقُ هَدمٌ ورِفقُ المَرءِ بُنْـيانُ[(٦)]

أحسِنْ إذا كانَ إمكـانٌ ومَقْـدِرةٌ *** فلن يَدومَ على الإنسانِ إمكـانُ[(٧)]

صُنْ حُرَّ وَجهِكَ لا تهتِـكْ غلالَتَهُ *** فكُلُّ حُـرٍّ لِحُـرِّ الـوَجهِ صَوّانُ[(٨)]

وإنْ لقِـتَ عـدُوّاً فَالْقَـهُ أبَـداً *** والوَجهُ بالبِشْرِ والإشراقِ غَضّانُ[(٩)]

---

(١) النصب هنا يراد به المتاعب والشرور والعداوات . والسوس : الطبيعة .

(٢) يقلهم : يبغضهم ويكرههم ، من قلاه يقليه : ابغضه وكرهه .

(٣)استشار : استكشف . صروف الدهر : حوادثه ونوائبه وتقلباته .[٣] ـ إبان : وقت محدد

(٤) استنام إلى الأشرار سكن إليهم وصاحبهم الصل الحية التي لا تنفع فيها الرقية

(٥) ريق البشر: جميل البشر دائمه. والبشر طلاقة الوجه وبشاشته. والصحيفة يعني بها: الوجه. والمعنى أن هم الحر أن يكون طلق الوجه باسم المحيا، ليحبه الناس ويألفوه وينتفع بهم.

(٦) الخرق بفتح الخاء والراء ، والخرق بضم الخاء وسكون الراء ، كلاهما بمعني العنف والغلظة ، ويأتيان بمعني الحمق والبلاهة . والمعني : لا تغتر بطيش الأحمق إن صاحبه فوز في أمر من الأمور ، فالرفق بناء ، والحمق هدام . وفي الحديث الشريف : من يحرم الرفق يحرم الخير كله .

(٧) أي لا يتمكن الإنسان من الإحسان في كل وقت ، فإذا تمكنت فأحسن ، فإنها فرصة سانحة ربما لا تعود .

(٨) حر الوجه : محاسنه وكرامته . والغلالة بكسر الغين : ثوب رقيق كالقميص يلبس علي الجسد تحت الثياب الغليظة . والمراد هنا : صن حياءك وماء وجهك ، ولا ترقه لأجل أمر دنيوي .

(٩) غضان : مشرق طلق . يرشد الشاعر المخاطب في شأن لقاء العدو ، فيقول له : إذا لقيت عدوك فالقه بوجه باسم متهلل ، مترفعا عن مقابلته بعداوته ، إذ لقاؤك لعدوك بالبشر يزيد في رفعتك عليه ، ويفوت عليه التشفي منك بإغضابه لك .

دَعِ التكاسُــلَ في الخَيراتِ تطلُبها *** فليسَ يسعَــدُ بالخَيــراتِ كَسْــــلانُ

لا ظِلَّ للمَرءِ يعرى من تُقىً ونُهىً *** وإن أظلَّتْــهُ أوراقٌ وأغــصــانُ[1]

فالنّاسُ أعــوانُ مَنْ وَالتْهُ دولَتُــهُ *** وهُمْ عــلَيهِ إذا عادَتْــهُ أعــوانُ[2]

سَحْبانُ من غَيرِ مالٍ باقِلٌ حَصــراً *** وباقِلٌ في ثَراءِ المــالِ سَحْــبـــانُ[3]

لا تُودِعِ السِّرَّ وَشّــاءً يبــوحُ بــهِ *** فما رعىغَنَماً في الدَّوِّ سِــرْحانُ[4]

لا تَحسِبِ النَّاسَ طَبْعاً واحِداً فَلهُمْ *** غرائزٌ لسْتَ تُحصِــيها وَأكْنــــانٌ[5]

ما كُلُّ مــاءٍ كصــــدّاءٍ لــوارِدِه *** نَعَمْ ولا كُــلُّ نَبْتٍ فهــو سَعْدانُ[6]

---

(١) الظل هنا : العز والمنعة . يعري من تقي ونهي : يفقد التقوى والعقل . أفنان : غصون . والمراد بها هنا: النعم والرفاهية . والمعني : لا عز ولا منعة لامرئ ينقصه العقل والتقوى ، وان غمرتــه نعم الحياة ورفاهيتها.

(٢) والته دولته أي أقبلت عليه الدنيا وابتسمت له الأيام . عادته: أدبرت عنه الدنيا واستقبلته الحياة بوجه كريه.

(٣) سحبان : رجل من بني وائل ، كان من أفصح فصحاء العرب وبلغائها ، وبه يضرب المثل فــي الفصاحة والبيان ، فيقال أفصح من سحبان . وحصر : عيي . وباقل : رجل من بني إياد ، كــان مشهورا بالعي والفهاهة ، حتى يضرب به المثل في العجز عن الإبانة عما في الــنفس ، فيقــال : أعيي من باقل ! ومن عيه انه اشتري ظبيا بأحد عشر درهما ، وامسك به ، فمر بقوم فقالوا لـــه : بكم اشتريت الظبي ؟ فمد كفيه وأخرج لسانه ، مشيرا إلى أنه اشتره بأحد عشر درهمـــا ، فشـــرد الظبي منه وهرب ! فضرب به المثل لعيه وغباوته ، كما في مجمع الأمثال للميداني في باب علي ما جاء علي افعل من باب ما أوله عين .

(٤) الدو : المفازة والصحراء . والسرحان بكسر السين وسكون الراء : الذئب . أي لا تفض بسرك إلى امرئ مذياع يفشي السر ويذيعه ، انك إن فعلت ذلك تكن مثل من يسلم الغنم للذئب ليأكلها ! إذ قد استحفظ من لا يحفظ !

(٥) يعني إن الناس تختلف طبائعهم وسجاياهم ، فلا تحسبهم كلهم علي طبع واحد ، فينبغي أن تراعي طباعهم في معاشرتهم ومعاملتهم .

(٦) صداء : اسم عين مـــاء لـــم يكـــن عنـــد العـــرب أعـــذب مـــن مائهـــا . زمـــن أمثـــالهم : مـــاء ولا كصداء . يضرب مثلا للرجلين لهما فضل إلا أن أحدهما أفضل . والسعدان : اسم عشب بري ، يعد من أفضل مراعي الإبل ، لا تحسن الإبل علي نبت حسنها عليه ، إذا رأته غزر لبنها وزاد دسمه وطيبـــه . ومن أمثالهم : مرعي ولا كالسعدان . يضرب مثلا للشيء يفضل علي أقرانه والمعني : ما كل الناس في الجودة والأصالة وحسن الطبع سواء ، ففيهم الجيد والأجود والدون فعاملهم ملاحظا أصنافهم وأحوالهم .

لا تَخدِشَنَّ بِمَطْلٍ وَجْـهَ عارِفَـةٍ * فالبِرُّ يَخـدِشُـهُ مَطْـلٌ ولَيّـانُ**[1]

لا تَستَـشِرْ غيرَ نَدْبٍ حازِمٍ يَقِـظٍ * قدِ استَوى مِنهُ إسْـرارٌ وإعْـلانُ**[2]

فلِلتدابيرِ فُرْسـانٌ إذا ركَضـوا * فيها أبَرُّوا كما لِلحَـربِ فُرْسـانُ**[3]

وللامُـورِ مَـواقيتٌ مُـقَـدَّرَةٌ * وكُـلُّ أمـرٍ لـهُ حَـدٌّ ومِيـزانُ**[4]

فلا تكُنْ عَجِلاً في الأمرِ تطلُـبُـهُ * فليسَ يُحمَدُ قبل النُّـضْجِ بُحْرانُ**[5]

كفى مِنَ العيشِ ما قدْ سَدَّ من عَـوَزٍ * وفيـهِ للحُـرِّ قُنْيـانٌ وغُنيـانُ**[6]

وذو القَنـاعَةِ راضٍ في مَعيشَـتِهِ * وصاحبُ الحِرْصِ إن أثرى فَغَضبْانُ**[7]

---

(١) الخدش : الجرح . والعرفة : المعروف والإحسان . والمطل : التسويف والتأخير . والليان بفتح اللام وكسرها : التأخير والمماطلة . أي لا تجرح وجه معروفك وإحسانك بالتأخير والتسويف ، فخير البر عاجله .

(٢) ندب : منجد : حازم : ضابط للأمور . يغظ : نبيه واع . والمعني : لا تعتمد في استشارتك إلا علي الرجل الشهم المنجد ، والضابط النبيه النقي النفس ، الذي عرفت سريرته كعلانيته .

(٣) أبروا : غلبوا وفازوا علي غيرهم بحسن الرأي وجودته . يعني يستشار في كل أمر أهله وعارفوه.

(٤) أي الأمور لها أوقات مقدرة ، وحدود معينه ، وموازين دقيقة ، فزن كل أمر بميزانه وحده ووقته.

(٥) النضج : الاكتمال . والبحران بضم الباء وسكون الحاء ، لفظ مولد ، يوناني الأصل ، وهو عند الأطباء : التغير الذي يحدث للعليل دفعة واحدة في الأمراض الحادة : إلى الصحة أو إلى المرض ، فان وقع بعد نضج مادة المرض فهو علامة الصحة والشفاء ، وان وقع قبل نضجها فهو علامة الموت والهلاك . فعلي العاقل أن لا يعجل في أمره كما قيل :

تأنَّ فـي الشَّـيء إذا رُمتَـهُ * لِـتعرفَ الرُّشْـدَ مِـنَ الغـيِّ**

لا تَتْبَعَنْ كُـلَّ دُخـانٍ تـرى * فالـنَّارُ قـدْ تـوقَدُ لِلكَـيِّ**

وقِسْ علـى الشَّـيءِ بأشـكالِهِ * يدلُّكَ الشَّـيءُ علـى الشَّـيءِ**

(٦) العيش هنا : ما يتبلغ به من رزق . والعوز : الحاجة والفقر . والحر هنا المراد به : العاقل القانع العزيز . والغنيان بضم الغين وسكون النون : الاستعناء .

(٧) اثرى : زاد ماله وكثر . قوله : وصاحب الحرص إن اثري فغضبان . وذلك لطمعه المتزايد ، فيرى نفسه دائما في حاجة إلى المزيد من الثراء ، ويغضب اذا لم ينل ذلك .

حَسْبُ الفتى عقلُهُ خِلاًّ يُعــاشِـرُهُ *** إذا تحاماهُ إخـــوانٌ وخُـــلاّنُ[١]

هُـما رضيعا لِبانٍ حِكَمـةٌ وتُقـىً *** وسـاكِنا وَطَـنٍ مـالٌ وطُغْيـانُ[٢]

إذا نَبا بكريـمٍ مـوطِـنٌ فـلَـهُ *** وراءهُ في بسيط الأرضِ أوطـانُ[٣]

يا نائماً فَرِحـاً بالـعِزِ سَـاعده *** إنْ كنـتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يقظان[٤]

ما استَمْرأ الظُّـلْمَ لو أنصتَ آكِلُهُ *** وهلْ يلَذُّ مَذاقٌ وهْـوَ خُطْبـانُ[٥]

يا أيُّها العَالِمُ المَرضِـيُّ سـيرَتُهُ *** أبشِرْ فأنتَ بغَيـرِ المـاءِ رَيـانُ[٦]

ويا أخَا الجَهلِ قد أصبَحْتَ في لُججٍ *** وأنتَ ما بينَها لا شَـكَّ عَطْشـانُ[٧]

---

(١) خلا : صديقا ناصحا . والخلان الأصدقاء . أي يكفي الفتي الراشد ان يتخذ من عقله مرشدا يلجأ إليه اذا تباعد عنه الأخوان والأصدقاء .

(٢) رضيعا لبان أي يرضعان من ثدي واحد ، فهما إخوان . وساكنا وطن أي متلازمان لا ينفك أحدهما عن الأخر غالبا . والمعني : إن الحكمة والتقوى إخوان لا ينفكان ، والمال والطغيان متلازمان لا يفترقان .

(٣) نبأ بالمرء الموطن : ضاق عليه ولم يوافقه ولم يسر به .

(٤) العز هنا : السطوة والسلطان . السنة : الغفلة الخفيفة . والمعني : أيها الظالم السادر في غيه ، لا يغرنك ما أنت فيه من سطوة وسلطان ، إن كنت في غفلة عن هذا فان عين الله لا تنام عنك ، وما أسرع ما ينتقم منك .

(٥) استمرأ الشئ : استطابه . والخطبان : الحنظل حين يأخذ في الاصفرار وتشتد مرارته .ويقال في المثل : أمر من الخطبان ، أي أمر من الحنظل . والمعني أيها الظالم لو انصفت لقررت بأن الظلم مذاقه مر كالحنظل ، يستسيغه المرء ، وهل يستطيب مرارة الحنظل انسان ؟ .

(٦) ريان : مرتو . وأصل الارتواء الشبع من الماء والمراد هنا : طمأنينة وغني النفس والقناعة والرضاء . والمعني : أيها العالم الذي حفظ أمانة العلم ، وسما إلي شرفه الرفيع بعمله به ، فلهجت ألسنة الناس بالثناء عليه ، وأصبح فيهم عطر الذكر والسيرة ، أبشر فأنت بما أفاء الله عليك من تلك الخصال الرفيعة : قرير العين مطمئن النفس والفؤاد .

(٧) اللجج جمع لجة ، وهي معظم الماء . وظمآن : عطشان . والمراد هنا : محروم . و المعني : أيها الجاهل الراضي بجهله ، لو غمرتك الدنيا بخيراتها فأنت محروم ظمئ ، لأنك فقدت نعمة العلم ، وبها تسقي العقول والقلوب .

لا تحسِبَنَّ سُروراً دائمــاً أَبَــداً *** مَنْ سَرَّهُ زمَــنٌ ساءتْــهُ أزمــانُ[1]

يا رافِلاً في الشَّبابِ الوَحْفِ مُنتشياً *** مِنْ كأسِهِ هلْ أصابَ الُّشدْ نَشْوانُ[2]

لا تَغتَرِرْ بشَــبابٍ وارِفٍ خَضِــلٍ *** فكَمْ تَقدَّمَ قَبَل الشّيْــبِ شُبّــانُ[3]

ويا أخَا الشَّيبِ لو ناصَحتَ نفسَكَ لم *** يكُنْ لمثِلكَ في الإسرافِ إمعــانُ؟[4]

كُلُّ الــذُّنوبِ فــإنَّ الله يغــفِرها *** إن شَيَّعَ المَرءَ إخلاصٌ وإيمــانُ[5]

وكُــلُّ كَسْــرٍ فــإنَّ الله يَجبُــرُهُ *** وما لِكَسرِ قَناةِ الدِّيــنِ جُبْــرانُ

إذا جَفاكَ خَــليــلٌ كــنتَ تــألفُهُ *** فاطلُبْ سِواهُ فَكُلُّ النَّــاسِ إخــوانُ

وإن نَبَتْ بِكَ أوطانٌ نَشَأْتَ بهــا *** فارحَــلْ فكــلُّ بِــلادِ اللهِ أوطــانُ

فأكْيَسُ النّاسِ مَنْ في كيسِهِ كِسَــرٌ *** لا مَنْ يُمَدُّ له فــي الفَضْــلِ مَيْـدانُ

النّاسُ هَضْبُ شِمامٍ حَيْثُ مَيْسَــرَةٌ *** لَكِنَّهُمْ حَيْثُ مــالَ المــالُ أِصــانُ

---

(١) رافل : مختال متبختر . منتشيا من كاسه ، معناه هنا : معجب مدل بحيويته وفتوتـه . نشـوان : سكران . يقال في اللغة: انتشى فلان أي بدأ سكره . فشبه الشباب بالخمر ، والاغترار به بالنشـوة والسكرة . والمعنى : أيها الشاب المختال المعجب بشبابه وقوته الفتيه ، لاتغتر بعنفـوان شـبابك وتاجج قوتك ، فالشباب يساوي عرض ذائل ، والانتشاء به حاجب للعقل عن الهدايـة والرشـاد ، وهل أدرك الرشد سكران ؟ .قال الإمام أحمد رضي الله عنه : ما شبهت الشباب الا بشئ كان في كمي فسقط!.

(٢) وارف : معجب جميل . نضر : حسن ناعم . والمعني : لا تغتر أيها الشـاب المتـدفق حيويـة ونشاطا بسن الشباب ، تحسب أنك تعيش طويلا ، فكم من شاب اختطفته المنية قبل الشيوخ الكبار المسنين .

(٣) الشبيبة : حداثة السن ، تبدي عذر صاحبها : تظهر عذره ، لان الشباب عطية الجهل ، ويقـال : مظنة الجهل وأشيب : أبيض شعر الرأس من الشيخوخة وكبر السن .

(٤) شيع المرء : صاحبه .

(٥) القناة : الرمح . والمراد بكسر قناة الدين : ذهاب الدين وفقده . ومعني البيت : كل مصـاب فـي المال أو البدن أو الولد ... يخفف الدين من وقعه على الإنسان ، فيعوضه عنه بالأجر والثواب . وأما المصاب في الدين فلا يعوضه شئ! فهو أكبر مصاب !

كُنّا نرى إنّما الإحسانُ مَــكْرُمَــةٌ *** فاليَوْمَ مَنْ لا يَضُرُّ النَّاسَ مِحْســانُ
خُــذْها ســوائِرَ أمثــالٍ مُهَذَّبَــةٍ *** فيها لِمَــنْ يَبْتَغــي التِّبيــانَ تِبيــانُ
ما ضَرّ حَسّانَها والطَّبعُ صــائغُها *** إنْ لم يقُلْها قَريعُ الشَّعرِ حَسّــانُ[1]

---

(١) حسانها : قائلها وناظمها . قريع الشعر ، يعني به سيد الشعر : الصحابي الجليل حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه . والمعنى : إن هذه القصيدة التي انسابت من قريحة شاعر مطبوع ، وفاضت بقلائد المعاني وروائع الألفاظ ، وتضمنت بليغ الحكم والمواعظ ، لا يقلل من روعتها وجمالها إن قائلها شاعر محدث ، وليس الصحابي الجليل سيد الشعر حسان بن ثابت ﷺ.

الفصل الثالث
عناصر التشكيل الفني وخصائصه

المبحث الأول : الصورة البيانية وأثرها في التشكيل الفني

المبحث الثاني: الصورة البديعية وأثرها في التشكيل الفني

المبحث الثالث : الخصائص الفنية

المبحث الأول
الصورة البيانية وأثرها في التشكيل الفني

لا يخفى على أحد ما في الصور البيانية من طاقة خلاقة في أي عمل فني فهي تبث الروح في الصورة الفنية ، وتشخصها وتجسمها وتنطقها ، وتحركها ، فيصبح الساكن متحركا ، والجامد ناطقا ، والمحسوس ملموسا ، فعليها المعول في خلق الصورة الفنية ، ويندر أن يكون هناك عمل فني خلا من البيان .

وأكثر الأنواع البيانية للصورة الفنية ، التشبيه ، والاستعارة ، والكناية وقد بزها التشبيه لنصاعة بيانه وقرب مأخذه . وكان عند العرب الجاهليين هو المقدم ، إلى أن جاءت الاستعارة فأخذت محله .

المطلب الأول التشبيه

يقول ابن منظور : ((الشِّبْه والشَّبَه والشَّبِيه : المثل وأشبه الشيء الشيء: ماثله))[١] وفي القرآن الكريم ﴿... مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ ...﴾ قيل معناه يشبه بعضه بعضاً[٢]. وفي الاصطلاح عرفه ابن رشيق فقال[٣]: ((التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه))[٤]. وعرفه الخطيب القزويني قال : ((التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى والمراد هنا ما لم يكن على وجه الاستعارة

---

(١) لسان العرب مادة شبه ج ٨ ص ١٧ .

(٢) انظر لسان العرب مادة شبه ج ٨ ص ١٧ .

(٣) العمدة ج ١ ص٢٨٦ .

(٤) ضرب لنا أبن رشيق مثلا على ذلك . يقول ((ألا ترى أن قولهم خد كالورد أنما أراد حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة مسطه وخضرة كمائمه وكذلك قولهم فلان كالبحر وكالليث إنما يريدون كالبحر سماحة وعلما وكالليث شجاعة وقرما وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ولا شتامة الليث وزهومته فوقوع التشبيه إنما هو أبدا على الأعراض لا على الجوهر)). العمدة ج١ ص ٢٨٦

الحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد))[1]. وعرفه ابن سنان الخفاجي قال : ((إن أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات ، ولن يجوز أن يكون أحد الشيئين مثل الآخر في جميع الوجوه حتى لا يعقل بينهما تغاير البتة ، ولأن هذا لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه وذلك محال))[2].

يبذل الشاعر قدرا عظيما من جهده الفني ، لتحقيق العلاقة بين عناصر الواقع والفن ، تكون هذه العلاقة كامنة فيتوسل الشاعر بالتشبيه الذي يعتمد غالبا على المدركات الحسية في تشكيله ليظهر علاقة جيدة بين طرفين يشتركان في الصفات تحقيقاً للمتعة والفائدة اللتين كانتا هدف الشاعر ، متوخياً في ذالك التناسب بين طرفي الصورة التشبيهة، ومراعياً توافر التوافق الشكلي بينهما ، وذلك حتى يجعل بين الأشياء مناسبة واشتراكا ، فيرى الشاعر بحسه

---

(١) يوضح ذلك الخطيب القزويني يقول : ((فدخل فيه ما يسمي تشبيها بلا خلاف ، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا : زيد كالأسد ، أو كالأسد بحذف زيد لقيام قرينه ، وما يسمى تشبيهاً علي المختار كما سيأتي وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبراً للمشبه أو في حكم الخبر كقولنا : زيدٌ أسد ، وكقوله تعالى : (صُمٌّ بكمٌ عُمْيٌ) أي هم . ونحوه قول من يخاطب الحجاج :

أَسَدٌ عَلَيّ وَفي الحُــروبِ نَعامَــةٌ * فَتخاءُ تَنفر مِن صَفير الصافِرِ))**

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة مكتبة الآداب ، ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠ م ج٣ ص٧ . والبيت لعمران بن حطان ورد في الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الشعب ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م ج ١٨ ص ١٢٢. وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان من بني بكر بن وائل . شاعر فصيح من الشراة .أدرك بعضا من الصحابة وروى عنهم . الاغاني: لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ج ١٨ ص ١١٤. والحجاج بن يوسف الثقفي (ت ٩٥) هـ قائد وخطيب عربي ، ولد بالطائف . ولاه عبد الملك بن مروان إمرة جيشه فقضى على عبد الله بن الزبير في الحجاز . وتولى مكة والمدينة والطائف والعراق وقمع ثورة ابن الأشعث . أسس مدينة واسط . أشتهر بالسفاك والسفاح . أشتهر بالبلاغة والفصاحة . المنجد في اللغة والأعلام ص٢١٣ .

(٢) سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي ، بيروت دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م ص٢٤٦ .

الفني المرهف أبعد ما يرى ، وأدق ما يلحظ ، مستنداً على قدرته في إدراك المتشابهات ومعرفة أوجه الاتفاق بين الأمور المتباعدة[١]. فالتشبيه ليس في غاية السهولة فهو أصعب عناصر البيان وهذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: ((أشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان ، ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضا خاليا مغسولا من هذه الحلى، فارغا ككثير من شعر أشجع[٢] وأشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة مع أنه لابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ويسهل عليه تناولها))[٣]. وللتشبيه أربعة أركان وهي طرفاه ، ووجهه ، وأداته .

طرفا التشبيه :

أما طرفـــــاه فهما إما حسيان كما في تشبيه الخد بالورد ، والقد بالرمح، والفيل بالجبل في المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات ، والنكهة بالعنبر في المشمومات ، والريق بالخمر في المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات[٤] وإما عقليان ، كما في تشبيه العلم

---

(١) انظر الصورة الفنية في شعر دعبل بن على الخزاعي ص٢٥٩ .

(٢) هو أشجع بن عمرو السلمي ، يكنى أبا الوليد من ولد الشريد بن مطـرود ، نشـأ باليمامـة ثـم بالبصرة. قال الشعر وأجاد وعد من الفحول . مدح البرامكة وانقطع إلى جعفر خاصـة ، ومـدح الرشيد . الأغاني ج ١٨ ص ٢١٩ .

(٣) العمدة ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٤) أورده الخطيب القزويني في بغية الإيضاح في تلخيص المفتاح تأليف عبد المتعال الصـعيدي ج ٣ ص ١٣وأورد في الحاشية أمثلة في الشعر بتشبيه الحس بالحسي :

الخـــدٌ وردٌ والصـــدغُ غاليـــة * والريقُ خمـرٌ والثغرُ كالـدرر**

(البيت لأبن سكرة الهاشمي وهو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد . شاعر متسع الباع فـي الإبداع . جار في مجال المجون والسخف . يتيمة الدهر ج٣ ص ٣ والبيت في اليتيمة ص٨)

بالحياة[1] وإما مختلفان ، والمعقول هو المشبه كما في تشبيه المنية بالسبع ، أو العكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم[2].

وجه الشبه : وأما وجه الشبه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخييلاً ، والمراد بالتخييل الذي لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على تأويل ، كما في قول القاضي التنوخي[3]:

وكـــأنَّ النجـــوم بـــين دُجـــاه * سُـــنَنٌ لاحَ بيـــنهُنَّ ابتـــداع[4]**

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شئ مظلم أسود ، فهي غير موجودة في المشبه به ، إلا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة ، فلا يهتدي إلي الطريق ، ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردى في مهواه ، أو يعثر علي عدو قاتل أو آفة

---

(١) نحو قول الشاعر :

تُشْـــرِقُ أَعراضُـــهُم وَأَوجُهُهُـــم * كَأَنَّهـــا فـــي نُفوسِـــهِم شِـــيَمُ**

في تشبيه الإعراض بالشيم ، أما تشبيه الوجوه بها فمن الحس بالعقل . (البيت للمتنبي الديوان ج٤ ص ١٨٧) .

(٢) نحو قول الشاعر :

أهديتُ عطراً مِثْـل طيـبِ ثنائِـهِ * فَكَأَنَّمـا أُهـدي لَـهُ أَخلاقَـه**

(البيت للصاحب بن عباد ورد في معجم الأدباء ج٤ ص ١٦١)

(٣) أحمد بن اسحق بن بهلول بن حسان (٢٣١-٣١٨هـ) ، أبو جعفر التنوخي : عالم بالأدب والسير، له اشتغال بالتفسير والحديث ، وله شعر . وهو من كبار القضاة . ولد بالأنبار ، وولي قضاء مدينة المنصور عشرين سنة ٢٩٦-٣١٦هـ ومات ببغداد . له كتاب في النحو علي مذهب الكوفيين ، والناسخ والمنسوخ وأدب القاضي لم يتمه . - الأعلام ج١ - خير الدين الزركلي ص٩٥.

(٤) لم أقف له علي ديوان شعر ، ولكن ورد البيت في كتاب خزانة الأدب وغاية الأرب : الحموي، تحقيق عصام شعيتو ، بيروت دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى ١٩٨٧ ج١ - ص٤٠٢.

مهلكة ، شبهت بالظلمة ، ولزم علي عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور وعليهما قوله تعالى : ﴿ ... يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1]، وشاع ذلك حتى وصف الصنف الأول بالسواد والصنف الثاني بالبياض[2].

والتشبيه منه المفصل ، وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ، ومنه المرسل ، وهو ما ذكرت فيه الأداة ولم يذكر فيه وجه الشبه ، ومنه البليغ ، وهو ما حذف منه الطرفان ومنه التشبيه المؤكد ، وهو ما حذفت منه أداة التشبيه

ومن تشبيهات البستي الطريفة[3]:

يومٌ لـــه فضلُ علـــى الأيــــّام * مزجَ السَّـحابُ ضــياءَهُ بظـــلامِ**

والبرقُ يخفِق مثل قلـــبٍ تائـــهٍ * والغيمُ بكي مثـــل طـــرْفٍ هـــامِ**

وكأنَّ وجهَ الأرضِ خـــدٌّ مُتــيَّمٍ * وُصِلَتْ سُجومُ دُموعِـــه بسِـــجامٍ**

فاطلبْ ليَومِك أربعاً هن المنـــي * وبهـــن تصـــفو لـــذةَ الأيــــامِ**

وجهَ الحبيبِ ومنظراً مستبشـــراً * ومُغَّنـــياً غَرِدَاً وكـــأس مُــــــدامِ**

أتى الشاعر بجملة من التشبيهات الطريفة التي تـــدرك بالمـــدركات الحسية، فقد شبه توهج البرق، وهو من المحسوسات بخفقان قلب المحب، وهو أيضاً من المحسوسات، ووجه الشبه أيضاً حسي، وهو السرعة، وهو تشبيه محسوس بمحسوس.

وكذلك الغيم يبكي مثل طرف هائم، وقد شبه نزول المطـــر ببكـــاء الحبيب، ووجه الشبه صورة مركبة حسية، وهي تساقط شيء متتابع.

---

(١) البقرة آية ٢٥٧ .

(٢) انظر بغية الإيضاح ج ٣ ص١٦.

(٣) ديوان البستي ص ١٦٨ .

فطرفا التشبيه محسوس بمحسوس، وكذلك وجه الشبه صورة مركبة حسية، وقد شبه أيضاً جريان الماء على وجه الأرض بخد متـيم جـرت عليه الدموع، وهو تشبيه طرفاه مركبان حسيان، فالمشبه صورة مركبـة من جريان المياه على الأرض، والمشبه به جريان الـدموع علـى خـد الحبيب، ووجه الشبه أيضاً حسي، وهو انغمار المياه في كليهما.

وقد حشد البستي هذه التشبيهات المحسوسة وجـاءت فـي نسـق مترابط، أضافت على الأبيات صورة فنية رائعة، أوصل بها الشاعر مـا يجيش بقلب المحب.

وكذلك صور نفسه ووحدته بتشبيه فني رائع، حيث قال:

كأنَّني فَرَسُ الشطرنجِ ليسَ لـهُ * في ظِـلِّ رابطِهِ ماءٌ ولا عـلَفُ**

فقد شبه نفسه بفرس الشطرنج، وهو تشبيه محسـوس بمحسـوس، ووجه الشبه أيضاً محسوس، وهو عدم الإحساس بما حوله.

وله [1]:

معاشِرَ النّاس أصْغُوا قد نصحْتُ لكُمْ * في الرّاحِ حُكمٌ مليحٌ غيرُ ممقوتِ**

قَليلُهـا مُستباحٌ والكثيرُ حِمىً * كغَرْفَـةٍ فَـرْدَةٍ مـن نَهـرِ طـالوتِ**

فهو يريد أن يقول : إن قليل الخمر مباح وكثيرها غير ذلك فشبه هذا المعني بما جاء في القرآن الكريم في أمر بني إسرائيل حين عبورهم النهر قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ

(١) ديوان البستي ص ٢٢٩ .

يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١). وهو معنى فاحش ، فلا نري جواز تشبيه هذا بذاك ولكن من ناحية فنية غير مرتبطة بالأخلاق التشبيه جميل لأن كثير الخمر غير مطلوب وقليلها مستباح علي رأي البعض . وكذلك كان أمر بني إسرائيل حينما مر جنود طالوت بالنهر فابتلاهم الله بعدم الشرب منه إلا من اغترف غرفة بيده(٢).

وله:

كتابُكَ سَيِّدي جَلَّى هُمومي * وجَلَّ بهِ اغتِباطي وابتِهاجي**

كِتابٌ في سرائرهِ سُرورٌ * مُناجِيهِ مِنَ الأحزانِ ناجي**

فكْم معنىً بديعٍ تْحتَ لَفظ * هُناكَ تزاوَجَا أيَّ ازدِواجِ**

كَراحٍ في زُجاج بل كَرُوحٍ * سَرتْ في جسمِ مُعتدلِ المِزاجِ(٣)**

فقد شبه معاني الكتاب اللطيفة وهي مغلفة بالألفاظ الرشيقة بالراح داخل الزجاج وكذلك بالروح التي تسري في الجسد، وبالنظر إلى طرفي التشبيه نجد أنه تشبيه معقول بمحسوس، فقد شبه المعاني وهي معقولة بالراح وهي محسوسة. وكذلك الروح التي تسري في الجسد وهي محسوسة، ووجه الشبه كذلك.

---

(١) البقرة آية ٢٤٩ .

(٢) وله أبيات كرر فيها هذا المعنى يقول :

عليكَ بمَطبوخِ النَبيذِ فإنَّهُ * حلالٌ إذا لم يخطَفِ العَقْلَ والفَهْما**

وَدع قَولَ مَن قالَ إنَّ قليلَهُ * يُعينُ على الإسكارِ فاستَويَا حُكْما**

فليسَ لِما دونَ النِّصابِ قَضيَّـ ـــ ـةُ النِّصابِ وإنْ كان النَّصابُ بهِ تَمّا

ديوان البستي ص ١٧٢ .

(٣) المصدر السابق، ص ٥٣ ، ٥٤ .

وله:

بنفسيَ مَنْ أهدى إلــيَّ كتابَــهُ * فأهدي ليَ الدُّنيْا معَ الدَّينِ فــي دُرْجِ**

كِتابٌ معانِيه خِلالَ سُطورِهِ لآلِئُ * في دُرْجٍ كواكــبُ فــي بُــرجِ[1]**

ومرة أخرى يدلف إلى التشبيه المتعدد، فيشبه المعاني الموجودة في الكتاب باللآلئ والكواكب وهي صورة مركبة والمشبه صورة مركبة من المعاني وكلمات في سطور الكتاب، والمشبه به صورة مركبة من لآلئ تضيء في درج الكواكب وفي برج عالٍ، ووجه الشبه الضياء. وبالنظر إلى الطرفين نجد أنه تشبيه معقول بمحسوس، ووجه الشبه محسوس وهو الضياء.

وله أيضا يصف كتاباً أتاه من صديق :

فكأنَ لفظُكَ فــي آلائِــه زَهَــراً * وكانَ معناكَ في أثنائــهِ ثَمَــرا[2]**

شبه الألفاظ في رشاقتها وتلألؤها بالزهر في نضارته وتلألؤه ، وشبه معانيه بين ألفاظه بالثمر بين الزهر ، وهو تشبيه مفصل جيد للغاية ، رغم أن دوران تشابيه الكلام والمعاني تدور غالباً حول هذه المعاني ، إلا إن تركيبه هذا بوضع الزهر في محل اللفظ ، والثمر في محل المعني ، أدى التشبيه بعداً فنياً راقيا .

وله كذلك في مدح كتاب :

أمّا المَعــاني فأجســامٌ مُنَعَّمَــةٌ * واللَّفْظُ أوشِحَةُ الدِّيباج والحُلَــلِ[3]**

---

(١) ديوان البستي ص ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٨ .

ويرجع إلى المحسوسات مرة أخرى، فيشبه المعاني وهي من المعقولات بالأجسام الناعمة وهي من المحسوسات ووجه الشبه النعومة والطراوة، وهو أيضاً محسوس.

وهكذا يحتشد ديوانه بالتشبيهات الكثيرة في وصف الكتابة والكتاب والألفاظ والأقلام ، وأرى فيما قدمت في هذا الباب ما فيه كفاية ونلتفت إلي تشبيهات أخرى جرت في معانٍ غير هذه يقول . مستخدماً بعض المصطلحات النحوية:

أُدرِجْـــتُ فـــي أثنـــاءِ نِســـيانِكُمْ * حتَّـــى كـــأنَّي ألِـــفُ الوَصـــلِ**(١)

وقد قال هذا البيت حينما قبر أمره ، وزال نجمه ، وأصبح في حكم النسيان فشبه نفسه بألف الوصل ، وهي لا تلفظ كما هو معلوم فوقع هذا التشبيه موقعا حسناً وله في ذات المعنى وفي ذات الظرف – حينما عزل –:

عُزِلْتُ ولم أعجَزْ ولم أكُ خائفًـــا * وذاكَ لإنصاف الوزير خِـــلافُ**(٢)

حُذِفْتُ وغَيري مثبَتٌ في مَكانِـــهِ * كأنِّيَ نونُ الجَمعِ حـــينَ تُضـــافُ**

شبه حذفه من الوزارة وبقاء غيره ، بنون الجمع في حال الإضافة كما هو معلوم نحوياً ، وكأنه أراد أن يقول : إن غيره لم يحذف لذا بقيت نونه مثبته وهو تشبيه مجمل جميل .

وله:

وبَصـــير بمَعـــاني الشِّـــعْرِ * والإعْـــــــرابِ جِـــــــدّا**

---

(١) ديوان البستي ص ١٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

قـــالَ لـــي لمّـــا رآنـــي * طالِبـــــاً مـــــالاً ورِفْـــــدا**

إنّ مـــــالي يـــا حبيبـــي * لازِمٌ لا يتَعـــــــــــــدّى[1]**

شبه المال الممسك بالفعل اللازم ، وهو تشبيه معقول بمعقول، ووجه الشبه كذلك عقلي.

وله:

أنا كــالوردِ فيـــهِ راحَـــةُ قـــومٍ * ثـــمَّ فيـــهِ لآخـــرِينَ زُكـــامُ[2]**

فقد شبه نفسه بالورد في حالتين ، راحة لأقوام وأذى لآخرين علي سبيل التشبيه المفصل .

وبالنظر إلى طرفي التشبيه نجد أن تشبيهه محسوس بمحسوس، ووجه الشبه كذلك.

وله:

طَبعي كطبعِ المُشتَري ما فيهِ مــن * شَرٍّ فهلْ من مُشتَرٍ للمُشـــتري[3]**

شبه طبعه بطبع كوكب المشترى كلاهما ذو طبع هادي لا تشوبه شوائب، وهذا تشبيه معقول بمحسوس، ووجه الشبه عقلي، فالمشبه نفسه والمشبه به كوكب المشترى، ووجه الشبه الهدوء، وهو عقلي.

قد أتاه من اشتغاله بعلم الفلك وله أيضاً:

شرفُ المُلوكِ بعلمهم وبـــرأيهمْ * وكذاكَ أوجُ الشَّمسِ في الجَوْزاءِ[4]**

---

(١) ديوان البستي ص ٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٣) يتيمة الدهر ج٤ ص٣٦١ . والبيت غير مثبت في ديوانه .

(٤) ديوان البستي ص ٢٤ .

ويلجأ مرة أخرى إلى المحسوسات والمعقولات فيشبه شرف الملوك، وهو معقول باقتران مدار الشمس بالجوزاء، وهو محسوس، ووجه الشبه عقلي، وهو دوران شيء حول شيء. والبيت فيه صورة فنية خيالية، إذ أن شرف الملوك يدور حولها بمعنى أنه لا يفارقهم أبداً، وهذه صورة خيالية، فشبهها الشاعر بصورة حقيقية وهي دوران الشمس حول الجوزاء.

وله:

إنَّ الجَهــولَ تَضُــرني أخلاقُــه * ضررُ السُّعال بِمَنْ بهِ استِسقاءُ**(1)

شبه أخلاق الجهول الضارة بضرر السعال للمريض بالاستسقاء . وهو أشد ضرراً للمصاب بالسعال دون الاستسقاء ، وقد استخدم معرفته الطبية في هذه التشبيهات .وله من تشبيهاته الأدبية الجميلة:

يا يوسفَ الحُسْنِ لَيْلي بعدَ فُرقتِكُمْ * يَحكي سِنِي يُوسُفٍ طُولاً وتَعــذيبا**

والشَّــأْنُ في أنَّني أُرمي لأَجْلِكُمُ * بِمِثْلِ ما قد رَمى إخْوانُهُ الــذِّيبا**(2)

يشبه شدة وجده بعد فراق محبوبه بسني يوسف الصديق في الطول والتعذيب ، وشبه أيضا ما رمي به من أجل حبيبه بما قد رمي به يوسف من قبل إخوته ، وفيه نظر إلى حكاية يوسف في القرآن(3):

ومُهفْهَفٍ يسعى بكأسِ مُدامَــةٍ * والكأسُ فُوهُ والرُّضــابُ مُدامُــهُ**

وإذا تثَنَى مــائساً في مَشــيهِ * فالسَّرْوُ في ريحِ الشّمالِ قَوامُهُ**(4)

---

(1) ديوان البستي ص٢٢ .

(2) المصدر السابق ص٢٨ ، ٢٩ .

(3) قال تعالى عن حكاية يوسف (عليه السلام) {قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الــذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (١٧) سورة يوسف

(4) ديوان البستي ص٢٨٨ .

شبه فاه الممدوح بالكأس ، ورضابه بالمدام ، وهو تشبيه بليغ حذف فيه وجه الشبه والأداة ، وشبه مشيه وهو يتثنى بنبات السرو إذا صادفته ريح الشمال وهو تشبيه مأخوذ من الطبيعة. ولكثرة التشبيه في اللغة قال محمود سليمان ياقوت: ((والتشبيه جار كثيراً في كلام العرب حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد ، وهو يزيد المعني وضوحا ، ويكسبه تأييداً ، ولهذا أطبق كثيرٌ من المتكلمين من العرب والعجم عليه ، وقد تنبه القدماء منذ سيبويه[١] إلي التشبيه باعتباره طريقة من طرق الأداء الدلالي التي يلجأ إليها ابن اللغة))[٢].

وجابر عصفور يقدم التشبيه على غيره من الألوان البيانية يقول: ((والتشبيه أكثر ظهوراً وجذبا للانتباه من غيره ، إذ أن أداته تجعله أول ما يلفت انتباه المتلقي للشعر ، فضلا عن أن كثرته الملحوظة في الشعر الجاهلي أمر لفت انتباه اللغويين لفتا شديدا ودائما . والفتنه في التشبيه فتنه قديمة ، بل إن البراعة في صياغته اقترنت لدى بعض الشعراء الأوائل بالبراعة في نظم الشعر نفسه))[٣].

ويؤدي التشبيه دورا مهما في إيضاح المعني المقصود بواسطة الإيجاز والاختصار.

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسيبويه النحوي ، من أهل البصرة كان يطلب الآثار والفقه ، ثم صحب الخليل بن احمد فبرع في النحو وورد بغداد ، وهو من موالي بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد ، وتفسير سيبويه بالفارسية رائحة التفاح ، كان يستملي على حماد بن سلمة فلحن في حرف فعابه حماد فأنف من ذلك ولزم الخليل ، وكان من أهل فارس من البيضاء كان غاية الخلق في النحو ، وكتابه هو الإمام فيه ، وكان الأخفش أخذ عنه . وكان قد تعلق من كل علم بسبب وضرب في كل أدب بسهم ، قيل مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة وقال المرزباني : مات سيبويه بشيراز وقبره بها . وذكر بعض أهل العلم انه مات في سنة ثمانين ومائة وقرئ على ظهر كتاب لأحمد بن سعيد الدمشقي مات سيبويه سنة أربع وتسعين ومائة قلت ويقال إن سنه كانت اثنتين وثلاثين سنة – تأريخ بغداد: تأليف أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي بيروت دار الكتب العلمية ١٢ /١٩٥ ٩٨ .

(٢) علم الجمال اللغوي : محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٥، ج٢ ، ص٥٦٦ .

(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور ص ١٠٤ .

ومن أمثلة التشبيه الذي لا يحتاج إلي المعاناة حين التأويل لأنه يتميز بقرب المأخذ وسهولة المأتى ما جاء في أبيات أبي الفتح البستي ، كتشبيه نفسه بالورد والقواعد النحوية المعروفة والألفاظ باللآليئ ، مما يورث في الصدر انشراحاً ويفيد النفس نشاطاً ، ولعل أكثر تشبيهات البستي معانيها ملقاة في قارعة الطريق ، ولكن تأتي عبقريته في تركيبها تركيبا جديدا ونفث الروح فيها ، فتحيا وتنتشر راقصة ممشوقة زاهية ، وإبثاثه لعلومه الطبية والفلكية والأدبية تزيد تشبيهاته تلألأً وتيهاً ، حتى تراه كأنه أول من ابتكرها . وهكذا يمكن القول بإن البستي وفق في إبراز تشبيهاته في صوره البيانية بطريقة واضحة خلت من الغموض والتعقيد وعليه أسهمت في إبراز صوره الفنية بطريقة واضحة لا لبس بها ولا غموض وفي هذا فضيلة تستعصي على كثير من الشعراء .

المطلب الثاني: الاستعارة

أعار إعارة الشيء ومن الشئ أعطاه إياه عاريا . عاور معاور الشئ فعل به مثل ما فعل صاحبه به ، أعطاه إياه عاريا . تعاور القوم الشيء: تعاطوه وتداولوه . يقال تعاورت الرياح رسم الدار: أي تداولته ، فمرة تهب جنوبا ، ومرة شمالا ، ومرة قبولا ، وأخرى دبوراً . استعار الشيء من فلان، واستعار فلان الشيء طلب منه أن يعيره إياه يقال (أرى الدهر يستعيرني ثيابي) أي يأخذها مني يقولها الرجل إذا كبر وخشي الموت[١].

ويقول صاحب اللسان: ((والعارية والعارة ، ما تداولوه بينهم وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه))[٢].

---

(١) انظر المنجد في اللغة والأعلام انظر مادة عور ص٥٣٧ .

(٢) لسان العرب انظر مادة عور ج١٠ ص٣٣٤ .

يقول الخطيب القزويني : ((الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبه معناه لما وضع له ، وقد تقيد بالتحقيقية لتحقيق معناها حساً أو عقلاً ، أو التي تتناول أمرا معلما يمكن أن ينص عليه ، ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، ويقال إن اللفظ نقل من مسماه الأصلي ، وجعل اسما له فعلى سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه)) [١].

وعرفها ابن الأثير بقوله : ((ما ذكر باسم ، وإثبات ما لغيره له من أجل المبالغة في التشبيه ، احترازا من المجاز ، فإنه يقال كلما ازداد التشبيه خفاءً تحدث للكلام مزية على ما لو استعمل علي حقيقته ، وما إلى ذلك أنك لو (قلت رأيت أسدا) وتعني به رجلا شجاعا ، فقد أثبت لهذا الرجل شجاعة وقوة الأسد، بقوة من الكلام لم توجد فيها إذا قلت (رجلا شجاعاً)..))[٢].

أما السكاكي فقد عرفها بقوله : ((الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الآخر ، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به ، كما يقال في (الحمام أسد) وأنت تريد الشجاع، مدعياً أنه من جنس الأسود ، فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به، وهو اسم جنسه، مع سد طريق التشبيه بأفراده في الذكر أو كما تقول: إن المنية أنشبت أظفارها وأنت تريد بالمنية السبع ، بادعاء السبعية لها ، وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع ، فتثبت لها ما يخص المشبه به وهي الأظفار))[٣].

وقد ذكرها الجاحظ وقال : ((الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه))[٤]. ثم جاء بعده عبد الله بن المعتز[٥] وكتب كتابه البديع وجعل أول الكلام

(١) بغية الإيضاح عبد المتعال الصعيدي ج٣ ص٩٠ .

(٢) جواهر الكنز :ابن الأثير ، تحقيق محمد زغلول سلام – الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية – ص٥٥ .

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة ٢ – ص٣٦٩ .

(٤) البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي بيروت ، دار صعب الطبعة الأولى ١٩٦٨م ج١ ص١١٦ .

(٥) هو عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد . واحد دهره في الأدب والشعر كان يقصده فصحاء الأعراب ويأخذ منهم . ولقي العلماء من النحويين الأخباريين . كثير السماع غزير الرواية . وأمره أكثر من أن يستقصى . وألف كتباً كثيرة منها . الزهر والرياض . كتاب البديع . كتاب مكاتبات الأخوان بالشعر . كتاب الجوارح الصيد – فهرست ابن النديم ص١٢٩

له بعد المقدمة في الاستعارة وعرفها بقوله استعارة الكلمة بشيء لم يعرف بها من شيئ عرف بها[١].

وقد قال ابن رشيق: ((الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها ، والناس مختلفون فيها منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه كقول لبيد[٢]:

وَغَداةِ ريحٍ قَد وَزَعــتُ وَقَــرَّةٍ * إِذ أَصبَحَت بِيَدِ الشَــمالِ زِمامُهــا**

فاستعار للريح الشمال يدا وللغداة زمام وجعل زمام الغداة بيد الشمال إذ كانت الغالبة عليها وليس اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة))[٣].

والسر في استعارة العرب لفظ الشيء لغيره يقول عنه ابن رشيق: ((والاستعارة إنما هي لاتساعهم من الكلام اقتدارا ودالة ليس ضرورة لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم ، فإنما استعاروا مجازا واتساعا . ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك . على إننا نجد أيضا اللفظ الواحد يعبر به عن معانٍ كثيرة نحو العين التي تكون جارحة ، وتكون للماء ، وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشيء وذاته ، وتكون الدينار وما أشبه ذلك كثير ، وليس ذا من ضيق اللفظ عليهم ولكنه من الرغبة في الاختصار، وثقة

---

(١) انظر البديع : ابن المعتز : تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، بيــروت دار الجيــل ، ط١ ، ١٤١٠ هـــ ـــ ١٩٩٠ م ، ص ٧٥

(٢) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري . الصحابي الجليل وهو من المخضــرمين الــذين أدركوا الجاهلية والإسلام . وتوفى في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان شــاعر معــدود مــن الشــعراء المجيدين . والفرسان المشهورين . ومن المعمرين . أسلم لبيد وحسن إسلامه وهو القائل. **أَلا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَهَ باطِلُ** . معجم المطبوعات العربية . أليان سركيس .ج٢ ص ١٥٨٧

(٣) العمدة ابن رشيق ج١ ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

في فهم بعضهم البعض . ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكر لها اسم غير العين أو أسماء كثيرة))[١].

وقال الجرجاني عنها : ((هي أمد ميدانا ، وأشد افتتانا ، وأكثر جريا وأعجب حسنا وإحسانا ، واسع سعة وأبعد غورا ، وأذهب نجدا في الصناعة))[٢].

من التعريفات السابقة نخلص إلى أن الاستعارة هي اللفظ المستعمل في غير المعنى الموضوع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع وجود قرينه مانعة من إرادة المعنى الأصلي .

والصور الاستعارية تتألف من ثلاثة عناصر : العنصر الأول المستعار له المشبه ، العنصر الثاني المستعار منه المشبه به ، العنصر الثالث هو الوصف الرابط بين الطرفين الأساسيين ويطلق عليه البلاغيون اسم الجامع .

وتنقسم الاستعارة إلى استعارة تصريحية ومكنية . الاستعارة التصريحية هي ما صرح بها بلفظ المشبه به نحو رأيت أسدا ، وأنت تعني رجلا شجاعا ، وعنت لي ظبية ، وأنت تريد امرأة ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ((كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣]. وفي كلمتي الظلمات والنور مجازان لغويان أي من الضلالة إلي الهدي ، فقد استعيرت الظلمات للضلالة لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبهما ، وكذلك استعير النور للإيمان لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية ، والمستعار له وهما الضلال والإيمان كل

---

(١) العمدة لابن رشيق، ج٢ ص٢٧٤ وقد أورد مستشهدا البيت التالي وهو لأرطأة بن سهية :

فقلتُ لها يــا أمَ بيضــاءَ إننــي * هُريقَ شبابي واستشن أديمــي**

فقال هريق شبابي لما في الشباب من الرونق والطراوة التي هي كالماء ثم قال استشن أديمي لان الشن هي القربة اليابسة فكأن أديمه صار شناً لما هريق ماء شبابه فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم تبعد .

(٢) جواهر الكنز ص٥٥ .

(٣) سورة إبراهيم الآية ١ .

منهما محقق عقلا ، ونشير إلي أن القرينة التي تمنع من إرادة المعني الحقيقي لكلمتي الظلمات والنور قرينة حال تفهم من سياق نص القران الكريم ، وقال المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة[1]:

وَأَقبَلَ يَمشي في البِساطِ فَما دَرى * إِلى البَحرِ يَمشي أَم إِلى البَدرِ يَرتَقي[2]**

فقد شبه سيف الدولة بالبحر عن طريق جامع العطاء ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو البحر للمشبه وهو سيف الدولة والعلاقة المشابهة في العطاء والقرينة المانعة من إرادة المعني الحقيقي هي وأقبل يمشي في البساط وهي قرينة لفظية ، وشبه المتنبي سيف الدولة أيضا بالبدر بجامع الرفعة ، ثم استعير اللفظ الذي يدل علي المشبه به وهو البدر والقرينة المانعة من المعنى الحقيقي هي وأقبل يمشي في البساط وهي قرينة لفظية.

أما الاستعارة المكنية هي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه نحو قول أبي ذؤيب الهذلي[3]:

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها * أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ[4]**

---

(١) سيف الدولة: هو سيف الدولة عبد الله بن حمدان بن حمدون، من قبيلة تغلب، أمير حلب، كان بلاطه ملاذاً للشعراء، مدحه كثيرون على رأسهم المتنبئ وأبو فراس الحمداني. الأعلام، لخير الدين الزركلي، ، ج١٧، ص١٣٦.

(٢) ديوان المتنبي ج ٣ ص ٥٦ .

(٣) هو خويلد بن خالد بن محرث ، أبو ذؤيب ، من بني هذيل بن مدركة ، من مضر ، شاعر فحل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة . واشترك في الغزو والفتح ،وعاش إلى أيام عثمان ،فخرج في جند عبد الله بن أبي السرح إلى إفريقيا سنة ٢٦ هـ غازيا فشهد فتح إفريقية . مات بمصر . وقيل مات بإفريقية اشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد ، مطلعها أمن المنون وريبه تتوجع . وهو أشعر هذيل من غير مدافعة . الأعلام للزركلي ج٢ ص ٣٢٥

(٤) ديوان أبي ذؤيب الهذلي . تحقيق د .أنطونيوس بطرس . دار صادر الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ص١٤٣

شبه المنية بالسبع ، والجامع إزهاق الروح في كلٍ . وحذف المشبه بـــه وهو السبع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الأظفار التي لا يكتمل الاغتيال إلا بها ، والقرينة هنا لفظية وهي إثبات الأظفار للمنية وللبستي استعمال كثير للاستعارات الجميلة يقول[1]:

أيُّ عُــذْرٍ أنْ صامَ عني ثنَائي؟ * وأنا الدَّهُر مِنهُ فــي يَــومِ فِطْــرِ**

وأتمُّ الأشــياءِ نــوراً وحُسْــناً * بِكْرُ شُكْرٍ زُفَّــتْ إلي صِــهرِ بِــرِّ**

ما قِرانُ السَّعْدَيْنِ أبهي وأعلــى * مَنظَــراً مِن قِــرانِ بِــرِّ وشُــكْرِ**

فقد شبه الثناء بالإنسان ، وحذفه وأتى بأحد لوازمه وهو الصيام ، وهكذا تجري بقية الاستعارات في القطعة .

وقال:

ولمّا رأيْتُ النّــاسَ إلاّ أقلّـــَهُمْ * وأطيَبُ ما مَجُّوا منَ الشُّكْرِ أخبَثُ**

نَشرْتُ ثناءً عَطَّرَ الأُفْــقَ طِيبُــهُ * كــذاكَ ثــناءُ الحــُرِّ نَــدٌّ مَثَلَّــثُ**

وألَّفتُ ألحاناً لشُكــرِكَ لم يُصِبْ * تَناسُبــَها زِيــرٌ ومَثْنى ومَثْلَثُ[2]**

وقال :

وسائلُ النَّاسِ شَتّى عِندَ سادَتِهِم * ولــي وســائلُ آدابــي وآمــالي**

فاسحَبْ ببِرِّكَ أذيالاً على أملــي * اسحَبْ بشُكرِكَ ما عُمِّرْتُ أذيالي[3]**

---

(١) ديوان البستي ص٢٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص٢٣١ – ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص١٥٥ .

وله[1]:

أتيتُكَ أشكو رَيْبَ دَهريَ فانتصر * لِعَبدِك مِنهُ واسْمَعِ البَثَّ والشَّكوى**

فالاستعارة في أشكو . فشبه ريب الدهر أي حوادث الدهر بالإنسان ، وحذف المشبه به الإنسان ، ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهي الشكوى على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات الشكوى للإنسان . وهي صورة فنية لأنه شخص الدهر .

ويقول[2]:

إذا اقْتُسِـمت أقـاليمُ المَعـالي * وفُضَّـتْ بـينَ أخـلاقٍ وِضـاءِ**

فَخـطٌّ الاسْـتِواءِ ومَـا يليـهِ * لحُسـنِ العَهـدِ مِنهـا والوَفـاءِ**

فكلمة اقتسمت التي تستعمل للأشياء المادية استخدمها للأمور المعنوية وهي الأخلاق والفضائل . فهي استعارة مكنية ، والقرينة هي إثبات كلمة اقتسمت للأشياء القابلة للعد وهي صورة فنية لتجسيد الأشياء القابلة للعد .

وله[3]

سقَى اللهُ أيّام الشـبَّابِ فـإنَّني * لبستُ بها بُـرْدَ الفَخـارِ قَشـيبا**

الاستعارة في كلمتي سقى و برد ، فقد شبه الشاعر أيام الشباب بالشجرة وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية . وشبه الفخار بالإنسان ،

---

(١) ديوان البستي ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢ .

(٣) لمصدر السابق ص ٢٥ .

وحذف الإنسان وأشار إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية أيضا .

وله أيضاً[1]

أنكرتِ من أدمُعي نَثْري سواكِبَها * سَلي دُموعي هلْ أبكي سِواكِ بِها**

فالاستعارة مكنية في كلمتي أنكرت وسلي . والقرينة إثبات أنكرت وسلي للأشخاص .

وقال [2]

فَيَكشِفُ أيَّامَ الجُــدوبِ سَــماحُةُ * وتَفتُق أكمــامَ الغُيُــوبِ تجارِبُــهْ**

الاستعارة في تفتق أكمام ، فشبه الغيوب بالأزهار وحذف الأزهار ، وأشار لها بأحد لوازمها تفتق والأكمام التي تغطيها ، على سبيل الاستعارة المكنية لأنه لم يصرح بلفظ المشبه به .

ويقول [3]

وإذا ضَــمَّتِ الكِفايَــةُ قَومــاً * في مَضَمِّ البَيانِ لم يَلحَقــوا بــي**

الاستعارة في كلمة ضمت التي ألحقها بالكفاية ، ففيها صورة جمالية إذ شخص الكفاية ، فقد شبهها بالأم فهي التي تضم وليدها ، فحذف الأم والقرينة إثبات الضم للأم .

وله في ذم الدهر[4]

---

(١) ديوان البستي ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨ .

يَهــشُّ إلـــى النَّبَــهِ المُســتَذَلِّ * وينبـــو عـــن السَّـــيِّدِ النَّابِـــهِ**

وقد كــانَ يَبِســمُ عــن ثَغْــرِه * فأصبحَ يَكْشِرُ عنْ نابِهِ**

الاستعارة في يهش وينبو التي استعارها للدهر على سبيل الاستعارة المكنية في البيت الأول . ويبسم ويكشر في البيت الثاني فقد شبه الزمان بالفتاة تارة وبالوحش تارة أخرى .

وقال البستي(١)

عاجلْتَ ثَوبَ عــلاكَ بالتَّوســيخِ * وخدَجْتَ وجهَ رِضــاكَ بــالتَّوبيخِ**

استعار الشاعر كلمة ثوب واستخدمها للعلا وشبهه بالإنسان ، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، على سبيل الاستعارة المكنية . كما استعار كلمة وجه للرضا على سبيل الاستعارة المكنية .

وله (٢)

صَــديقٌ لَنَــا شــكرُهُ غائــبٌ * ولكــــنَّ كُفرانَــــهُ شــــاهِدُ**

استعار الشاعر كلمة غائب للشكر ، وكلمة شاهد للكفر فصرح بلفظ المشبه به وجعل المشبه هو المشبه به عينه على سبيل الاستعارة التصريحية .

وله(٣)

ولقد صُمتُ عن لقائــكَ أُســبو ـــ عاً وبعــدَ الصِّــيامِ فِطْــرٌ وَعِيــدُ

---

(١) ديوان البستي ص ٦٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٤ .

استعار كلمة صمت للامتناع عن لقاء الأحبة ، فالاستعارة تصريحية لأنه جعل المشبه به هو المشبه والعلاقة الامتناع في كلٍ .

وله في الخمر(١)

تَستَلُّ روحَكَ في أمْنٍ وفي دَعةٍ * إذا جرَتْ مِنك مجرى الماءِ في العُودِ**

فاستعار كلمة تستل للخمر مجسدا لها على سبيل الاستعارة المكنية ، والقرينة إثبات استلال الأشياء المادية .

والشواهد كثيرة جدا في ديوان البستي على استعاراته ، ويمكن القول إن صوره الاستعارية نجحت في إبراز الصورة الفنية بصورة جيدة في شعر البستي كما نجح في أداء التشبيه ، وجعلت في صوره الفنية حركة وتنفسا للجامد واستنطاقا له.

المطلب الثالث :الكناية

الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه ، كقولك فلان طويل النجاد أي طويل القامة ، وفلانة نؤوم الضحى أي مرفهة مخدومة غير محتاجة إلى السعي بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يحتاج إليه في تهيئة المتناولات وتدبير إصلاحها . فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك . ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد ، والنوم في الضحى من غير تأويل ، فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أي من جهة إرادة المعنى ، فإن المجاز ينافي ذلك فلا يصح في نحو قوله : في الحمام أسد أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز ملزوم قرينة

---

(١) ديوان البستي ص ٧٦ .

معاندة من إرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء[1].

قال البستي[2]:

إذا اقْتُسِـمت أقـاليمُ المَعـالي * وفُضَّـتُ بـينَ أخـلالٍ وِضـاءِ**
فَخـطُّ الاسْـتِواءِ ومَـا يليـهِ * لحُسـنِ العَهـدِ مِنهـا والوَفـاءِ**

فخط الاستواء هنا كناية عن الاستقامة بل أعلى مستوياتها وهنا مضروبة كتشبيه أيضا لحسن العهد والوفاء .
وقال[3]:

وإنِّي لَمُحْتاجٌ إلـى سـيِّدٍ لـهُ * سَـماحٌ ورَأْيٌ لا تَغيـبُ كواكِبُـهْ**

وهنا نلحظ الكناية عن بنات الأفكار اللماحة في كلمة لا تغيب كواكبه ، وهي كناية عن الأفكار والآراء الواضحة وعلامة الوضوح واللمعان .
وأردف هنا بقوله [4]:

يا يوسفَ الحُسْنِ لَيْلي بعدَ فُرقتِكُمْ * يَحكي سِنِي يُوسُفٍ طُولاً وتَعـذيبَا**

---

(١) انظر بغية الإيضاح – ج٣ – ص١٥٠.
(٢) ديوان البستي ص ٢٢ .
(٣) المصدر السابق ص٢٧ .
(٤) المصدر السابق ص٢٨ .

فالكناية في عبارة سني يوسف ، وهي سنوات يضرب بها المثل في القحط والجدب[1].

وقال [2]:

فَلَنْ يَشربَ السمَّ الذُّعافَ أخو حجىً * مُــــدِلاًّ بِــــدِرْيَاقٍ لَديــــهِ مُجــــرَّبِ**

فالكناية في كلمة أخو حجى ، وهي كناية عن صاحب العقل الراجح الذي لا يفارقه الرأي الصائب المتعقل حتى أصبح علي علاقة هي اقرب من الإخوة مع عقله .

وقال[3]:

ذُو الفَضل في دُنيــاهُ مَحســودُ * وكـــلُّ مَـــن يُحْسَـــدُ مَقصـــودُ**

ذو الفضل كناية عن الكرم والجود .

وقوله[4]:

وزارَةُ بُسْتٍ وِزرُها قاصِمُ الظَّهرِ * ومُدَّتُها مُنذُ الغَـداةِ إلــى الظَّهــرِ**

فلا تَخطُبَنْها إنَّها ضَرَّةُ النُّهــى * وبُغيَتُها روحُ البُعولَةِ في المَهــرِ**

---

(١) وردت في القرآن قال تعالى : {يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ . قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ .ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} سورة يوسف الآيات ٤٦ ــ ٤٩ .

(٢) ديوان البستي ص٣٠ .

(٣) المصدر السابق ص٩٥ .

(٤) المصدر السابق ص٧٩ .

فضرة النهي كناية لمجافاتها العقل .

وله [١]:

فــإنِّيَ ضِــرغامُ يــومِ الهيــاجِ * إذا ما ادّرَعْــتُ لِباســي لباســي**

فيوم الهياج كناية عن الحرب لأن الناس تهيج فيه وتمور .

وقوله[٢]:

فأنتَ أخو العُلا فــي كُــلِّ حــالٍ * خــدمتُكَ فــي سُــكوتٍ أو مَقــالِ**

أخو العلا كناية عن رفعة شأن الممدوح وعلو منزلته .

وقوله [٣]:

ولو قدِرت رُكوبَ الرِّيحِ زرتُكُــمُ * لأنَّ بُعدي مِنكُمْ قَد جَنَــى حَيْنــي**

ركوب الريح كناية عن السرعة .

وله في الفخر[٤]:

أنــا العبــد تَرفعُنــي نســبتي * إلى عَبدِ شــمس قَريــعِ الزَّمــانِ**

قريع الزمان كناية عن أصحاب العزم والسؤدد .

---

(١) ديوان البستي ص١٠٩ .

(٢) المصدر السابق ص١٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص٢٠٣ .

(٤) المصدر السابق ص٢٠٤ .

وله [1]:

وذاتِ دَلٍّ إذا لاحظْتَ صـــورتَها * رجعْتَ عَنها بقَلبٍ جِـدٍّ مَفتـــونِ**
تزورَّ عنِّي بنونِ الصُّدْغِ حينَ رأتْ * إمامَ لَهْوي يقرا ســورةَ النُّـــونِ**

الكناية في إمام لهوي .
أو قوله [2]:

أَفدي الغَزالَ الّذي في النَّحوِ كلَّمَني * مُناظِراً فاجتَنَيْتُ الشّهدَ مِن شَفَتِهْ**
فأوردَ الحُججَ المقَبولَ شـــاهِدُها * مُحَقِّقا لِيرينـــي فضـــلَ معرِفَتِـهْ**
ثمَّ اتفَقْنا على رأيٍ رَضيتُ بـــهِ * فالرَّفعُ مِن صِفَتي والنَّصبُ مِن صِفَتِهْ**

والكناية في الرفع والنصب . إلى غير ذلك كثير . وكما ظهر قد لعبت الكناية دورها وضخت حيوية في الصور البيانية ، والصورة الفنية بجملـــة . وان كان مجيؤها بصورة أقل من التشبيه والاستعارة.

(١) ديوان البستي ص٣٠٥ .
(٢) المصدر السابق ص٢٣٠ .

المبحث الثاني
الصور البديعية وأثرها في التشكيل الفني

يعتبر شوقي ضيف أن هناك معنىً صوتياً للكلمات غير معنييها اللغوي والبياني سماه الموسيقا وعلل وجود هذا المعنى بإرادة تلافي العرب ما في لغتهم من نقص في الأداء العاطفي من قديم ويعتبر ضيف أن الشعراء بلغوا الغاية في هذا الأمر وما كان اكتشاف الأوزان إلا نتاجاً لجريهم وراء هذا المعنى الصوتي وكذا السجع في النثر ، عليه يعتبر ضيف أن دراسة الآثار الأدبية من حيث الأداء الصوتي ليس بأقل أهمية من دراستها لغوياً وبيانياً حتى يتكامل لدينا الأداء العاطفي الذي يؤديه الأداء الصوتي للكلمات [(١)]. وفي قول ضيف هذا تفسير قوي وتعليل، لما سلكه النشاط اللغوي العربي في الاهتمام بالتحسين الصوتي للكلام ، ونعده توطئة ممتازة للحديث عن البديع . الذي بدأ عفو الخاطر عند الجاهليين وانتهى إلي صنعة محضة فقد غمر العقل العربي في العصور التالية لظهور الإسلام ذوق من التصنع ، لم يكن معهودا فعمد إلي وسائل يصعب بها تناوله للآراء والأفكار ، علي ما كان للمهلبي[(٢)] يصعب علي نفسه تناوله لطعامه بملعقة فقد ذكر أن مهلب يتناول اللون الواحد من الطعام بملاعق متعددة يقول شوقي ضيف : ((وبذلك سجل أن الوسائل لم تعد

---

(١) انظر البحث الأدبي مناهجه وأصوله: شوقي ضيف ط ٤ دار المعارف ص١٦ .

(٢) المهلبي (٢٩١ –٣٥٢) الحسن بن محمد بن عبد الله بن هارون ، من ولد المهلب بن أبي صفرة الأزدي ، أبو محمد . من كبار الوزراء ، الأدباء الشعراء . اتصل بمعز الدولة بن بويه ، فكان كاتبا في ديوانه ، ثم استوزره . وكانت الخلافة للمطيع العباسي . فقربه المطيع . وخلع عليه . ثم لقبه بالوزارة . فاجتمعت له وزارة الخلافة ووزارة السلطان . ولقب بذي الوزارتين ، وكان من رجال العالم حزما ودهاء .وكرما وشهامة . وله شعر رقيق مع فصاحة بالفارسية . ولد بالبصرة وتوفي في طريق واسط . وحمل إلى بغداد .له شعر . الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢١٣ .

كافية لأداء وظيفتها إذ لابد أن تتعدد وتتعقد ويدخلها التصنع والتحذلق علي صور مختلفة))[1].

وقد التصق البديع بالعصر العباسي واكتمل كمذهب فني في الوقت ذاته، فقد تغيرت صورة الحياة الاجتماعية ، وكان لابد للأدب أن يتغير لأنه انعكاس للواقع الاجتماعي . ففي هذا العصر نرى الحياة ترتدي ثوبا قشيبا من الجدة والطرافة ، فقد تغير العربي الذي ألف الصحراء مقيما وظاعنا يملأ أذنيه ثغاء الشاة ، ورغاء الإبل ، وصهيل الخيل . يقول محمد عبد العزيز الكفرواي: ((وأما العصر العباسي فعصر الفخامة والمبالغة في كل شئ . ضخامة الدولة وفخامتها ، وضخامة الجيوش وتكدس الأموال، وأبهة الملك، وسطوة الخلافة، مظاهر رائعة مختلفة كل الاختلاف عن حياة البادية . وحيث صار الشعر الساذج المتواضع يبدو أمامها كأنه إباء البدوي التي تحفها الزمن علي كتف أحد المارة في بعض شوارع لندن أو باريس .... ولم يكن إذا بدٌ من أن يساير الشعر العربي تلك الحياة الجديدة ، وأن يطرح التواضع والبساطة والقصد الذي عاد لا يلائم الظروف الجديدة، فإن تردد أو تباطأ ، حمله الناس علي ذلك حملا ، ودفعوه إليه دفعا دون هوادة)) [2].

وقد وضع عبد العزيز الجرجاني عنواناً في كتابة الوساطة باسم أثر التحضر في الشعر . قال فيه : ((فلما ضرب الإسلام بجرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلي القرى ، وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلي كل شيئ ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا ، وألطفها من القلب موقعا ، والي ما للعرب فيه لغات فاقتصروا علي أسلسها وأشرفها .... وأعانهم علي ذلك لين الحضارة ، وسهولة طباع الأخلاق ، فانتقلت العادة وتغير الرسم ، وانتسخت

---

(١) البحث الأدبي : ضيف ص٥٤ .

(٢) التجديد والتطور في الشعر العربي : محمد عبد العزيز الكفراوي ط٢ ص١٧٦ .

هذه السنة ، واحتذوا بشعرهم هذا المثال ، وترفقوا ما أمكن ، وكسوا معانيه ألطف ما سنح من الألفاظ))[١].

وفي ما يرويه صاحب زهر الآداب دلالة واضحة علي مدي التغير الذي طرا علي العرب في ذاك العصر . يقول صاحب زهر الآداب :

((وقال ثمامة بن أشرس[٢]: كنت عند المأمون يوما فاستأذن الغلام لعمير اليماني[٣] فكرهت ذلك ، ورأي المأمون الكراهية في وجهي فقال : يا ثمامة ما بك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين إذا غنانا عمير ذكرت مواطن الإبل، وكثبان الرمل ، وإذا غنتنا فلانة ، انبسط أملي ، وقوي جزلي ، وانشرح صدري، وذكرت الجنان والولدان ، كما بين أن تغنيك جارية غادة كأنها غصن بان ، ترنو بمقلة وسنان ، كأنما خلقت من ياقوتة، أو خرطت من فضة بشعر عكاشة العمى[٤] حين يقول:

مِنْ كَـفٍّ جاريــةٍ كـــأن بَنَانهــا * مِنْ فِضَّــةٍ قَـدْ طـــوقت عنابــا[٥]**

وكـــأنَّ يُمْنَاهـــا إذا ضَـــرَبَتْ بِهـــا * تلقي علـــي الكَــفِّ الشـــمالِ حســـابا**

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي بيروت منشورات المكتبة العصرية ص١٨ .

(٢) ثمامة بن أشرس المتوفى سنة ٢١٣ هـ . هو ثمامة بت أشرس النميري ، أبو معن . من كبار المعتزلة . وأحد الفصحاء البلغاء المتقدمين . كان له اتصال بالرشيد ثم المأمون . وكان ذو نوادر وملح . من تلاميذه الجاحظ . وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه . وعده المقريزي من أصحاب الفرق الهالكة . وأصحابه يسمون الثمامية .. الأعلام للزركلي ج٢ ص ١٠٠

(٣) لم نقف له على ترجمة .

(٤) عكاشة العمي . بتخفيف الكاف أو تشديدها نحو ١٧٥ هـ بن عبد الصمد العمي . شاعر فحل من بني العم . من شعراء العصر العباسي من أهل البصرة . لم يخدم الخلفاء ولم يمدحهم فقل ما في أيدي الناس من شعره . الأعلام للزركلي ج٤ ص٢٤٤ .

(٥) ورد البيت في الأغاني ج٣ ص ٢٥٣ .

وبين أن يغنيك رجل كث اللحية ، غليظ الأصابع ، خشن الكف ، بشعر ورقاء بن زهير [١] حين يقول:

رَأيْتُ زهيـــراً تَحْــتَ كَلْكْــلِ خالــدٍ * فأقْبَلْـــتُ أســـعى كـــالعجولِ أبـــادر [٢]**

وكم بين أن يحضرك من تشتهي النظر إليه ، وبين من لا يقف طرفك إليه . فتبسم المأمون وقال : الفرق بينهما واضح ، والمنهج فسيح ، يا غلام لا تأذن له واحضر أطيب قيانه فظللنا في أمتع يوم)) [٣].

والقصة تبين لنا كيف انتقل ذاك العصر من البداوة إلي الحضارة والترف . والفرق بينهما واضح والمنهج فسيح كما يقول المأمون .

وقد كانت بداية تسمية البديع للرواة فهم الذين أطلقوا صفة البديع أي الرائع من الصياغة الحلوة علي بيت الأشهب بن رميلة [٤]:

هُم ساعدُ الدَهرِ الذي يُتقى بـــه * وما خيرُ كفٍّ لا تَنُوء بسَـــاعدِ [٥]**

---

(١) ورقاء بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي . شاعر جاهلي .من الفرسان . حضر مقتـل أبيـه وأراد الفتك بقاتله خالد بن جعفر بن كلاب العامري وهو مكب عليه . فضربه بالسـيف ضـربات أصابت درعه ولم تنفذ إلى جسمه فقال ورقاء :

رأيت زهيرا تحـت كلكـل خالـد * فأقبلت أسعى كالعجول أبـادر**

الأعلام للزركلي ج ٨ ص ١١٤

(٢) ورد البيت في الأغاني ج ١١ص ٧٨ .

(٣) زهر الآداب ج٢ ص٦٠٩

(٤) هو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان بن جندل بن نهشل . ورميلة أمه . وكانت أمـة لجندل بن مالك بن ربعي وكانوا من أشد الناس لسانا ويدا ومنعة ثم أدركـوا الإسـلام فأسـلموا وكثرت أموالهم وعزوا . الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. تحقيق محمـد علـي البيجاوي .بيروت دار الجيل . ط ١ سنة ١٤١٢ .ج ١ ص ٢٠٢

(٥) ورد البيت في الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمـد عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ ج ١ ص ٢٦٩ .

يقول الجاحظ: ((هم ساعد الدهر إنما هو مثل ، وهذا ما تسميه الرواة البديع))[1].

ويعتبر عبد الله الطيب أن البديع زينة كانت فصحاء العرب تزين به كلامها لأن طلب الزينة طبع في البشر بدواً كانوا أو حضراً[2].

وقد وجد الجاحظ أن العتابي[3] يحذو حذو بشار[4] في البديع وأن الراعي[5] كان كثير البديع ، وبشار كان حسن البديع وأما العتابي فيذهب شعره في البديع ، وأما جميع من يتكلف البديع من الشعراء المولدين كمنصور

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج٤ ص٥٥ .

(٢) انظر المرشد إلي فهم أشعار العرب ج٤ ، قسم ١ ،ص٦٦٧ .

(٣) هو محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج أبي منصور بن أبي البقاء العتابي البغدادي . قرأ النحو ابن الشجري واللغة على أبي منصور الجواليقي وسمع الحديث عن جده أبي العباس أحمد بن القاسم . سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر بن خضر القرشي . كان إماما في النحو والعلوم العربية وكتب الخط المليح . ولد في ربع الأول سنة أربع وثمانين . ومات يوم الثلاثاء خمس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة . معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .

(٤) هو بشار بن برد بن يرجوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمهن بن دارا بن فيروز بن كردية. وكان جده يرجوخ من سبي المهلب . ويكنى أبا معاذ .ومحله في الشعر وتقدمه طبقات المحدثين فيه بإجماع ورياستهم عليه من دون اختلاف ..وهو من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية قد شهر فيهما ومدح وهجا وأخذ سني الجوائز من الشعراء . وكان مكفوفا وكان شديد التعصب للعجم . وكان يلقب بالمرعث . وقال الشعر ولم يبلغ عشر سنين . قال عنه الأصمعي إنه خاتمة الشعراء وكان يدين بالرجعة . وضربه الخليفة بالسوط حتى مات . الأغاني ج٣ من ص ١٢٧ إلى ٢٤١ .

(٥) هو عبيد الله بن حصين بن جندل بن نمير ، سمي بالراعي لكثرة وصفه للإبل وكنيته أبو جندل . كان أعور . لج الهجاء بينه وبين جرير فأخمله جرير . وعده ابن سلام من الطبقة الأولى الإسلامية . الشعور بالعور لأبي الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي المتوفى سنه٧٦٤ هـ تحقيق دكتور عبد الرازق حسين .دار عمار الأدران . ط الأولى ١٤٠٩ . ص ٢٥٦.

النمري[١] ومسلم بن الوليد[٢] كان يسير ألفاظ العتابي وحذوه ، ومثاله في البديع[٣].

وقد ذكر ابن المعتز في أول مقالة له في كتابه البديع: ((...أن بشاراً ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ، لكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم ... وأن حبيب بن أوس من بعدهم شغف به حتى غلب عليه))[٤]. وهو يرد على من أدعى أن الشعراء المبدعين السابق ذكرهم هم الذين ابتكروا الصورة البديعية التي أتوا بها في شعرهم، ويقول إنه وجد في القرآن واللغة وأحاديث الرسول (ﷺ) وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين ، كالكلام الذي سماه المحدثون البديع[٥]. وهو رأي صائب وسآتي إلي تمثيل ما جاء بالقران والشعر القديم من البديع .

والبديع في الشعر ضرورة لاستكمال الإطار الفني للصورة ، لذلك لا ينكر دوره في تكوين الصورة حتى تبدو كاملة في تضاد مركب ، تعتمد علي سلامة المقابلة بين جزيئاتها . ولا يستهان بما في البديع من إمكانات تصويرية شريطة أن لا يتحول البديع إلي غاية وهدف ، حتى لا تبدو الصورة زخرفية زاهية الألوان باهتة الأفكار عقيمة المحتوى[٦].

---

(١) منصور النمري كان حيا قبل سنة ١٩٣ ه . هو منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري ، أبو القاسم . شاعر من أهل الجزيرة الفراتية وتتلمذ لكلثوم بن عمرو العتابي . مدح الخليفة هارون الرشيد . له ديوان شعر . معجم المؤلفين عمر كحالة ج ١٣ ص ١٣.

(٢) مسلم بن الوليد الشهير بصريع الغواني . من منالي الأنصار ومن شعراء الدولة العباسية . توفي ببغداد سنة ثمان ومائتين . له ديوان شعر . هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي . ج ٢ ص ٤٣١ .

(٣) انظر البيان والتبيين: الجاحظ ، ج١ ص٤٣

(٤) البديع : ابن المعتز ص ٧٣ ، ٧٤.

(٥) انظر البديع : ابن المعتز ص ٧٦ وما يليها .

(٦) انظر الصورة الفنية في شعر دعبل ص٣٤٤ .

المطلب الأول :تعريف البديع في اللغة والاصطلاح

البديع لغةً واصطلاحاً

جاء في اللسان بدع الشيء يبدعه بدعاً وابتدعه : أنشأه وبدأه وبدع الرّكية استنبطها وأحدثها والبدع الشيء الذي يكون أولا [١] وفي التنزيل : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ﴾[٢] أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير . والبدعة: الحدث وأبدع وابتدع وتبدع : أتى ببدعه قال تعالي: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾[٣] وقال رؤبة[٤]:

إِنْ كُنْتَ لِلَّـــهِ التَقِـــيَّ الأَطْوَعَـــا * فَلَيْسَ وَجْهُ الحَـــقِّ أَنْ تَبَـــدَّعا**[٥]

وأبدع الشاعر جاء بالبديع[٦].

وفي الاصطلاح يقول الخطيب القزويني: ((هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه علي مقتضي الحال ووضوح الدلالة))[٧].

---

(١) لسان العرب مادة بدع

(٢) سورة الأحقاف آية ٩ .

(٣) الحديد آية ٢٧ .

(٤) رؤبة بن العجاج أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري أبو محمد الشاعر تـوفي سـنة خمـس وأربعين ومائة . له ديوان شعر ليس فيه إلا الأراجيز . هدية العارفين للبغدادي ج ١ ص ٢٧١

(٥) مجموعة أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج :تحقيق وليم بن الورد البروسي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـــ ـــ ١٩٨٠ م ص ٨٧ .

(٦) لسان العرب ج٢ مادة بدع ص٣٧ ، ٣٨ .

(٧) بغية الإيضاح ج٤ ص٣ .

وعرفه أحمد مصطفي المراغي في العصر الحديث بقوله : ((البديع هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة بمقتضى الحال التي يورد فيها ، ووضوح الدلالة على ما تبين في علمي البيان والمعاني))(١).

البديع في القرآن الكريم:

كنت قد ذكرت آنفا أن البديع له شواهد في القرآن وكلام العرب قبلا . وهنا أورد بعض الأمثلة كشواهد على ما ذكرت ، حيث إن القران يحفل بكثير من أنواع البديع ولا يمكن الاستغناء عنه أو اعتباره مجرد تحسين إضافي . فمنه الجناس نحو قوله تعالي ﴿ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾(٢). وقوله ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ ﴾(٣). وقوله: ﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾(٤). وقوله :﴿ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم ﴾(٥).

ومن تلك الفنون المشاكلة في قوله تعالي: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾(٦) وقوله :﴿ وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾(٧). وقوله :﴿ صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ﴾(٨). وقوله ﴿ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾(٩).

---

(١) علوم البلاغة : أحمد مصطفى المراغي ، القاهرة ط١٩٣٧ ص ٢٨٤ .

(٢) سورة يوسف الآية ٨٤ .

(٣) النمل آية ٢٢ .

(٤) القيامة الآية ٢٩ ،٣٠ .

(٥) التوبة الآية ٣٤ .

(٦) المائدة الآية ١١٦ .

(٧) الشورى الآية ٤٠ .

(٨) البقرة الآية ١٣٨ .

(٩) البقرة الآية ١٤ـــ ١٥ .

ومنها المبالغة كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾[1]. وقوله: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾[2] وقوله :﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾[3].

وقوله : ﴿ وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾[4] وقوله : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[5].

ومنها المطابقة أو الطباق نحو قوله تعالي :﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) [6] وقوله: ﴿ (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾[7] وقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[8].

ومنها تأكيد المدح بما يشبه الذم نحو قوله تعالي : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا . إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾[9] وقوله : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ ﴾[10].

ومنها الالتفات نحو قوله تعالي: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا ﴾[11].

---

(١) الأعراف الآية ٤٠ .

(٢) الأحزاب الآية ١٠ .

(٣) يونس الآية ٤٦ .

(٤) الفجر الآية ٢٢ .

(٥) ق الآية ٣٠ .

(٦) الروم الآية ١٩ .

(٧) الحج الآية ٩١ .

(٨) البقرة الآية ١٧٩ .

(٩) الواقعة الآية ٢٥ – ٢٦.

(١٠) المائدة الاية ٥٩ .

(١١) إبراهيم الآية ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

وقوله : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1] ونحو قوله تعالي : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[2].

البديع في العصر الجاهلي حتى القرن الرابع:

وكما دللت علي وجود البديع في القرآن، سأسلك هنا ميدان الشعر لأدلل علي وجوده منذ الجاهلية حيث كان يرد عفو الخاطر دون تكلف أو تعمد.

يظهر الطباق في قول النابغة الذبياني[3]:

فَتىً تَمَّ فيهِ مـا يَسُـرَّ صَـديقَهُ * عَلى أَنَّ فيهِ ما يُسيءُ المُعادِيا**[4]

وقول زهير بن أبي سلمى:

أَخي ثِقَةٍ لا تُتلِفُ الخَمـرُ مالَـهُ * ولَكِنَّهُ قَد يُهلِـكُ المـالَ نائِلُـه**[5]

---

(١) الإسراء الآية ٨١ .

(٢) سورة يونس الآية ٢٢ .

(٣) النابغة الذبياني ١٨ ق هـ زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني .الغطفاني المضري أبو أمامة. شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة من جلد أحمر في سوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها . وكان أبو عمرو بن العلاء يفضله على سائر الشعراء . وكان حظيا عند النعمان بن المنذر ، حتى شبب في قصيدة بالمتجردة زوج النعمان فغضب النعمان ففر النابغة إلى الغسانيين بالشام وغاب زمنا حتى رضي النعمان فعاد إليه . جمع بعض شعره في ديوان . وكان أحسن شعراء العرب ديباجة لا تكلف فيه ولا حشو . وعاش عمرا طويلا . الأعلام للزركلي ج٣ ص ٥٤ .

(٤) ديوان النابغة الذبياني . تحقيق كرم البستاني ص ١٢٧ .دار بيروت للطباعة والنشر . طبعة ١٩٨٦ .

(٥) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٦٨ .

ويظهر الجناس في قول البحتري :

فَيالَكَ مِن حَزمٍ وَعَـزمٍ طَواهُمـا * جَديدُ الرَدى تَحتَ الثَرى وَالصَفائِحِ**[1]

وقول الخنساء[2]:

إنَّ البُكَـاءَ هُـوَ الشِـفَاءُ * مِـنْ الجَـوَى بَـيْنَ الجَـوَانِحِ**[3]

ومنه المشاكلة نحو قول عمرو بن كلثوم[4]:

أَلا لا يَجهَلَـن أَحَـدٌ عَلَينـا * فَنَجهَلَ فَوقَ جَهـلِ الجاهِلينـا**[5]

ومنه الإفراط في الصفة والغلو كما في قول عنترة[6]:

فَازوَرَّ مِن وَقـعِ القَنـا بِلَبانِـهِ * وَشَكا إِلَـيَّ بِعَبـرَةٍ وَتَحَمحُـمِ**[7]

---

(١) ديوان البحتري ج٢ ص ٧٨ . شرح يوسف الشيخ محمد دار الكتب العلمية ١٩٨٧ .

(٢) الخنساء هي تماضر بنت عمرو بن الشريد السليمية الصحابية الشاعرة المعروفة بالخنساء توفيت سنة أربع عشرة هجرية . لها ديوان شعر مشهور . هدية العارفين ج ١ ص ٢٤٥

(٣) البيت غير مثبت في ديوان الخنساء ، لكنه معزو إليها في كتب الأدب . وورد في خزانة الأدب وغاية الأرب ج ١ ص ٧١ .

(٤) هو عمرو بن كلثوم بن عتاب بن سعد التغلبي . من أشراف لعرب . مات قبل الإسلام باحدى وخمسين سنة . من أصحاب المعلقات . هدية العارفين ج١ ص٨٠٢

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم جمع وتحقيق أميل بديع يعقوب . الناشر دار الكتاب العربي طبعة أولى ١٩٩١ ص٧٨

(٦) عنترة العبسي نحو ٢٢ ق م هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي .أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى . من أهل نجد . امه حبشية اسمها زبيبة . وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسا . وفي شعره رقة وعذوبة . عشق ابنة عمه . والتقى بأمرئ القيس في شبابه . وشهد داحس والغبراء . وعاش طويلا وقتله الأسد الرهيص . له ديوان شعر . الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٩٢.

(٧) ديوان عنترة بن شداد تحقيق محمد سعيد مولوي بيروت الطبعة الثانية١٩٨٣ ص ٢١٧ .

ونحو قول امرئ القيس[1]:

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ * عَلَـيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي[2]**

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّـى بِصُـلبِـهِ * وَأَردَفَ أَعـجازاً وَنـاءَ بِكَلكَـلِ**

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي * بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَـلِ**

ومنه رد العجز إلي الصدر كقول امرئ القيس :

إِذا المَرءُ لَم يَخزُن عَلَيهِ لِسانَهُ * فَلَيسَ عَلى شَيءٍ سِواهُ بِخَزّانِ[3]**

ومنه الإلتفات نحو قول النابغة الذبياني[4]:

يا دارَ مَيَّـةَ بِالعَليـاءِ فَالسَـنَدِ * أَقوَت وَطالَ عَلَيها سـالِفُ الأَبَـدِ**

---

(١) امرؤ القيس ١٣٠ إلى ٨٠ ق هـ بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار . أشهر شعراء العرب على الإطلاق يماني الأصل . مولده بنجد وكان أبوه ملك أسد وغطفان . وأمه أخت المهلهل الشاعر فلقنه الشعر فقاله الشعر وهو غلام ثم أصبح يشبب ويعاشر صعاليك العرب فنهاه أبوه فلم ينتـه فأبعـده إلـى حضرموت فظل فيها حتى ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه فبلغ ذلك امرأ القيس وهو يشرب فقال لا صـحو اليوم ولا سكر غدا فنهض لغده فلم يزل حتى ثأر لأبيه من بني أسد . وطلبه المنذر فابتعد وتفـرق عنـه أصحابه . فأجاره السموأل قصد الحارث الغساني يستعين به فسيره إلى قيصر الروم فولاه إمـرة باديـة فلسطين فلما رحل يريدها ظهرت في جسمه قروح فمات . وكان على المزدكية . الأعلام للزركلـي ج ٢ ص ١١ – ١٢ .

(٢) ديوان أمري القيس بيروت دار صادر، ٢٠٠٣م. ص ٤٨ و٤٩

(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٧٣ .

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٠

المطلب الثاني :البديع عند البستي

يكتظ شعر البستي بالمحسنات البديعية . وأهمها وأكثرها عنده الجناس ، حتى عرف به . وسأفرد للجناس كلمة خاصة وذلك لمكانته وكثرته في شعره. ولكني قبل ذلك سأستعرض بعض أنواع المحسنات البديعية التي وردت عنده.

الطباق:

وهو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون بين لفظين أو فعلين [١]، ومن أمثلته عند البستي قوله[٢]:

عدِّلْ قُطوبَكَ بالبشَاشَــةِ يعتــدِلْ * وَزْناهُمــا فــيمَنْ يــذلُّ ويكــرمُ**

فالحُرُّ طلْــقٌ ضــاحِكٌ ولرُبَّمــا * تلقــاهُ وهــوَ العــابِسُ المُــتَجَهِّمُ**

كالوَردِ فيهِ عُفوصَــةٌ ومــرارَةٌ * وهو الــذَّكِيُّ النّاضِــرُ المُتَيسِّــمُ**

طابق بين القطوب والبشاشة وبين ضاحك وعابس .

ونحو قوله [٣]:

الدَّهُــــر سِــــلْمٌ لِكُــلَّ نَــذلٍ * لكِنَّــــه للكِــــرامِ حَــــرْبُ**

فَــارْثِ لِــذي حِكمــةٍ وإرْبٍ * فحظُّــــهُ غُمَّــــةٌ وكَــــرْبُ**

هِمَّتــهُ للسِّــماكِ سَــمْكٌ * وخَــدُّهُ للتُّــرابِ تِــرْبُ**

---

(١) بغية الإيضاح ج٤ ص٤ .

(٢) ديوان البستي ص ٢٨٨ .

(٣) المصدر السابق ص٣٨-٣٩ .

وقد طابق بين سلم وحرب في هذا البيت ونحو قوله[1]:

لا تَظُــنُّنَّ بــي وبِــرُّكَ حَـــيَّ * أن شُكري كشكرِ غَيــري مَــواتُ**

أنـــا أرضٌ وراحتـــاكَ ســـماءٌ * والأيادي غَيْــثٌ وشــكُري نَبــاتُ**

وقد طابق بين أرض وسماء ، والطباق هنا لم يكن متعمدا إنما جاء عفوا وقد أجاد فيه .

وله[2]

كمْ مِنْ أخٍ قد هــدَّمَتْ أخلاقُــهُ * مِن آخرِ ما قَــد بنــى فــي الأوَّلِ**

طابق بين آخر وأول

المقابلة:

وهي أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معاني متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب[3].

يقول البستي:

ولَّى الشَّبابُ بِما أحْبَبْتُ مِــنْ مِــنَحٍ * والشَّيْبُ وافى بَما أبغَضْتُ مِنْ مِحَنِ**[4]

فقد قابل بين الشطر الأول والشطر الثاني

---

(١) المصدر السابق ص٤٨ .

(٢) ديوان البستي ص ٢٨٣ .

(٣) بغية الإيضاح ج٤ ص٤ .

(٤) ديوان البستي ص ٢٠٦ .

ويقول[1]:

يَهــشُّ إلــى النَّبَــهِ المُســتَذَلِّ * وينبــو عــن السَّــيِّدِ النَّابِــهِ**

فقد قابل بين يهش إلى النبه المستذل ، وبين وينبو عن السيد النابه .
ومن ذلك التصدير أو رد العجز إلى الصدر وهو ((أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصرع أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني))[2] كقوله [3]:

سَحْبانُ من غَيرِ مالٍ باقِلٌ حَصراً * وباقِلٌ في ثَــراءِ المــالِ سَــحْبانُ**

وحسن التعليل وهو((أن يُدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي))[4] في قوله[5]:

لا تُنكِرَنَّ إذا أَهدَيْتُ نحوكَ مِــن * علومِكَ الغُرَّ أو آدابِــك النُّتَفَــا**
فَقَيِّمُ الباغِ قــد يُهــدي لمالِكِــه * برَسمِ خِدمَتِهِ من باغِــهِ التُّحَفَــا**

ونحو قوله [6]:

لا تَحقِرِ المَــرءَ إنْ رأَيْــتَ بِــهِ * دَمــــامَةً أو رَثــاثَــــةَ الحُلَــلِ**
فالنَّحْلُ شيءٌ علــى ضُــؤُولَتِهِ * يشتار منه الفَتــى جَنــى العَســلِ**

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ .
(٢) بغية الإيضاح ج ٤ ص ٧٧ .
(٣) ديوان البستي ص١٨٩ .
(٤) بغية الإيضاح ج٤ ص ٤٦
(٥) ديوان البستي ص١٢٩ .
(٦) المصدر السابق ص١٥٤.

ونحو قوله [1]:

أبوكَ حوى العُلْيا وأنــتَ مُبَــرِّزٌ * عَلَيهِ إذا نازَعْتَهُ قَصَــبَ المَجْــدِ**

ولِلخَمْرِ معنىً ليسَ في الكَرْمِ مثلُهُ * وللنّارِ نُورٌ ليسَ يوجَـدُ للزَّنْــدِ**

وخيرٌ منَ القَولِ المُقَدَّمِ فاعتَرِفْ * نتيجَتُهُ والنَّحْـلُ يُكْـرَمُ للشّـــُهْدِ**

وله [2]:

يا سَيِّدَ الأُمراءِ يا مَـن جـودُهُ * أوفى على الغَيثِ المَطيرِ إذا همى**

الغــيثُ يُعطي باكِيــاً مُتَجَهِّمــاً * ونَــراكَ تُعــطي ناضـِراً مُتَبَسِّما**

وله من التقسيم ((وهو أن تذكر شيئاً ذا جزئين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك)) [3] كقول البستي [4]:

قـــد جَمَـــعَ اللهُ أربعـــاً لـــي * فـــيهِنَّ عِـــزِّي وحُسْـــنُ حـــالي**

بـــلاغُ عِلـــمٍ مســـاغُ شِـــرْبٍ * رفـــاعُ عَـــيشٍ فَـــراغُ بـــالِ**

---

(١) المصدر السابق ص٢٤١ .

(٢) ديوان البستي ص٢٩١ .

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .

(٤) ديوان البستي ص٢٨٤-٢٨٥ .

المطلب الثالث: الجناس

يقول الخطيب القزويني : ((... وأما اللفظي فمنه الجناس بين اللفظين وهو تشابههما في اللفظ . والتام منه أن يتفقا في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها وترتيبها . فإن كانا من نوع واحد كاسمين سمي مماثلا نحو قوله تعالي : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[١]. وإن كانا من نوعين من اسم وفعل سمي المستوفي...)) [٢].

وقد ولع شاعرنا بالجناس أيما ولع، واستقصي جميع أشكاله وزاد وأصبح صاحب طريقة فيه .

جاء في تاريخ دمشق في تعريف البستي ((شاعر سائر . الشعر له أسلوب في التجنيس عجيب ، ربما أفضى به طلب التجنيس إلى التكلف))[٣].

وجاء في بغية الطلب: ((قرأت بخط أبي عبد الله بن يوسف الحالي الكفرطابي المعروف بابن المنيرة[٤] في كتاب له سماه البديع في نقد الشعر فذكر في باب تجنيس التركيب منه قال : وشعر أبي الفتح البستي أكثره من هذا الباب وقد تبعه الناس في ذلك فقال شاعرنا أحمد بن يعقوب الكفرطابي :

وأهْيَفِ الخِصْرِ مِثْلُ الليلِ طرته * وصدغه خَزَرِي الجِنْسِ أولاني**

أوليتَ وَصْلاً فأوْلاني قَطِيْعَتَه * بِئْسَ الجزاء بما أوليت أولاني))[٥]**

---

(١) الروم الآية ٥٥ .

(٢) بغية الإيضاح ج٤ ص٦٩ ، ٧٠ .

(٣) تاريخ دمشق ج٤٣ ص١٦١ .

(٤) محمد بن يوسف أبو عبد الله الكفرطابي النحوي المعروف بابن المنيرة نزيل شيراز المتوفى سنة ٥٠٣ ثلاث وخمسمائة . له من الكتب البحر في النحو . البديع في نقد الشعر . غريب القرآن . هداية العارفين ج١ ص ٤٨٧

(٥) بغية الطلب في تاريخ حلب . ولم أقف على ترجمة للشاعر .

وقد عرف البستي بهذا الفن، فهو ميدانه بدون منازع وله طريقته فيه أصبح الشعراء من بعده يحذون حذوه وتذكر الكتب ذلك . وسأفصل هذا الأمر وأورد الشواهد علي ما قلت التي تقتفي أثره حينما أتحدث عن طريقته ومذهبه الشعري . والآن سأبدأ في ذكر أنواع الجناس التي خاض فيها أبو الفتح مع إيرادي لشواهد من ديوانه فيها .

أولاً الجناس التام :

وهو ما اتفق ركناه لفظا واختلفا معنى بلا تفاوت في تركيبهما ، ولا اختلاف في حركاتهما ويشمل ذلك نوع الحروف وعددها وهيئتها . ولا عبرة في حركة الحرف الأخير أو سكونه لأنه خاضع لمحل الإعراب ومثاله قول البستي:

وغَـزالٍ كُـلُّ مَـنْ شـبَّهَهُ * بِهـلالٍ أو ببـدْرٍ ظَلَمَـهْ**

قـالَ إذْ قبَّلـتُ بـالوَهمِ فَمـهُ * قـدْ تعـدَّيْتَ وأسـرَفْتَ فَمَـهْ[1]**

وللجناس التام أنواع منها :

١ . **التام المماثل** : وهو ما اتفق ركناه في الاسمية ، أو الفعلية ، أو الحرفية . ومثال الاتفاق في الاسمية قول البستي :

قالَتْ وقد راوَدْتُها عـن قُبْلَـةٍ * تَشفي بِهـا قلبـاً كئيبـاً مُغْرَمـا**

قدِّمْ يداً مِن قبلِ أن تُـدني يـداً * وَمَبَّرةً من قبلِ أن تـدني فَمـا[2]**

(١) ديوان البستي ص٢٩١ ،٢٩٢ .

(٢) المصدر السابق ص٢٩٠ .

فاليد الأولى أراد بها العطية ، والثانية أراد بها اليد الحقيقة وكلاهما اسم.

ومثال اتفاقهما في الفعلية قوله(١):

ودَّعتُ حِبِّي وفــي يَـدي يـدُهُ * مثـــلَ غريـــقٍ بـــهِ تَمَسَّـــكْتُ**

ورُحْتُ عنهُ وراحَتـــي عطِـرَتْ * كــأنَّـــــني بعـــدَهُ تَمَسَّـــكْتُ**

فتمسكت الأولى من المسك أو الإمساك والثانية من المِسك .

أما اتفاقهما في الحرفية فلم نعثر في ديوان أبي الفتح على مثال له .

٢. **الجناس المستوفي** : وهو ما كان ركناه من نوعين مختلفين كاسم وفعل. أو اسم وحرف . أو فعل وحرف وأكثره الأول نحو قول أبي الفتح (٢):

قلتُ لِطَرْفِ الطَّبعِ لّمـا جـرى * ولـم يُطِـعْ أمـري ولا زَجـري**

مالكَ لا تجـري وأنــتَ الّــذي * نحوي مدى الغايــاتِ إذْ تجـري**

فقالَ لــي دعْنــي ولا تُـؤذِني * حتَّـى مـتى أجـري بــلا أجـرِ**

والشاهد في قوله أجري وهي فعل مضارع وأجري الأخيرة وهي اسم . ونحو قوله(٣):

صـــــدفَ الحَبيـــبُ بوصَـــلِه * فجفـــا رُقـــادي إذْ صـــدَفْ**

ونثَـــرتُ لؤلـــؤَ أَدْمُـــــعٍ * أضــحى لَهــا جَفنــي صَــدَفْ**

---

(١) المصدر السابق ص٥١ .

(٢) ديوان البستي ص ١٠١. وورد في معاهد التنصيص جزء ٢ صفحة ٧٠ كشاهد علي هذا النوع .

(٣) المصدر السابق ص١٣٤.

ونحو قوله :

رضِيتُ بعَيشٍ كَفافٍ حَلالٍ * وبِعْتُ المُدامَ بماءٍ زُلالِ**

فَمنْ كانَ يحلُو لهُ ما يُصيبُ * حَراماً فإنَّ حلالي حَلا لي[١]**

ثانيا الجناس المحرف:

وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئات الحروف حركاتها وسكناتها فقط منه قوله[٢]:

أبو رَوحٍ أدامَ اللهُ عِزَّهْ * أَلَدُّ إذا انبرى للخَصْمِ عَزَّهْ**

وذاكَ لأنَّهُ هجَرَ الملاهي * فصارَ كُثَيِّراً والعِلْمُ عَزَّهْ**

ونحو قوله [٣]:

إنَّ الغَرامَ غرامَةٌ فمتى تكُنْ * بي مُغرَماً فلْتَحتَمِلْ بي مَغْرَما**

ثالثا الجناس الناقص:

وهو أن يقع تجانس اللفظين في الحروف والحركات ، مع الاختلاف في عدد الحروف .

وهذا الاختلاف يقع علي ضربين :

١. أن يقع الاختلاف بزيادة حرف واحد ،وهو ثلاثة أقسام :

أ ــ أن يكون الحرف الزائد في أول أحدهما كقول أبي الفتح[٤]:

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٢ .

(٢) ديوان البستي ص٢٥٩ .

(٣) المصدر السابق ص٢٩٠ .

(٤) المصدر السابق ص١٣٩ – ١٤٠ .

قَــــدَّمْ لنَفسِـــــك خَـــــيراً * وأنـــــتَ مالِـــــكُ مالِـــــكْ**

مِـــــن قَبـــــل أن تتفـــــانى * ولَـــــونُ حالِـــــكَ حالِـــــكْ**

لـــــم تَـــــدرِ أنَّـــــكَ حَقّـــــاً * أيَّ المَســـــالِكِ ســـــالِكْ**

لجِنَّـــــةٍ أمْ لـــــنـــــارِ * إلـــــى ممالِـــــكِ مـــــالِك**

ومحل الشاهد قوله: المسالك سالك ، وممالك مالك .

ب ـ أن يكون في الوسط ، كقوله[1]:

قالَ لي أحمدٌ وقــد أزِفَ البَيـــ ـــ ـــنُ وأضحى جَميعُ أمري شَـتيتا

مُرْ بــما شِــئتَهُ فقلْــتُ مجيبــاً * رُدَّ قَلبي ثمَّ ارتحِلْ كيــفَ شــيتا**

والشاهد في : شتيتا وشيتا .

ج ـ أن يكون آخرا ولم يرد في شعر أبي الفتح شيئ منه .

٢. أن يكون الاختلاف بين اللفظين بزيادة أكثر من حرفين . وهو أيضا علي ثلاثة أقسام :

أ ـ أن تقع الزيادة في أول أحدهما نحو قوله [2]:

أبا العبّــاسِ لا تحسِــبْ بــأنّي * لِسِنّي من حُلى الأشــعارِ عــاري**

فلــي طبــعٌ كسَلســالٍ مَعــينٍ * زُلالٍ من ذُرا الأحــجارِ جـــارِ**

إذا مـــا أكْبـــتِ الأدوارُ زَنــداً * فلي زَنــدٌ علـــى الأدوارِ وارِ**

ويسميه السكاكي ترجيعا .أما الجمهور فيسمونه متوجا .

---

(١) ديوان البستي ص٥١ .

(٢) المصدر السابق ص ٩٧ – ٩٨ .

ب ــ أن تقع زيادة الحرفين في الوسط .

ج ــ أن يقعا في آخر الكلمة وهذان لم ترد لهما أمثله عند أبي الفتح .

رابعا جناس القلب :

وهو أن يتفق الركنان في نوع الحروف ، وعددها ، وهيئاتها ، ويختلفا في الترتيب فقط .

١. قلب كل : وهو أن تكون المخالفة في جميع الحروف ، بأن يقــع الحــرف الأخير من الكلمة أولا من الكلمة الثانية ، والذي قبله ثانيا وهكذا . ومثاله قول أبي الفتح(١)

إذا رأيْــتَ الــوَداعَ فاصــبِرْ * ولا يَهُمَّنَّــــــكَ البِعـــــادُ**

وانتظِــرِ العَــوْدَ مِــن قَريـــبٍ * فـــإنَّ قَلْـــبَ الــوَداعِ عـــادُوا**

٢. قلب بعض : وهو أن تكون المخالفة في بعض الحروف وذلك كقول أبي الفتح :

ولَّى الشَّبابُ بِما أحْبَبْتُ مِــنْ مِــنَحٍ * والشَّيْبُ وافى بَما أبغَضْتُ مِنْ مِحَنِ(٢)**

وقوله :

نحــنُ فـــي النُّزْهَـــةِ والمُتْـــــ ـــ ــــــعَةُ بالنُّزْهَـــةِ نُهْـــزَهْ(٣)

---

(١) ديوان البستي ص٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ص١٠٤.

خامسا جناس الاشتقاق :

وهو ما توافق فيه اللفظان في الحروف الأصلية مع الترتيب والاتفاق في أصل المعنى كقول أبي الفتح(١):

أقَــلُّ نــَوالٍ مِنكَ يجبُرُ إقلالي * ويُنعِشُ آمالي ويــدعَمُ أحــوالي**

وقد مسَّني بالضُّرِّ دهري وعزَّني * وعِزُّكَ لا يرضى بِذلَّــةِ أمثــالي**

فأنْعِمْ برأيٍ طالِعِ السَّعــدِ مُشرِقٍ * فرأيُكَ شمسٌ في مطــالِعِ آمــالي**

والشاهد في قوله أقل وإقلالي في البيت الأول ، وقوله عزني دهري وعزك لا يرضى في البيت الثاني .

سادسا شبه جناس الاشتقاق:

وهو ما اتفق فيه اللفظان في جل الحروف ، أو كلها ، على وجه يتبادر منه أنهما يرجعان إلى أصل واحد في الاشتقاق ، وليسا في الحقيقة كذلك كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾(٢) وهذا النوع يسميه الجرجاني المطلق ، وابن رشيق يسميه هو وما قبله المحقق ، قال ابن رشيق : ((التجنيس المحقق ما اتفق فيه الحروف دون الوزن رجع إلي الاشتقاق أو لم يرجع))(٣). لكن العلماء فرقوا بينهما كما ذكرت.ومثاله من شعر أبي الفتح(٤):

الــدَّهُر سِــلْمٌ لــكُلِّ نَــذلٍ * لكِنَّــه للكِــرامِ حَــرْب**

---

(١) المصدر السابق ص١٥٦ .

(٢) سورة الشعراء آية ١٦٨.

(٣) العمدة ج١ ص٣٢٣ .

(٤) ديوان البستي ص٣٨-٣٩ .

فـــارْثْ لِـــذي حِكمـــةٍ وإرْبٍ * فحظُّـــــهُ غُمَّـــــةٌ وكَـــــرْبُ**

هِمَّتـــــهُ للسِّمـــــاكِ سَـــمْكٌ * وخَـــــدُّهُ للـــــتُّراب تِـــــرْبُ**

والشاهد في البيت الأخير ، فإن السمك بمعنى السقف ليس مشتقا من السماك وهو النجم المعروف . والترب بمعنى الملاصق أو المماثل ليس مشتقا من التراب . ومثاله كذلك قوله(١):

وإذا ضَمَّتِ الكِفايَـــةُ قَـــومـــــاً * في مَضَمِّ البَيانِ لم يَلحَقــوا بـــي**

فَلِماذا حُرِمْتُ من غَيـــرِ عَجـــزٍ * ولماذا عُوقِبْتُ من غَيـــرِ حُـــوبِ**

صادِقُ الوَعدِ والوعيـــدِ جَميعـــاً * ولِســـانُ الحَكـــيمِ غَيـــرُ كَـــذُوبِ**

الشاهد في البيت الثاني في قوله عياب العيوب فليس أحدهما مشتق من الآخر .

سابعا الجناس المضارع :

وهو أن يجمع بين كلمتين متجانستين ، لا تفاوت بينهما إلا بحرف واحد من الحروف المتحدة في المخرج ، أو المتقاربة فيه ، من غير زيادة في العدد. وهذا الحرف إما أن يكون في أول الكلمة كقول أبي الفتح(٢):

ترحَّلْتُ عنكَ لفَرط الشَّقـــــاءِ * وخلَّفتُ رُشْـــدي ورائـــي ورائـــي**

وأصبحْتُ في شـــــغُلٍ شـــاغلٍ * قليلَ الغنـــاءِ كثـــــيرَ العـــــناءِ**

---

(١) المصدر السابق ص٢٨ .

(٢) ديوان البستي ص٢٣ .

والشاهد في قوله الغناء والعناء فلا خلاف بينهما إلا في حرف واحد متقارب في المخرج .

وإما أن يكون في الوسط كقوله[1]:

تَوَقَّ مِــنَ اللَّيــالي واجْتَنِبْهــا *** فــإنَّ نَعِيمَهــا دُونَ الرَّزايــا

هُمــا غَرْســانِ لَيْــلٌ أو نَهــارٌ *** ثِمارُهمــا البَلايــا للبَرايــا

والشاهد في قوله البلايا والبرايا .

وإما أن يكون آخر ولم يرد في شعر أبي الفتح شئ منه .

ثامنا الجناس اللاحق:

وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه . وهو إما أن يكون أولا كقول أبي الفتح [2]:

فــلا تَــغُرَّنَّــكَ اللَّــيالــي *** فَبَرقُهــا الخلــب الكــذوب

ففي قَفَــا أُنسِهــا كُــروب *** وفــي حَشَــا سِــلْمِها حُــروبُ

الشاهد في قوله كروب وحروب .

وإما أن يكون في الوسط كقوله :

قِيــلَ للكُرْكِــيِّ إذْ قــا ـــ مَ علــى الرِّجــلِ الوَحــيدَهْ

كيــفَ لا تعتمِــدُ الرِّجــ ـــ ـلَيْنِ فــي الأرضِ الوَطِيــدَهْ

قــالَ إشــفاقاً علــى النَــا ـــ بِــتِ فِيــها أنْ أُبيــدَه[3]

---

(١) المصدر السابق ص٢١٦ .

(٢) ديوان البستي ص٢٩ – ٣٠.

(٣) المصدر السابق ص٦٣ .

الشاهد في قوله الوحيدة والوطيدة .

وإما أن يكون آخرا ولم يرد في شعر أبي الفتح شيء منه .

تاسعا جناس التصحيف:

وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا في النطق . وسمي بذلك لأن من لا يفهم المعنى فإنه يصحف أحدهما إلى الآخر لتشابههما في الخط ، وذلك كقول البستي[1]:

كـلامٌ لأبـي النضـرِ * مُـوَفّي واجـبُ النحـلِ**

فمـا أدري جَنـى النَّخْـلِ * أرانـي أمْ جنـى النَّحـلِ**

الشاهد في قوله النحل الأولى والنحل الثانية .

عاشرا الجناس المركب :

ذكر ابن رشيق أن المولدين قد أحدثوه[2]. وقد برع فيه البستي . وصال فيه وجال وهو ينقسم إلى:

أولا التام المركب أو جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه مركبا والثاني بسيطا أي مفردا .

ثم إذا اتفق الركنان بعد ذلك خطا سمي متشابها وذلك كقول أبي الفتح :

إذا مِلـكٌ لـم يكُـنْ ذا هِبَـةْ * فدعْـهُ فدَولَتُـهُ ذاهِبـهْ**[3]

---

(١) المصدر السابق ص١٤٧ .

(٢) العمدة ج١ ص٣٢٨ .

(٣) ديوان البستي ص٤٠ .

فالركن الأول مركب من كلمتين ذا بمعنى صاحب ، وهبه بعني العطية، أما الثاني فهو اسم فاعل مؤنث من الفعل ذهب ، وهو مفرد وهو لهذا جناس مركب لتركب أحد ركنيه ثم هو متشابه لتشابه ركنيه خطا .

فإذا لم يتفق الركنان خطا سمي مفروقا كقول أبي الفتح(١):

كُلُّكُمْ قَدْ أخَذَ الجَا ـــ مَ ولا جَامَ لَنَا
ما الّذي ضَرَّ مديرَ الـ ـــ جامِ لَو جامَلَنَا

في الركن الأول وهو جام لنا مركب من كلمتين ، والثاني من كلمة واحدة تنزيلا ، لأنهم اعتبروا الضمير المنصوب المتصل جزء من الكلمة ، ثم هو مفروق لعدم تشابه الركنين خطا وينقسم هذا النوع إلى قسمين :

أ ــ **ملفوف** : وهو ما كان ركنه المركب مكون من كلمتين تامتين كقول أبي الفتح(٢):

ناظِراهُ فيما جنى ناظِراه * أوْدَعاني أمُتْ بِما أوْدَعاني**

الشاهد في قوله أودعاني فهو مركب من أو العاطفة والفعل والركن الثاني مفرد .

وقوله (٣):

وكُلُّ غِنىً يَتيهُ بهِ غَنِيٌّ * فمُرتَجَعٌ بَموتٍ أو زَوالِ**
وهبْ جَدِّي طوى لي الأرضَ طُرّاً * أليسَ الموتُ يَزوي ما زوى لي**

---

(١) المصدر السابق ص٣٠٠ .

(٢) ديوان البستي ص ٢٠٤ .

(٣) المصدر السابق ص١٥١ .

الشاهد في كلمتي زوى لي في البيت الثاني فهي مركبه من الفعل ثم الجار والمجرور، أما الركن الأول فهو كلمة زوال في البيت الأول وهي مفردة .

ب ــ **مرفوء:** وهو ما كان ركنه المركب مؤلف من كلمة وبعض أخرى ، أو من كلمة وحرف من حروف المعاني ، سمي بذلك أخذاً من قولهم رفأ الثوب إذ جمع ما تقطع منه بالخياطة وكأنه ببعض الكلمة رفئ مثاله قول البستي[(١)]:

سقَى اللهُ أيّام الشبَّـــابِ فإنَّنـــي * لبستُ بها بُرْدَ الفَــخارِ قَــــشيبا**

أضعتُ لها جهلاً قَراها فغــادرَتْ * على سَخَطٍ منِّي المَفــارقَ شــيبا**

والشاهد في البيت الثاني حيث تم الجناس بأخذ جزء من الكلمة التي قبل الآخر وهي القاف . ومثال ما رفأ بحرف من حروف المعاني قوله[(٢)]:

عــدوُّكَ إمّــا معلِــنٌ أو مكـــاتِمٌ * وكُل بأنْ يُخشـــى وأنْ يُتَّقى قَمِنْ**

فكُنْ حذِراً مِمَّــنْ يكـــاتِمُ سِــرَّهُ * فليسَ الّذي يَرميكَ جَهْراً كَمَنْ كَمِنْ**

ومنه قوله[(٣)]:

إن سلَّ أقلامَهُ يَومـــاً ليُعْمِلَهـــا * أنساكَ كُلَّ كَمِـــيٍّ هَــزَّ عــــامِلَهُ**

وإنْ أمـــرَّ علـــى رِقٍ أنامِلَـــــهُ * أقـــرَّ بـــالرِّقِّ كُتّـــابُ الأنـــام لَـــهُ**

---

(١) المصدر السابق ص٢٥ .

(٢) ديوان البستي ص٣٠٦ – ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق ص١٥٨ .

وقوله[١]:

كمْ مِـنْ أخٍ قد هدَّمَتْ أخلاقُـهُ * مِن آخرِ ما قَد بنـى فـي الأوَّلِ**

نسِيَ الوفاءَ ولسْتُ أنسى عهدَ ما * شاهدْتُ مِنهُ في الزَّمانِ الأطْـولِ**

يَرمي سِهاماً إنْ أسَرَّ المَقْتَ لي * بالكَيدِ لا يُقْصِدْنَ غيـرَ المَـقْتَـلِ**

وقوله[٢]:

لا يَسـوءَنْكَ إنْ بـرا ـــ نِـيَ دَهْـرٌ فلـم يَـرِشْ

أنـتَ عِـشْ سـالِماً فإنّـ ـــ ـكَ إنْ عِشْـتَ أنـتعِشْ

وقد برع أبو الفتح في هذا النوع وكثرت أمثلته فيه . وأورد له عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، والعباسي في معاهد التنصيص طائفة من أشعاره وفي ديوانه أكثر من مائة مثال من هذا النوع وأحيانا تجد أن الكلمة بشيء من التصريف قد يؤاتيها أكثر من معنى نحو كلمة تجريبه في قول البستي[٣]:

أخٌ لـيَ جَرَّبْتُـه مَـرَّةً * فَنَـدَّمَني طـولُ تَجريبـه**

فهـل كـان يُـربِحُ تجريبُـه * وفُلْـكُ التكبُّـرِ تجـري بـهِ**

ويصرفها في البيت التالي تجريبه يقول[٤]:

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص٢٦٣ .

(٣) ديوان البستي ص٢٥ .

(٤) المصدر السابق ص٤٤ .

أرى هـــــــذي المقـــــــاديرَ * علـــى المَكـــروهِ تجـــري بـــي**

ومـــا ينفَعُنـــي فـــي الـــرِّزْ ـــ ق تَحــــــذاقي وتَجريبـــــــي

وكلمة سرابه نحو قوله[1]:

مواعيدُهُ في الوَصلِ أحلامُ نـــائمٍ * أشبِّهُهـــا بالقَفـــرِ أو بسَـــرابِهِ**

فَمنْ لي بوَجهٍ لو تَحَيَّرَ في الدُّجى * أخو سَفَرٍ في لَيلِ غَيمٍ سرى بِـــهِ**

وكلمة تسريبه في قوله:

إذا دهـــى خَطــبٌ فـــآراؤه * تُغنـــي عـــن الجَـــيشِ وتَســـريبِهِ**

وإن دجـــا لَيْـــلٌ بـــدَا نـــورُهُ * للرَّكْبِ نجماً فهي تَســـري بِـــهِ[2]**

ولكنه قليل والغالب أن يأتي معني واحد لتلك الكلمات ولعل أبا الفتح كان يتخير الكلمات ، ثم ينسج حولها المعاني وقد تقع في القافية ، أو في حشو البيت ، وقد يؤثر هذا في المعنى فيأتي ضعيفا لا جمال فيه نحو قوله[3]:

أتاني كتابُكَ يـــا سـيِّـــدي * وذُخري الأعـــزُّ مـــن الفارِيَـــابِ**

وكـــانَ لأعشـــار قلبـــي بـــهِ * وحـــقِّ ودادِكَ ألفـــا رِيـــابِ**

ونحو قوله[4]:

قُولا لُمنـــى قلبِـــيَ إســـماعيلا * أنعِـــمْ بـــنَعَمْ أطلْـــتَ إســـماعي لا**

---

(١) المصدر السابق ص٤١،٤٢ .

(٢) ديوان البستي ص٤٣،٤٤.

(٣) المصدر السابق ص٢٥،٢٦ .

(٤) المصدر السابق ص١٤٣.

لكن البستي ما كان ينحو هذا النحو من أجل المعاني ، وغاية همه ألا تكون الألفاظ قلقة من أجل الجناس ، بل يعمل علي جعلها منسجمة فيكسوها الجناس حسنا وله أشعار كثيرة وفق فيها مع الجناس نحو قوله[1]:

هل أنتَ شارٍ لنفسي من رَسيسِ جوَىً * بقُبلَةٍ عَـذْبَـةٍ أفـديكَ مـن شَـار**

لولا عِذارُكَ لم أُصبِحْ حليفَ هوىً * ومـا غـدوْتُ بقَلـبٍ هائمٍ شَـارِ**

إنَّي حلَفْتُ بما في فيـكَ مـن دُرَرٍ * ومـا بريقِكَ من أَريٍ ومِـنَ شـارِ**

لأَعصِيَنْ كُلَّ لاحِ في هَـواكَ ولـو * قَدَّ المفاصِلَ مـن نَفسـي بمنشـارِ**

ونحو قوله[2]:

أيُّها البَدرُ الّذي يجلـو الدُّجـا * إنَّ رُوحي فـي هَـواكُمْ تحتَـرِقْ**

أنا مِن جُملَةِ أحرارِ الورى غيرَ * أنَّـي فـي هَـواكُمْ تحـتَ رِقْ**

وكقوله في الشيب[3]:

دَعْني فإنَّ غَريـمَ العَقلِ لازَمَني * وذا زَمانُكَ فامْرَحْ فيهِ لا زَمَنـي**

ولَّى الشَّبابُ بِما أحْبَبْتُ منْ مِنَـحٍ * والشَّيْبُ وافى بَما أبغَضْتُ مِنْ مِحنِ**

فما كرهْتُ ثَوى عِندي وعنَّفَني * وما حرِصْتُ علَيهِ مُنْذُ عَنَّ فَنِـي**

ونحو قوله[4]:

دَعُوني ورَسمي في العفافِ فإنَّني * جَعلْتُ عَفافي في حَيـاتي دَيْـدَني**

---

(١) المصدر السابق ص٩٢ .

(٢) ديوان البستي ص١٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص٢٠٦ .

(٤) المصدر السابق ص٢٠٥ .

وأعظَمُ مِن قَطْعِ اليَمينِ على الفَتى * صنيعَةُ برٍّ نالَها مِنْ يَـدَيْ دَنـي**

وقوله في الإخوانيات[1]:

إن لـم تكُـنْ نيَّتـي مصـوَّرةً * ولـم تكـنْ واثِقـاً بِنـاحِيتي**

فسـلْ بَيَـاني فإنَّـهُ علَـنٌ * تشـهَدُ علـي نِيَتـي علانِيَتـي**

وقوله[2]:

إذا ما انجلى الرَّأيُ فـاحكُمْ بـهِ * ولا تحكُـمَنَّ بمـا يَشْـتَبِهْ**

ونَبِّهْ فـؤادَكَ عـن رَقْـدَةٍ * فإنَّ المُـوَفَّـقَ مَـنْ يَنْتَبِـهْ**

وإنْ كنتُ لَـمْ انتبـه بـاذي * وعظتُ بـه فانتبـه أنـت بـه**

إلي غير ذلك من أمثلته الكثيرة من هذا النوع .

التام الملفق:

وهو ما كان كل من ركنيه من كلمتين أو من كلمة وبعض أخرى نحو قول أبي الفتح:

إلـى حَتفـي سـعى قـدَمي * أرى قَـدمي أراقَ دَمـي**

فمـا أنفَـكُّ مـن نَـدَمٍ * ولـيسَ بنـافِعي نَـدَمي**

---

(١) المصدر السابق ص٤٦ .

(٢) ديوان البستي ص٤٥ .

ونحو قوله[1]:

ولَّما تتابَعَ صَرفُ الزَّمانِ * فزِعْنا إلى سَيِّدٍ نابِهِ**
إذا كشَّرَ الدَّهرُ عن نابِهِ * كشَفْنا الحوادِثَ عَنّا بِهِ**

ونحو قوله[2]:

فديتُكَ عزَّ الصديقُ الصَّدوقُ * وَقَلَّ الصَّفِيُّ الحَفِيُّ الوَفِي**
ولي رغبَةٌ فيكَ إمَّا وفَيْتَ * فهلْ راغِبٌ أنتَ في أنْ تَفي**

ونحو قوله كذلك[3]:

جُعِلْنا أجنبِيَّيْنِ * بلا جُرْمٍ ولا تَبْلِ**
وأُقصِينا وما خُنّا * وما زِغْنا عَن العَدْلِ**
فقلْ لي يا أخا السُّودَ ـــ دِ والهِمَّةِ والفَضلِ
إلى كْم نحنُ في ضِيقٍ * وفي عَزْلٍ وفي أَزْلِ**
أما تنشَطُ أن تُملي * على الكُتّابِ أنتُمْ لي**

وهذا النوع لم يكثر منه البستي ، وهو نوع صعب المسلك عزيز الوقوع. وقد أشاد عبد القاهر الجرجاني بالجناس المستوفي وبالنوع الأول من جناس التركيب وهو النوع الذي أكثر منه أبو الفتح واستشهد بقول أبي الفتح :

ناظِراهُ فيما جنى ناظِراه * أوْدَعاني أمُتْ بِما أوْدَعاني**[4]

---

(١) المصدر السابق ص٤٤ .
(٢) المصدر السابق ص١٣٢ .
(٣) ديوان البستي ص٢٨٤ .
(٤) دلائل الأعجاز : ج١ ص ٣٨٠ ، والبيت في الديوان ص ٢٠٤ .

إلا أن شوقي ضيف رفض هذا النوع ، بل رفض شعراء اليتيمة جملة يقول:

((علي كل حال لم يستطع شعراء اليتيمة أن يستغلوا هذا الجانب مـــن التصنع الثقافي استغلالا قيما ، إلا ما نراه عندهم من نقـــل المصـــطلحات ... حتى ليوشك بعضهم أن يتخصص بلون من ألوانها ، كما نجد عند البستي ... ومن الحق أن البستي عجز عن استخدام هذا اللون استخداما فنيا ، علي نحـــو ما رأينا عند أبي تمام ، وقد كان البستي يجانس بين الكلمات جناسا شكليا ، لا عقل فيه ولا فكر ولا خيال و لا تصوير))[١].

إلا أن علي الجندي يقرر وأنا أشاركه هذا الرأي أن الجناس الجيد يثير إعجابنا ، بما يتضمنه من نواحٍ فنية، فالتماثل في الصورة والجرس الموسيقي الذي يصاحب هذا التماثل والتآلف والتخالف بين ركنيه لفظا ومعني، وما يحويه كل ركن من المعنى الأصلي، ثم ما يحويه من معنى طريف شريف يضاف إلى هذه المزايا وهذا كله شئ ليس بالقليل[٢].

وأرى هنا أن أبا الفتح قد ألم بأطراف هذا الفن . ووفق توفيقا كبيرا في استخراج صوره وأشكاله . ربما أكثر من أي شخص آخر تناوله . وفن الجناس فن جميل مهما قيل فيه ولا يتأتى إلا لصاحب موهبة فذة وإلمام عظيم باللغة ، وإحساس كبير بالجمال ، وهو يحدث في النفس نشوة وطربا ، وسيظل أبو الفتح رمزا لمقدرة الشاعر وقدرته في تطوير أصعب شئ عرفه الإنسان وهي الكلمة ليتصرف فيها ويلبسها ما أراد من المعاني .

---

(١) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف دار المعارف ، طبعة ١١ ص٣٥١ .

(٢) انظر فن الجناس : على الجندي ، القاهرة دار المعارف ص٣٠ .

المبحث الثالث
الخصائص الفنية

في هذا المبحث سيتناول الباحث الخصائص الفنية التـي تميـز شـعر البستي فسيجتهد في إبرازها من ألفاظه وخصائصها ، وأسلوبه وما تميز به ، ومعانيه وأثر ثقافته عليها ، ونسبة ما أخذه من غيره وما أخذ منه ، وأثر خياله في إبرازها ، ومدى تأثير موسيقاه في إبراز صوره الفنية ، والدور الذي أدته قوافيه في زخمه الموسيقي ، وأثره الذي أحدثه في الشعر العربي .

المطلب الأول :اللغة والأسلوب :

أولا : اللغة

جاء في اللسان اللغة : الِّسن ، وحدها إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، وهي فعلة من لغوت أي تكلمت[١].

وقال ابن جني[٢]: ((اللغة عبارة عن رموز لأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)) [٣].

ويقول أحمد خليل : ((اللغة هي مادة الكتابة وأدواتها بداءً بالحروف وانتهاءً بالبناء الأدبي مرورا بالكلمات فالعبارة والفقرة ، والكلمة هي الوحدة

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة لغة ج١٣ ص٢١٤ .

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جني إمام العربية الموصلي . صاحب التصانيف . كـان أبـوه مملوكـا روميا . لزم أبا علي الفارسي حتى برع وصنف تخرج عليه الكبار . خدم عضد الدولـة . وقـرأ على المتنبي ديوانه وشرحه . له عدة تصانيف أشهرها الخصائص . ولد قبل الثلاثـين وثلاثمائـة وتوفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٧ ص ١٧ إلى ١٩ .

(٣) الخصائص : لابن جني أبو الفتح عثمان تحقيق محمد علي النجار بيروت دار الهدى الطبعة الثانية ج ١ ص٣٣.

الأولى في بناء اللغة ذلك لأنها تدل على معنى وهي قد تتألف من صوت واحد أو من جملة أصوات غير أن الوصلة الكاملة هي الجملة)).[١].

يقول إبراهيم السامرائي عن تخير لغة الشعر : ((فإن اللغة هي المادة الأولي للأدب وللخطاب ، فإذا كانت اللغة عنصرا من عناصر الشعر المهمة ، فلابد للشاعر أن يسلك فيها مسلكا خاصا ، ليستطيع أن يؤدي المعاني بطريقة تختلف عنها فيما عدا الشعر من فنون القول ، ومعنى هذا أن عليه أن يختار الجميل المناسب والأنيق الحسن)) [٢].

وقد تحدث عباس محمود العقاد عن لغة الشعر أيضا فقال : ((بنيت علي نسق الشعر في أصوله الفنية والشعرية في جملتها ، من منظوم منسق الأوزان والأصوات ولا تنفصل عن الشعر في كلام تألف منه)) [٣].

ويميز عدنان حسين قاسم الشاعر الأصيل من غيره بلغته الشعرية ، فإن كان الشاعر أصيلا فإن لغته تذخر بالأصول والخصائص الفنية التي تجعل من شعره فنا متكامل البنيان[٤].

فلغة الشعر إذا ليست ألفاظا لها حدود معلومة ، ولكنها لغة تصوير وخيال وانفعال ، والملكة اللغوية تكتسب بالإطلاع والبحث في المعاجم ، وكثرت قراءة الشعر وحفظ الجيد منه، وحفظ كلام العرب الفصحاء ، كل ذلك يقوي من أدوات الشاعر ويثري ذخيرته.

---

(١) البلاغة العربية أصلها وأصولها : السيد أحمد خليل ، طبعة دار النهضة المصرية سنه ١٩٦٨ ص٩.

(٢) لغة الشعر بين جيلين : إبراهيم السمارائي بيروت لبنان دار الثقافة ص ٩ .

(٣) اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد بيروت منشورات المكتبة العصرية ص ٨ .

(٤) انظر الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر: عدنان حسين قاسم المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ليبيا طبعة أولى ١٩٨١ ص٧٥ .

واللغة التي تعبر عن مشاعر الإنسان ، ووجدان الكاتب ، وفكر الفيلسوف ووضوح الرؤيا عند الفكر تعبيرا صافيا نقيا وصحيحا هي لغة جديرة بالدراسة والاهتمام والاحترام[١].

وطالما كانت اللغة تتركب من جمل وألفاظ ؛ فإن هذه الألفاظ هي أداة الشاعر ؛ وبها يستطيع أن يخرج لنا فنا عظيما ، وإبداعا إذا أحسن استخدامها. ويكون نجاح الشاعر ؛ في قدرته علي نقل التجارب ، وتوصيلها بإحسان استخدام أدواته اللفظية.

وتعد دراسة اللغة من الأشياء المهمة لفهم الصورة الفنية ، إذ هي مادة الشاعر وخامته ، وقد اشتهر القرن الرابع الهجري بدقة الشعراء في اختيار ألفاظهم السهلة والرقيقة والعذبة ، إذ أن هذه الصفات في الألفاظ تنسجم مع وجدان الشاعر وتجعل خياله يحلق به في أجواء فسيحة ، وكما تورث نغما يكون منسجما مع الموسيقى والوزن وجرس القافية مما يؤدي إلى جمال لغة الشعر .

وفي القرن الرابع برز تياران شعريان متباينان ، تيار تقليدي يحاكي الشعراء الأقدمين ، وينسج شعره على منهاج الأوائل في الألفاظ والتراكيب والصور الشعرية ، وتيار تجديدي دعت إليه الحياة الجديدة التي اتسمت بالحضارة والازدهار الاقتصادي ، فلجأ شعراء التجديد إلى استحداث مناهج شعرية جديدة ، ذات لغة مهذبة رقيقة الحواشي ، عذبة الألفاظ ، بعيدة عن الغريب ، وتمتزج أحيانا بألفاظ فارسية معربة ، وتمعن في استقصاء البديع وتعمل علي إظهار أنواع البديع المختلفة ، وهذه هي التي سلك سبيلها البستي . فقد امتاز أبو الفتح البستي بالسهولة والنقاء والصفاء والرقة ، فقارئ ديوانه بالكاد يعثر علي لفظة نابئة أو غريبة أو معقدة ، فقد كان يبذل جهدا كبيرا في

---

(١) انظر آفاق في الأدب والنقد : عناد غزوان طبع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد طبعة أولى سـنه ١٩٩٠ ص١١.

اختيار الألفاظ الرقيقة ، وقد يسر له ذلك نظمه القصير إذ أن جلَّ قصائده نتف ومقطوعات قصيرة إلا نادرا . ولعل السر في أن غالب قصائد البستي جاءت نتفا أنه كان كاتبا ووزيرا قبل أن يكون شاعرا ، ويمكن أن نصطلح علي إطلاق لفظة هاوٍ عليه أكثر من شاعر ، ولكن هذا الاصطلاح وتلك النتف الصغيرة لا تقدح في شاعريته . فأبو تمام مثلا كان شغله الشعر ، ولكنه كان يجيد في قصائده القصار أكثر مما يجيد في مطولاته . ولأبي الفتح ثلاثة أبيات كان قد كتبها في الأمير خلف بن أحمد أمير سجستان قال فيها(١):

خَلَفَ بنُ أحمدُ أحمدُ الأخــلافِ * أربى بسؤدُدِهِ علــى الأســـلافِ**

خلفُ بنُ أحمدَ في الحقيقــةِ * واحدٌ لكِنَّــهُ مُــوفٍ علــى الآلافِ**

أضحى لآلِ اللَّيثِ أعلامِ الهُــدى * مِــثلَ النَّبيِّ لآلِ عـــبدِ منَــافِ**

فقد وصلت هذه الأبيات الثلاثة إلى خلف هذا فكافأه بمكافأة قيمة فأعقبه أبو الفتح بقصيدة من سبعة عشر بيتا يقول فيها(٢):

مَنْ كانَ يَبغي عُلُوَّ الذِّكْرِ والشَّرَفا * أو يَبتغي عَطْفَ دَهْرٍ قد نَبــا وَجفــا**

أو كانَ يأمَلُ عِـنــدَ اللهِ مــنزِلَةً * تُنيلُهُ قُرَبَ الأبــرارِ والــزّلــفـــا**

أو كـــان يطلُــبُ ديناً يستقيمُ بهِ * ولا يرى عِوَجاً فيــهِ ولا جَنَفـــا**

أو كانَ ينشدُ ممَّا فاتَــهُ خَــلَفـــاً * فلْيَخدم المَلِكَ العَدْلَ الرَّضِــيَّ خَلَفــا**

الوارِثَ العَدْلَ والعَلْياءَ من سَــلَفٍ * حَثَوا بعَليائِهِمْ في وَجهِ مَــنْ سَــلَفا**

المُؤثِرَ القَصْدِ في أنحاءِ ســؤدُدِهِ * فإنْ أرادَ عَــطــاءَ آثَــرَ السَّـــرَفا**

إذا التوى عُنُقٌ ولَّــى حكــومَتَــهُ * سيفاً إذا ما اقتضى حَقَّاً لهُ انتَصَــفا**

---

(١) ديوان البستي ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٠ – ٢٧١ .

والسيفُ أبلغُ للأعناقِ موعــظــةٌ *** كَمْ مِنْ صليفٍ حماه حــدّه الصــلفا

وإن بدا كَلَفٌ في وجهِ مــكرُمَــةٍ *** جلا بلا كُلَفٍ عَن وَجهِهِ الكَــلَـــفا

رضاهُ يصرفُ عمَّنْ يستجيرُ بــهِ *** صَرَفَ الزَّمانِ إذا ما نابُهُ صَــــرَفا

إذا اقشَعرَّ زَمانٌ من جُــدوبَتــــهِ *** أغنى الورى وكفى جودٌ له وَكَفــا

بسخطِه يدَعُ الأفلاكَ خــائــفَــةً *** والشَّمسَ حائرَةً والبَــدْرَ مُنْكَسِــفا

يرى التَّوقُّفَ في يَومَيْ وغى ونَــدى *** وَصْماً فإنْ عنَّ رأيٌ مُشْــكِلٌ وَقَفــا

لله نَصْلٌ ضئيـــلٌ فـــي أنامِلِــهِ *** أعــادَ حَظِّي سَميناً بَعدَ ما نَحفــا

يهيــنُ أمــوالَهُ كي يَستفيدَ بِهــا *** عِزَّاً يُؤَثِّلُ فــي أعـــقابِهِ الشَّــرفا

والمَرءُ لِلَّومِ في أحوالــه هَدَفٌ *** إنْ لم يكُنْ مالُهُ مِــن دُونِهِ هَــدَفا

لا يلحقُ الواصِفُ المطريُّ معانيَهُ *** وإن يكُنْ سابِقاً في كُلِّ مــا وَصَــفا

وقد جاءت دون سابقتها وفيها تكلف، ولم ينل البستي عليها شيئا .

ورغما من أن طابع أبي الفتح العام الرقة إلا أنه كان ينحو منحى الجزالة والفخامة في الفخر قال :

ونحن أُناسٌ لا نذِلُ لجــانــــفٍ *** علينا ولا نرْضى حكومةَ حائــفِ

ملكنا المعالي بالعوالي فــجارنا *** عَزيزٌ ومَنْ نكفُلْ به غيرُ خائفِ

ورثنا عنِ الآباء عند اخْترامهــا *** صفائحَ تغْني عن رُسومِ الصحائفِ

تُــؤمّــرُنا أســيافُنا ورماحنــا *** إذا لمْ يُــؤَمــرنا لــواءَ الخلائفَ

بنيــنا بأطرافِ الأسِنةِ كـــعْبةً *** أطاف بها قسْراً مُلوكُ الطوائــفِ

فَمنْ شاءَ فلْيخْشُنْ ومَنْ شاء فلْيلنْ *** فما نَقدُنا إن قارضــونا بزائــفِ

وسوف نُجازي باللطائفِ أَهْلَهــا *** ونَسقي ذُعافَ السّمِّ أهْل الكتائف(١)

---

(١) ديوان البستي ص١٢٣ .

فالألفاظ قوية فخمة انظر إلي جانف ، حكومة ، العوالي ، اخترامها، صفائح ، تؤمرنا ، أسيافنا ، رماحنا ، الخلائف ، بنينا ، أطراف الأسنة ، قصرا، ملوك ، فليخشن ، قارضونا ، زعاف ، السم ، كلها كلمات قوية صلبة اختيرت اختيارا ، توحي بالشدة والقوة ، وتنسجم مع الغرض ثم انظر إلي التراكيب ، ونحن أناس تركيب يضج بالاعتزاز والفخر والقوة ، ولا نذل لجانف ، ولا نرضى حكومة حائف ، فلا النافية الداخلة علي الجملتين تعطي معنىً قوي الأسر ، وقبلها الاختصاص في (ونحن أناس) يوحي أنهم هم فقط المختصون بالأمر . ثم انظر إلى (ملكنا المعالي بالعوالي) تشخص أمام عينيك حينما تسمعها صورة رماح مشرئبة أو صورة رماح مركوزة علي الأرض . وانظر كذلك في قوله :

ورثنا عن الآبــاء عنــدَ اخترامِهــا * صفائحَ تُغني عن رُسومِ الصَّــحائفِ**[1]

فهذا التركيب يعطيك صورة قوية عن المجد المؤثل ، الذي ورثه الشاعر عن آبائه ، وهو مجد حرب وفروسية وفي البيت نظر إلى بيت أبي تمام القائل :

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في * مُتــونِهِنَّ جَــلاءُ الشَــكِّ وَالرِيَــبِ**[2]

ثم انظر إلى قوله : تؤمرنا أسيافنا فإن الاستعارة في هذه الجملة أعطت الصورة الفنية في هذا البيت بعدا جماليا قويا ، ولكن التركيب اللفظي في حد ذاته له ظلال وظلال فقد جعل الآمر هو السيف والمعروف أن الأمر يأتي من

---

(١) ديوان البستي ص١٢٣ .

(٢) ديوان أبي تمام – الخطيب التبريزي . قدم له راجي الأسمر ، نشر دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٩٩٢ .الجزء الأول ص ٣٢

العقل ، والسيف هو أداة تنفيذ الأمر ، فهو الذي يضرب فإذا كان الضارب هو الآمر فكيف يكون الوقع . وهكذا تمضي القصيدة إلى آخرها ، بكلمات قوية ، وتراكيب جزلة وعبارات فخمة .

ونرى هذه الفخامة أيضا في هذه القطعة الفخرية التي يقول فيها :

دَعِ الدِّمَنَ القِفارَ لِمَـنْ بَكـاها * وَقُمْ فاختَرْ لَنـا رَبْعـاً سِـواها**

وخَلِّ الكـاسَ فارِغَـةً هـواءً * فليسَ بِنا انحطـاطٌ فـي هَواهـا**

أَلْمْ ترَ أنَّنـا نسـعى لنرقـى * إلى العَلياء فـي أقصـى ذُراهـا**

ونحـنُ إذا تَصَـدّيْنا لِحـربٍ * عَبـوسٍ وجهُهـا دانٍ ضُـحاها**

نُبَكِّي المَشْرَفَّـي دمـاً نَجيعـاً * وضِحْكُ المَشْـرَفيَّةِ فـي بُكاهـا**

وشَـيَّدْنا مَبـانِيَ لِلمَعـالي * يَدومُ على الزَّمانِ قُوى بُناهـا**[1]

فالألفاظ في هذه الأبيات قوية كذلك وإن كانت أقل من سابقتها انظر إلى: حرب وعبوس والمشرفية ونجيعا ، أما التراكيب فهي جزلة دون شك . وقد ابتدر القصيدة بأسلوب يقارب أسلوب أبي نواس في ترك البكاء على الأطلال ، يقول أبو نواس:

قُل لِمَن يَبكي عَلى رَسـمٍ دَرَس * واقِفاً ما ضَرَّ لَو كـانَ جَلَـس**[2]

أو قوله :

صِـفَةُ الطُلـولِ بَلاغَـةُ الفَـدمِ * فَاجعَل صِـفاتَكَ لِابنَـةِ الكَـرمِ**[3]

---

(١) ديوان البستي ص٢١٠،٢١١ .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٣٠٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٥٩ .

وينادي أبو الفتح البستي باختيار ربع آخر ولكنه لم يتجه إلى الخمر كما فعل أبو نواس بل دعا إلى ترك الخمر أيضا وفي هذا خالف أبا نواس .

وخَلِّ الكاسَ فارِغَةً هواءً * فليسَ بِنا انحطاطٌ في هَواها**

ويسعى إلى الارتقاء إلي المعالي ثم يفتخر بتصديه للحروب .

وألفاظ أبي الفتح في الغزل والخمر والإخوانيات رقيقة جداً يقول:

يا قَمراً في الفُؤادِ حَلاّ * دَمي حَرامٌ فكيفَ حَلاّ**

يا أحسنَ النّاس مِنهُ دَلاّ * على تَلافي هَواكَ دُلاّ**

ما أنصفَ الحُبُّ حينَ ولّى * منَ الهوى والِياً وولّى**

دقَّتْ معَانيه حينَ جَلاّ * مَنْ لوَ يشأُ الهُمومَ جلّى**

علَّي سيفَ الصُّدودِ سَلاّ * والقَلبُ مِنهُ للوَصلِ سَلاّ[1]**

يلاحظ زخم حرف اللام المتبوعة بألف وحرف الياء والألف المقصورة في ألفاظه هذه . ويلاحظ دقة اختياره للألفاظ الجميلة الرشيقة ذات الوقع والجرس في الآذان ، قمر ، حلا ، دلا ، تلافي ، هواك ، جلا ، سلا ، فهي ألفاظ غاية في العذوبة ، تنسجم مع هذا اللون من الأغراض ، وزادها حلاوة كثرة التكرار الترنمي في حلا وحلا وولا وجلا وجلى وسلا وسلا . ونجد التكرار الترنمي كما ونجد التصريع في كل أبيات القطعة ، مما زاد وقع الألفاظ طلاوة ، وكساها حلاوة ، وهكذا يمضي في قصائده الغرامية والخمرية يقول[2]:

---

(١) ديوان البستي ص١٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص٢٨٨ .

وَمُهفْهفٍ يسعى بكأسِ مُدامَــةٍ *** والكأسُ فُوهُ والرُّضَــابُ مُدامُــهُ
وإذا تثَنَّى مائســاً فــي مَشــيهِ *** فالسَّرْوُ في ريحِ الشّــمالِ قَوامُــهُ

فألفاظه: مهفهف والكأس ومدام وفوه والرضاب وتثنى ومائس والسرو، ألفاظ جميلة محببة إلى السمع فتكرار حرف الميم والهاء والفاء في مهفهف يعطيها بعدا إيقاعيا ممتلئا بالموسيقي وكلمات المدام والرضاب والسرو، أعذب كلمات تعبر عن معانيها . كما نجد التصريع في البيت الأول كست الهاء في مدامه اللفظ جمالا لفظيا . ويقول(١):

وغَــزالَــــةٍ غــازَلْتُـــها *** فــي المَقْــسِ مــن أولادِ حـــامِ
نظـــرَتْ بـــعَيْنَيْ ظَبيَـــةٍ *** ونظْــرتُ مِــن عَيْنَــي قَطــامِ
وتبسَّــمَــــتْ وكأنَّـــها *** بَـــرْقٌ تـــألَّقَ فـــي غَمــامِ
ثـــمَّ انثَنــتْ مِثْــلَ المَهــا *** وتبِعْتُــها رَتْــكَ النَّـــعامِ
حتــى دخَــلْنــا بيتَهــا *** فحَصــلْتُ فــي البَيــتِ الحَــرامِ
فجــعَلْــتُ أفــتحُ ميمَهــا *** لّمــا جثَــوْتُ لَهــا بلامـــي
وكأنّــنــي إذا ذاكَ أو *** لَجْــتُ الضِّــياءَ علــى الظَّــلامِ
ضِــدّانِ لــم يجمَعْــهُمــا *** إلاّ الــمحــبَّـــةُ للـــحَرامِ
كانَــتْ لَعمــري عــاهــةً *** جـــمعَتْ غُرابــاً مــع حَمــامِ

فألفاظه هنا كذلك ألفاظ عذبة رقيقة ، فهي غزالة وهي ظبية وهي مها وقد أعمل التشبيهات والاستعارات في هذه القطعة ، حتى يتأتى له تخير الألفاظ الجميلة كما ترى . ويقول(٢):

---

(١) ديوان البستي ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق ص١٩٨ .

أَوانٍ أنــتَ فــي هَــذا الأوانِ *** عنِ الرّاحِ المُرَوَّقِ فــي الأوانــي
تعالَ إلى الصَّـوانــي مُتْرَعاتٍ *** وأبرزْ نــورَهُــنَّ مِنَ الصَّــواني
وفُــكَّ إسـار لَــذاتٍ عَـــوانٍ *** ببِـكْرٍ مِــن كُؤوسِـكَ أوْ عَـوانِ
فمــا عَيــشُ الفَتــى إلاّ عَنــاهُ *** بَراحٍ أو غِـنــــاءٍ أو غـــوانِ
إذا سنَحَ السُّــرور فــأيُّ عُــذرٍ *** لِذي الرَّأْيِ المُسَدَّدِ في التَّــواني

فقد اختار لهذه القطعة ألفاظا رنانة جدا ، لعله تخير فيها وجود حرف النون في معظم كلماتها حتى قافيتها ، وهذا دأبه فغالبا ما يختار حرف الروي ثم يأتي بألفاظ من جنس حرف الروي فتتولد موسيقي لفظية آسرة كما وضح في القطعة السابقة ، ولا ينفك بيت إلا وبه أكثر من ثلاث نونات في ألفاظه .

وله كذلك يتذكر ما مضي من أيامه وشبابه :

يا حُسنَ لذَّةِ أيّامٍ لَنــا سلــفَــتْ *** وطِيبَ لذَّةِ أيّامِ الصِّــبا عُــــودي
أيّام أسحَبُ ذَيلي فــي بَطــالَتِها *** على تَرَنُّمِ ضَرَبِ النّايِ والعُـــودِ
وقَهوةٍ وسُــلافِ الــدَّنِّ صــافـــيةٍ *** كالمِســكِ والعنَبــرِ الهِنــديِّ والعُــودِ
تَستَلُّ روحَكَ في أمْــنٍ وفــي دَعــةٍ *** إذا جرَتْ مِنك مجرى الماءِ في العُــودِ[1]

هذه الأبيات يبكي فيها أيام شبابه الخوالي ، ويأتي فيها بألفاظ ذات طلاوة وحلاوة ، وأرى فيها المسك والعنبر والعود والقهوة والسلاف والترنم وضرب الناي وكلها ألفاظ ترف حضري رقيقة بعيدة عن الغريب .

كما تميز البستي باستخدام الألفاظ الفارسية في شعره ــ وإن قلت ــ ولعل مرد ذلك إلي البيئة التي عاش فيها حيث أن بست تقع في بلاد إيران

(١) ديوان البستي ص٧٥ .

الكبرى ، وموقعها الحالي قرب كابول عاصمة أفغانستان ، فلا غرابة في ظهور بعض الألفاظ الفارسية في شعره . يقول:

لـــــي ســـــيدٌ هلباجـــــــة * دَعْوتُـــه الكبـــرى بـــلا باجـــة**

يُغـــــري الأخــــلاءَ ولكنـــــه * يطبـــقُ فـــي خَدَّيـــه ســكباجة[1]**

فالباجة والسكباجة ، طعام يعمل من اللحم والخل والبصل والكراث والعسل مع توابل وهي أطعمه فارسية . والباج يهمز ولا يهمز معرب باها بالفارسية .

وله غير ذلك :

بينَنـــا للبَخـــورِ غَـــيمٌ وللمـــا ـــــ وَرِدِ طَـــشٌّ وللغَـــوالي رِداغُ[2]

وكلمة الماورد كلمة فارسية . وله أيضاً:

فَقَيِّمُ الباغِ قــد يُهــدي لمالِكِــه * برَسمِ خِدمَتِهِ من باغِــهِ التُّحَفــا**

والباغ: كلمة فارسية بمعنى البستان.

ولكن بصورة عامة أجد أن ألفاظه الفارسية التي استخدمها ليست بالكثرة المتوقعة لرجل عاش في بيئة فارسية ، ولعل في اشتغاله بالتعليم وإلمامه بعلوم العربية سبب في صون لسانه عن الوقوع في الألفاظ الفارسية .

وقد استخدم في شعره أيضا ألفاظا لمواقع في الجزيرة العربية أتى ببعضها نحو قوله :

عصى السُّلطانَ فابتــدرَتْ إليــهِ * رِجـــالٌ يقلَعــونَ أبـــا قُبَـــيْسِ[3]**

---

(١) ديوان البستي ص٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٢١ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٦ .

وأبو قبيس هذا جبل بمكة قال ياقوت الحموي: ((أبو قبيس بلفظ التصغير كأنه تصغير قبس النار وهو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها قيل سمي باسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى فيه قبة))[١] ، لم يره أبو الفتح، ولكن أدرجه في شعره كما كان يفعل الشعراء تشبها بامرئ القيس وأمثاله ، حينما كان يأتي في شعره بمنعرج اللوى والدخول و حومل . فلم ينس البستي إذا جزيرة العرب وما فيها من معالم رغم بعده المكاني عنها.

ثانيا :الأسلوب

الأسلوب هو القالب الذي فيه تصب الأفكار والمعاني ، ويخرج العمل الفني فيه فهو بمثابة الثوب للبدن .

ويتحدث نميري تاج السر عن اختلاف الأسلوب من شاعر لآخر ويبرر ذلك يقول : ((فشاعر الصحراء الذي اعترك برها وخشونتها ، يخشن لفظه لبداوته ويغلظ أسلوبه ، ومن تنسم رحيق الحدائق ، ورفل نعيم الحضارة رقت ألفاظه ، وسهلت معانيه ، ولان أسلوبه ، إذا فالبيئة هي المؤثر الفعلي في اختلاف أساليب الشعراء)) [٢].

وفي قصة علي بن الجهم تعزيز لما أورده نميري جاء في التنوير والتحبير عن علي بن الجهم[٣] قال : ((وقد زعم بعض أهل الأدب ، أن عليا بن الجهم مدح الخليفة المتوكل بقوله

---

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٨٠ .

(٢) رسالة ماجستير بعنوان ابن حاتمة الأنصاري حياته وشعره إعداد نميري تاج السر جامعة أمدرمان الإسلامية ١٩٩٩م ص٢١٨ .

(٣) علي بن الجهم بن بدر أبو الحسن من بني أسامة من لؤي بن غالب شاعر رقيق الشعر أديب من أهل بغداد كان معاصرا لأبي تمام وخص بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه المتوكل فنفاه إلى خراسان ثم خرج مع جماعة يريدون الغزو فاعترضهم جماعة من فرسان بني كلب فقاتلهم ومات من جراحه . توفي سنة ٢٤٩ له ديوان شعر مطبوع . الإعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٦٩ و٢٧٠

أَنتَ كَالكَلبِ في حِفاظِـكَ لِلــوُد ـــــ دِ وَكَالتَيسِ في قِراعِ الخُطوبِ))[١]

وأنه لما سكن بغداد وعلقت نضارة الناس بخياله قال في أول ما قاله :

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ * جَلَبنَ الهَوى مِن حَيــثُ أَدري وَلا أَدري**[٢]

والأسلوب يبين ملامح الفنان أو الشاعر يقول محمد بسيوني: ((الأسلوب يمثل السمة الشخصية للفنان ، والتي تتعكس في فنه وهي بصمته المميزة ، ويمكن بها التعرف علي شخصيته)) [٣].

وأبو الفتح البستي جيد الرصف ، يعتمد علي دقة الذوق ويكثر من التشبيه وتقل عنده الكناية ويسيطر عليه البديع ، وأسلوبه مفعم بالطلاقة والطرب حينما يتحدث عن الخمر والغزل فيقول[٤]:

يومٌ له فضلٌ عــــلى الأيـــّام * مزجَ السَّحابُ ضــياءَهُ بظــــلامِ**

والبرقُ يخفِق مثل قلبٍ تائــــهٍ * والغيمُ يبكــي مثل طــرْفٍ هــامِ**

وكأنَّ وجهَ الأرضِ خــدٌّ مُتــيَّمٍ * وُصِلَتْ سُجومُ دُموعِــه بسِــجامِ**

فاطلبْ ليَومِك أربعاً هن المنــى * وبــهن تصفـــو لــذة الأيــــام**

وجهَ الحبيبِ ومنظراً مستبشــراً * ومُغَّنــياً غَــرِداً وكــأسَ مُـــدامَ**

فهنا يتحدث عن أحد أيام القصف التي عاشها ، ونبرته هنا فيها طرب وتلذذ وروعة وصف . ويقول[٥]:

---

(١) سمط النجوم العوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق عــادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٤٦٩، والبيت غيــر مثبت في الديوان.

(٢) ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردام . دار صادر الطبعة الثالثة ١٩٩٦ .ص٧٨

(٣) الفن التشكيلي : محمد بسيوني مطبعة عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى سنه ١٩٨٠ ص١٨٤ .

(٤) ديوان البستي ص١٦٧ .

(٥) المصدر السابق ص٢٦ .

بأبي غزال نام عن وَصَبى بـــه، * ومُراق دمعي بـــالنَّوى وصَـــبيبهِ**

ياليتــَهُ يرْثى علـــى ولهـــى به * لغرامِ قلبي في الَهـــوى ،ولَهيبـــهِ**

رغم أن هذه الأبيات أبيات غزلية ، إلا أن فيها مسحة حزن ، فهو يطلب من محبوبه أن يرثي لحاله ، وللحب الذي اشتعل في قلبه ، فالغالب الأعم ظاهرة محسة الحزن في شعره، خاصة حينما يتحدث عن تخلي الإخوان وظاهرة الشيب وشكوى زمانه . يقول متذكرا سالف أيامه :

أَنِسْتُ بأيّامِ الشَّبابِ وظِـلـَّـهـــا * وآنستُ دَهراً في جوارِ الجَوارِيا**[1]

فلما رأيْتُ الشَّيْبَ يبسِمُ ضاحِـكاً * بكيتُ فأخْجلْتُ العُيونَ الجَـــــواريا**

وقلتُ غدا زَنْدي بشيبي كابــــياً * وكنتُ أراهُ يقـدَحُ الثّلـــجَ وَاريـــا**

فظُنَّ ريا بالدُّمـــوعِ سَــفَــحتُها * وما بدُموعٍ قد قراها الجوىَ رِيـــا**

ففي الأبيات مسحة حزن ظاهر ، أتت من تذكره لأيامه السوالف ، أيام الشباب والمجالسة مع الجواري ، فهو يبكيها ويبكي الشيب الذي دهمه ، وهذه هي علة الحزن البادئ على أبياته . وقد استخدم أسلوب الطباق في هذه الأبيات بين (ضاحكا وبكيت) .

وفي هذه الأبيات أيضا التي يبكي فيها شبابه بظهور الشيب على رأسه تبدو رنة الحزن واضحة[2]:

دَعْ دُموعي يسِلْنَ سَــيلاً بِــدار * وضُلوعي يصلَيْنَ بالوَجــدِ نـــارا**

قد أعادَ الأســى نهـــاريَ لَــيْلاً * مُذْ أعـــادَ المَشِيبُ لَيلـــي نَهـــارا**

---

(١) ديوان البستي ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق، ص٨٠ .

وتبدو مسحة الحزن هذه في إخوانياته . ولعل الأبيات التالية خير شاهد علي ما ذكرنا[١]:

أخ تــبــاعَدَ عــنِّي شخصُه ودنا * مــعنَاهُ منِّي فلم يظعَن وقد ظَعَــــنا**

وكيف يبعــدُ مني مَنْ جعلْتُ لـــهُ * صميم قَلبي على عِلاتِه وطــنـــــا؟**

أمْ هَــلْ يُزايلُني مَــنْ لا يُغايرُني * في الرَّأي كيف رأي واللَّحْظِ كيف رَنـــا**

أبا سُليمانَ! سِرْ إنْ شئتَ أو فأقم * بحيث شئت دنا مثــواكَ أمْ شَـــطَنا**

ما كنتَ غيري فأخشى أن يفارقني * فديْتُ روحَك بَلْ رُوحي فــأنْتَ أنـــا**

وتظهر كذلك مسحة الحزن قوية في شكواه للزمان ، كما تبين ذلك الأبيات التالية[٢]:

عفاء على هذا الزّمـــانِ فإنَّــهُ * زَمانُ عُقُــوقٍ لا زَمـــانُ حُقُــوقِ**

فكُلُّ رَفيقٍ فيـــه غَيـــرُ مُرافِــقٍ * وكُلُّ صَديقٍ فيـــهِ غَيـــرُ صَــدوقِ**

وأهم ظاهرة في أسلوبه كثرة استخدام المصطلحات الفقهية والنحوية والفلسفية ، وذلك فيما يبدو نتيجة ثقافته الواسعة ، واشتغاله بالتعليم في مبدأ حياته . ومن المصطلحات النحوية التي أوردها في شعره قوله[٣]:

عُزِلْتُ ولم أعجَزْ ولم أكُ خائفــاً * وذاكَ لإنصـــاف الـــوزير خِـــلافُ**

حُذِفْتُ وغَيري مثبَتٌ في مَكانِـــهِ * كأنِّيَ نونُ الجَمعِ حــينَ تُضـــافُ**

---

(١) ديوان البستي ص١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٦ .

وله أيضا[1]:

وبَصـــير بمَعـــاني الشِّـــعْرِ * والإعْـــــــــراب جِـــــــدّا**

قـــالَ لـــي لّمـــا رآنـــي * طالِبـــاً مـــــالاً ورِفْـــــدا**

إنّ مالــــي يــــا حبيبـــي * لازِمٌ لا يــتَـعــــــــــــدّى**

وهكذا تمتلئ أشعاره بالكثير الكثير من المصطلحات النحوية . ونورد له ما جاء في شعره مشتملا عي بعض المصطلحات الفقهية قوله[2]:

زُفَّتْ إليكَ لَنـا عـرائِسُ أربَـعٌ * فَفَضضْتَها بالسَّمعِ وهْيَ قَصـائدُ**

فابعَثْ إليَّ مُهـورَهُنَّ بأسـرِها * إنَّ النِّكاحَ بِغَيرِ مَهْـرٍ فاسـدُ**

وله أيضا[3]:

يَخطُـبُ وُدِّي ولـيسَ كُفْـواً * لِـــوُدِّهِ الـرّائـــعِ النَّبيـــهِ**

فهـلْ نِكـــاحٌ بــلا تَكـــافٍ * يجـــوزُ فـــي مَـــذهَبِ الفَقيـــهِ**

وله أيضا[4]:

وقالوا العَزلُ للـوُزراء حَـيضٌ * لَحاهُ اللهُ مـن حَيـضٍ بَغـيضِ**

فإنْ يـكُ هَكـذا فـأبو عَلِـيٍّ * من اللّاتي يئِسْنَ مـن المَحـيضِ**

---

(١) ديوان البستي ص٢٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق ص٢١٢ .

(٤) المصدر السابق ص١١٤ .

وله من ملحه الفقهية الجميلة[1]:

أَقولُ لِشادِنٍ في الحُسنِ فَردٍ * يَصيدُ بِلَحظِهِ قَلبَ الكَميّ**

مَلَكتَ الحُسنَ أَجمَع في قَوامٍ * فَأَدِّ زَكاةَ مَنظَرِكَ البَهيّ**

وَذَلِكَ أَن تَجودَ لِمُستَهامٍ * بِريقٍ مِن مُقبّلِكَ الشَهيّ**

فَقالَ أَبو حَنيفَةَ لي إِمامٌ * ويفتي لا زَكاةَ عَلى الصَبيّ**

وفي ديوانه شواهد أخرى كثيرة .

ومن خصائص أسلوبه الشعري التكرار . سواء كان معنويا أو حرفيا ، وهو كثير جدا في شعره ، بل لعله السمة المميزة لشعره . فأبو الفتح البستي شاعر الجناس وهو إمامه ، فقد أتى بالعجب العجاب فيه ، فلا نكاد نجد بيتا من أبياته يخلو من التكرار والتكرار يقوي المعني . يقول عبد الله الطيب: ((التكرار المراد به تقوية المعاني التفصيلية ولك أن تسميه التكرار الخطابي لأن الشعراء أكثر ما ينحون فيه منحى الخطابة ، وهو نوعان ملفوظ وملحوظ، فالملفوظ ما ألح فيه الشاعر على استعمال كلمة واحدة بعينها ، أو كلمة مقاربة لها في الاشتقاق . والملحوظ ما استعمل فيه الشاعر كلمات مترادفات أو متشابهة المعاني)) [2].

وأكثر تكرار أبي الفتح من التكرار الملفوظ ونكتفي بإيراد شاهد واحد من شعره يقول[3] :

---

(١) الأبيات غير مثبتة في الديوان ، ولكن نسبها أبو الحسن علي بسام في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس نشر دار الثقافة بيروت ١٩٩٧، للبستي ج٧ ص ٣٥٤ . ونسبها الصفدي في الوافي بالوفيات ج١ ص ٢٧١١ لأبي الفضل الميكالي .

(٢) المرشد : عبد الله الطيب ج ٢ ص ١٣٧ .

(٣) ديوان البستي ص ١٧٩ .

مَــرَرْتُ بــأَمْرَدَيْنِ فقلْــتُ زُورا * محبِّكُمـــــا فقـــالَ الأمْـــرَدانِ**
أذُو مــالٍ فقلْــتُ وذو يَســـارٍ * فقـــالَ الأمْـــرَدانِ الأمــرُدانِ**

ويكثر في شعره أسلوب الاستفهام . ويأتي الاستفهام بهل والهمزة وكم ومتي وأين وكيف . مثال الاستفهام بالهمزة قوله (١):

أيا قاطعاً للوَصلِ بَينـــي وبينَــهُ * بِلا عِلَّةٍ مِنِّي عَرَفْــتُ ولا سَــبَبْ**

ويكاد يخلو ديوان البستي من كم الاستفهامية، وقد أتت في قليلٍ من أبياته، لكنها ليست بصيغة الاستفهام، نحو:

وكُم فَرَحَةٍ منتوجةٍ مــن كآبــةٍ * كَما انَهلَّ صَوبُ المُزنِ عن زَجَلِ الرَّعْدِ(٢)**

مثال الاستفهام بكيف :

كيــفَ تُرجــى صـــلاحُ حـــالٍ * فـــي عـــالَمِ الكَـونِ والفَســادِ(٣)**

ومثال الاستفهام بهل :
هلْ مُنِعمٌ في النَّاسِ أو مُفضِــلٌ * يرغبُ في الشُكرِ وفـــي الــذِّكرِ(٤)**

ومثال الاستفهام بأين قوله:
أينَ قَلبي سَباهُ مــن بَــدرِ تِــمٍّ * تَمَّ بالثَّغرِ أمْ لَحيْنـــي وحَتْفــي(٥)**

---

(١) ديوان البستي ص٣٦ .
(٢) المصدر السابق ص٦٤ .
(٣) المصدر السابق ص٦٩ .
(٤) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٥) المصدر نفسه ص ١٢٤ .

وما قلته في كيف أقوله في متى، حيث أنها لم تأت بصيغة الاستفهام كما في قوله:

فمتـــى نأَيْـــتَ عـــنِ الأحِبَّـــةِ * لـــم يُســـاوِ العُمـــرُ حَبَّـــهْ**[1]

ولم ترد متى في غير هذا البيت ، وأسلوب الاستفهام بأين قليل، أما بالهمزة وهل فهو كثير جدا .

ومن أساليب الطلب الواردة في شعره أسلوب النداء وهو كثير جدا ومنه قوله :

يا أيُّها الباحِـثُ عـن مَنهَجـي * لِيقتـــدي فيـــه بمنهـــاجي**

مِنهاجِي العَدلُ وقَمــعُ الهَــوى * فهــلْ لمِنهــاجِيَ مِــن هَــاجِ**[2]

أو قوله :

يا مَنْ جفا إذ رأى في ظاهري خلَلاً * وانفــضَّ عنَّــي أوغـــادٌ وأوبـــاشُ**

لا تيأسَنَّ منَ المرضى وأنْ ضـــعُفوا * ولن يفوتَهُمُ الإنعــاشُ إنْ عاشُــوا**[3]

أو قوله :

يا مُنفِقَ العُمرِ في لَغْوٍ وفي عَبَــثِ * أشفِقْ على زَمَنٍ إن مرَّ لـــم يَعُــدِ**

وجُدْ بِما ملَكَتْ كَفّاكَ مِــنْ نَشَبٍ * تَسُــدْ وتُسْعَــدْ وبِالأيّامِ لا تَجُدِ**[4]

---

(١) ديوان البستي ص ٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ص٥٧ .

(٣) المصدر السابق ص١١٢ .

(٤) المصدر السابق ص٢٤٣ .

أو قوله :

يا معشَرَ الكُتّــاب لاتتعرَّضُــوا * لِرياسَةٍ وتصــاغَروا وتخــادَمُوا**

إنّ الكواكِبَ كُنَّ فــي أشــرافِها * إلاّ عُطــارِدَ حــينَ صُــوِّرَ آدَمُ[١]**

وأسلوب النداء يكثر عند أبي الفتح كثرة ظاهرة ، وغالبا ما تأتي بعده حكمة أو مثل ، ويمكن أن نقول أن هذا الأسلوب مرتبط ارتباطا وثيقا بأبياته الحكمية ولذلك كثر لكثرة أبيات الحكمة عنده .

وكذلك أسلوب النهي والأمر ، ونمثل لأسلوب النهي بقوله :

لا تعصِيَنْ شمسَ العُلا قابُوســا * فَمنْ عصى قابوسَ لاقى بُوســا[٢]**

أو قوله :

لا تحسَبَنِّي إذا أَوْلَيْتَنَــي نِعَمــاً * أنَّي أخو وَهَنٍ في الشُّكرِ أو كَسَلِ**

فإنَّني نَحْلُ شُكرٍ إنْ جَنى ثَمَــراً * أجناكَ مِن قَولِهِ أحلى مِنَ العَسلِ[٣]**

أو قوله :

لا تَعْجَبَنَّ لدَهرٍ ظَلَّ فــي صَــبَبٍ * أشرافُهُ وعَلا فــي أوجِــهِ السَّفِلُ**

وانقَدْ لأحكامِهِ أنَّى يُقادُ بِهــــا * فالمُشتري السَّعْدُ عالٍ فوقَهُ زُحَلُ[٤]**

أما أسلوب الأمر فمنه قوله[٥]:

دَعِ التكاسُلَ في الخَيراتِ تطلُبها * فليسَ يسعَدُ بــالخَيراتِ كَسْــلانُ**

---

(١) ديوان البستي ص٢٨٧ .

(٢) المصدر السابق ص١١٠ .

(٣) المصدر السابق ص١٥٢ .

(٤) المصدر السابق ص١٥٣ .

(٥) المصدر السابق ص١٨٩ .

وقوله[1]:

أحسنْ إذا كانَ إمكانٌ ومقــدرةٌ * فلنْ يَدوم على الإحســان إمكــان**

أو قوله الشهير :

أقبِلْ على النَّفسِ فاستكمِلْ فضائلَها * فأنتَ بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ[2]**

وقوله[3]:

أحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعبِدْ قُلوبَهُمُ * فطالَما استبَعدَ الإنســانَ إحســانُ**

فأسلوب الأمر كما ظهر لنا جله أتي في أبيات حكمية .

ونري كذلك أسلوب التفدية ، وليس كثيرا نحو قوله:

بنفسيَ مَنْ أهدى إلــيَّ كتابَــهُ * فأهدي ليَ الدُّنيْا معَ الدَّينِ فــي دُرْجِ**

كِتابٌ معانِيه خِلالَ سُطورِهِ لآلِئُ * في دُرْجٍ كواكــبُ فــي بُــرجِ[4]**

وقوله :

فــديتُكَ يــا روحَ المكــارمِ كُلِّهــا * بأنفَسِ ما عندي من الرُّوح والنَّفسِ[5]**

---

(١) ديوان البستي ص١٨٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٣) المصدر السابق ص١٨٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٥) المصدر السابق ص١٠٥ .

أو قوله :

بــأبي أخــوةٌ ترحَّلْــتُ عَــنهم * فترحَّلْتُ عــن سُــرورٍ وأُنْــسِ**[١]

أو قوله :

بـــأبي كلامُـــكَ إنَّـــهُ الـــــ * حُـــــرُّ النَّقِـــيُّ مِـــنَ العُيـــوبِ**
يَجنيـــكَ مـــن ثَمَـــرِ الكـــلا ــــ مِ وتَجتنـــي ثَمَـــرَ القُلُـــوبِ[٢]

ومن أساليبه التي طرقها ، أسلوب الحوار نحو قوله[٣]:

قلتُ لِطَرْفِ الطَّبعِ لّمــا جــرى * ولم يُطِــعْ أمــــري ولا زَجــري**
مــالكَ لا تجري وأنــتَ الّــذي * نحوي مدى الغايــاتِ إذْ تجــري**
فقالَ لـــي دعْنـــي ولا تُـــؤذِني * حتَّـــى متـــى أجري بـــلا أجــرِ**

أو قوله :

وقـــالُوا فعظَّــمْ قــدرَهُ ومحلَّـــهُ * فإنَّ أبا الخَطّابِ شَيَخٌ لـــهُ نَفْــسُ**
فقلتُ لهُ نفسٌ ولكِــنْ ســخيفَةٌ * ونحنُ على أمثالِها أبَداً نفســو**[٤]

أما الأسلوب الشرطي فيكثر كثرة مفرطة في أبياته يقول[٥]:

---

(١) ديوان البستي ص١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ص٣٦ .

(٣) المصدر السابق ص١٠١ .

(٤) المصدر السابق ص١١١ .

(٥) المصدر السابق ص١٨٧-١٨٨.

مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُحْمَدُ في عَواقِبِـــه *** وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَــنْ هانُوا

مَنِ استعانَ بغَيرِ اللهِ في طَـلَبٍ *** فإنَّ ناصِـرَهُ عَـجـزٌ وخِـذْلانُ

مَنْ كانَ للخَيرِ منّاعاً فليـسَ لَـهُ *** على الحَقِيقَةِ إخـوانٌ وأخْـــدانُ

مَنْ جادَ بالمـالِ مالَ النَّاسُ قاطِبَةً *** إلَيـهِ والمـالُ للإنسـان فَـتّـانُ

مَنْ سالَمَ النّاسَ يسلَمْ من غوائلِهِمْ *** وعاشَ وَهْوَ قَريرُ العَينِ جَـذْلانُ

مَنْ كانَ للعَقلِ سُلطانٌ عَلَيهِ غَـــدا *** وما على نَفسِهِ للحِـرْصِ سُـلطانُ

مَنْ مدَّ طَرْفاً بفَرطِ الجَهلِ نحو هَوىً *** أغضى على الحَقِّ يَوماً وهْوَ خَزْيانُ

مَنْ عاشَرَ النّاسَ لاقى مِنهُمُ نَصباً *** لأنَّ سوسَـــهُمُ بَغْـــيٌ وعُـــدْوانُ

ومَنْ يُفَتِّشْ عـنِ الإخوانِ يقلِهِـمْ *** فَجُلُّ إخْوانِ هَـذا العَصـرِ خَـوّانُ

وأسلوب الشرط هنا ، قد أفاد الشاعر فائدة عظيمة ، في إبراز معانيه. كل معنى في بيت واحد مستقل . وما كان يتأتى له حشد هذه المعاني في كل بيت على حده ؛ لو لم يستخدم هذا الأسلوب . وأسلوب الشرط يقوم علي ركنين ، فعل الشرط وجوابه وبه يكتمل المعنى . وهذا الأسلوب الشرطي ، يستخدم كثيرا في أبيات الحكمة ، انظر إلى زهير بن أبي سلمى في حكمياته التي وردت في معلقته، فقد قامت أبياته الحكمية كلها علي هذا الأسلوب ، ولعل أبا الفتح قد نظر إلى زهير حينما أراد إيراد هذه الأبيات الحكمية . يقول زهير:

وَمَــن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيــرَةٍ *** يُضَرَّس بِأَنيــابٍ وَيوطَأ بِــمَنسِـــمِ

وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ *** يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّــقِ الشَـتمَ يُشـــتَمِ

وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَــبخَل بِفَضــلِهِ *** عَلى قَومِهِ يُستَغنَ عَنهُ وَيُـذمَـــمِ

وَمَن يوفِ لا يُذمَم وَمَـن يُفضِ قَلبُهُ * إِلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمجَمِ**[١]

كما استخدم أبو الفتح أسلوب الشرط بإن . ولكنه بصورة أقل من الشرط يقول:

وإنْ أساءَ مُسيءٌ فلْيَكنْ لكَ في * عُروضِ زَلَّتِهِ صَفْحٌ وغُفرانُ**[٢]

ويقول :

وإنْ لقيتَ عدُوّاً فَالْقَهُ أبَداً * والوَجهُ بالبِشْرِ والإشراق غَضّانُ**[٣]

ويقول[٤]:

وإن نّبَتْ بِكَ أوطانٌ نَشَأْتَ بها * فارحَلْ فكلُّ بِلادِ اللهِ أوطانُ**

كما استخدم إذا الشرطية بكثرة، والتي تتكون من الفعل وجوابه. نحو قوله[٥]:

إذا أنتَ لم تُحسِنْ إلى غَيرِ شاكرٍ * يَرى شُكرَ ما تُوليهِ فَرْضا مُؤبَّدا**
نُفِيتَ عن الإحسانِ وَهْوَ فَضيلَةٌ * يحوزُ بِهْا الإنسانُ مَجداً وسُؤْدُدا**
وذاكَ لأنَّ النَّاسَ إلاّ أقلَّهُمْ * إذا شكَروكَ اليَومَ لم يَشكرُوا غَدا**

---

(١) ديوان زهير : ص ٣٥ ــ ٣٦
(٢) ديوان البستي ص ١٨٧ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٩ .
(٤) المصدر السابق ص١٩٢ .
(٥) المصدر السابق ص٦٢ .

أو قوله [1]:

إذا ما اصْـطَنَعْتَ امـرَأ فلْـيكُنْ * كـريمَ النّجـار شـريفَ النَّسَـبْ**

فَـنَذل الرِّجـالِ كَنـذلِ النَّبـاتِ * فـلاَ للثِّمـارِ ولا للِحَطَـبْ**

واستخدم البستي كذلك أسلوب تقديم الجار والمجرور نحو :

بينَنـا للبَخـورِ غَـيمٌ وللمـا ـــ وَردِ طَـشٌّ وللغَـوالي رِداغُ[2]

وقوله :

بنَفسـي كلامُـكَ إنِّـي نظـرْ ـــ تُ مِنهُ إلـى صـورَةِ الفـاتِنِ[3]

ومن أساليبه التي يعج بها ديوانه التصريع ، الذي يقول عنه ابن رشيق: ((إنه دليل قوة الطبع وكثرة المادة إلا انه إذا أكثر في القصيدة دل علي التكلف)) [4]

ومن أمثلة التصريع عند أبي الفتح [5]:

زيادَةُ المَرء في دُنياهُ نقصـانُ * وربْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ**[6]

أو قوله:

أشـكو إلـيكُمْ ذِلَّـةَ العَـزْلِ * يا صُـوَرَ الإحسـانِ والعَـدْلِ)**[1]

---

(١) ديوان البستي ص٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٢١ .

(٣) المصدر السابق ص٣٠٣ .

(٤) العمدة لابن رشيق ج١ ص ١٧٤ .

(٥) ديوان البستي ص١٨٦ .

(٦) المصدر السابق ص ١٨٦ .

أو قوله :

يا مَن غدا دينُهُ قَولاً بلا عَمَـلٍ * مَطَلْتَ والمَطْلُ عَينُ المَنعِ والبُخْلِ**(٢)

وكثيرا ما يأتي البستي قطعا كلها مصرعه ، من أول بيت إلي أخر بيت . ونمثل لذلك بقطعته التالية (٣):

يا قَـمراً فـي الفُـؤادِ حَـلاّ * دَمـي حَـرامٌ فكيـفَ حَـلاّ**

يا أحسـنَ النّـاس مِنـهُ دَلاّ * علـى تَلافـي هـواكَ دُلاّ**

ما أنصفَ الحُـبُّ حـينَ ولّـى * مـنَ الهـوى والِيـاً وولّـى**

دقَّـتْ معَانيـه حيـنَ جَـلاّ * مَـنْ لـوَ يشـأُ الهُمـومَ جَلّـى**

علَّـي سـيفَ الصُّـدودِ سَـلاّ * والقَلْـبُ مِنـهُ للوَصـلِ سَـلاّ**

فالقصيدة كلها مصرعة الأبيات ، ولم يؤثر التصريع في أداء المعاني بصورة طلقة . مما يدل علي ملكة لغوية وفنية ضخمة للبستي وله كثير غير ذلك نحو قوله :

إلـى حَتفـي سـعى قـدَمي * أرى قَـدمي أراقَ دَمـي**

فمـا أنفَـكُّ مـن نَـدَمٍ * ولـيسَ بنـافِعي نَـدَمي**(٤)

---

(١) المصدر السابق ص١٥١ .

(٢) ديوان البستي ص ٣٧ – ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص١٤٥ .

(٤) المصدر السابق ص١٦٤ .

والتصريع ما كان عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته[1]. وكلمتي عن التصريع هذه كان محلها في باب القوافي ، ولكن آثرت إيرادها في باب الأسلوب لأن التصريع سمة مميزة في أسلوبه .

التدوير : ويكثر في أبياته ويعد سمة من سمات شعره فالتدوير يكسب البيت نغما موسيقيا متصلا من أول البيت إلي آخره ، خاصة إذا كانت الأبيات من البحور المجزوءة. وأظنه كان يتعمد ذلك وأمثلته كثيرة في شعره منها قوله :

ظفَــرُ بــنُ عبــدِ اللهِ أكــــ ـــ ـــرَمُ من يُصــافِيهِ المُصــافي[2]

وقوله :

قد فَرَغْنا له من البَث والشَّكــ ـــ ــوى ومــا لِلكُؤوس فيهِ فَــراغُ

عندَ حُرٍّ له قلائدُ فــي الأعــ ـــ ــناقِ ومن جَوهرِ الأيادي تُصاغُ

بينَنا للبَخــورِ غَــيمٌ وللــما ـــ وَردِ طَــشٌّ وللغَــوالي رِداغُ[3]

ويكثر في شعره الاقتباس وقد ذكرت فصلا في حين حديثي عن الحكمة ومثلت له ، وسأكتفي في هذا المقام بهذا الشاهد يقول :

خُذِ العَفْوَ وأمُــرْ بعُــرْفٍ كمــا * أمِرْتَ وأَعرِضْ عــنِ الجــاهِلينْ**

ولِنْ فــي الكَــلامِ لِكُــلِّ الأنــامِ * فُمستَحْسَنٌ مِن ذَوي الجاهِ لِينْ**[4]

فالاقتباس من الآية الكريمة ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[5].

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق ج١ ص ١٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٠ .

(٣) ديوان البستي ص١٢١ .

(٤) المصدر السابق ص٣٠٧ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٩ .

المطلب الثاني

المعاني :

يقول الجاحظ ((والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي))(١) وكان لجريان أبي الفتح وراء الجناس ، أثر سالب في معانيه فقد أفرغ جهده في تتبع الجناس ، ولم يهتم كثيراً بالمعاني . وسبب أخر هو أن تعمد الجناس قد يلجيء الشاعر إلي غير ما أراد من معانٍ ، أو يحصرها . ولم يكن البستي صاحب توليد في المعاني ، شأن كثير من شعراء ذاك العصر ، ولعل سببا آخر جعله ينصرف عن البحث في توليد المعاني المبتكرة وانشغاله بالجناس وهو أن المعاني قد طرقها الشعراء قبله واستنفذوها، ألم تر أن الشاعر كعب بن زهير(٢) يقول :

مـــا أَرانـــا نَقـــولُ إِلاّ رَجيعـــاً * وَمُعاداً مِـــن قَولِنـــا مَكـــرورا(٣)**

أو قول عنترة بن شداد:

هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِـــن مُتَـــرَدَّمِ * أَم هَل عَرَفتَ الدارَ بَعدَ تَـــوَهُّمِ(٤)**

---

(١) الحيوان : الجاحظ ج ٣ ص٣١ .

(٢) كعب بن زهير (ت نحو٦٤٥ م) من الشعراء المخضرمين . أسلم أخوه بجير فلامه كعب وهجا الرسول (ﷺ)والإسلام فأهدر دمه ، فأرسل إليه أخوه أن يقبل على الرسول (ﷺ) معتذرا . ففعل وأنشد قصيدته اللامية ، فعفا عنه الرسول (ﷺ) وخلع عليه بردته . له ديوان شعر . وهو ابن الشاعر زهير بن أبي سلمى . المنجد في اللغة والأعلام ص ٤٦٤ .

(٣) ديوان كعب بن زهير : تقديم محمد يوسف نجم ، بيروت دار صادر ، ط١ ،١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م ، ص ٣١

(٤) ديوان عنترة بن شداد ص ١٥ .

كان هذا القول في عصر عنترة الجاهلي ، وكعب بن زهير المخضرم ، فكيف يكون الحال في القرن الهجري الرابع ، عليه فلم يجد البستي بدا من البحث عن فضيلة أخرى ، ينافح بها أمام طابور الشعراء ، ويميز نفسه بها ، فاختار الجناس والعناية بالألفاظ والزخرف .

وقد استعان أبو الفتح البستي في معانيه بثقافته الواسعة في العلوم الدينية واللغوية والأمثال والحكم ، وما عرفه من المعارف الفارسية واليونانية والهندية .

وقد كان البستي يؤمن بأن لا يتكلف الشاعر في الإتيان بالمعاني وإنما يأخذها عفوا ، وقد سجل رأيه هذا في شعره يقول(١):

إذا انقاد الكَلامُ فقُدْهُ عَفْواً * إلى ما تَشتَهِيهِ مِن المَعاني**

ولا تُكرِهْ بَيَانَكَ إنْ تأبَّى * فلا إكراهَ في دينِ البَيَانِ**

وهذا النهج هو ما نجده عند البحث عن معانيه ، فكل ميسر لما خلق له، فهو ما خلق للغوص في المعاني كابن الرومي وأبي تمام والمتنبي ، وإنما خلق للزخرف والبديع فقد نظر البستي إلى القران الكريم إلي الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾(٢)(٣) .

قال صاحب ثمار القلوب : ((فهي تضرب مثلا للمنتظر البطيء الحضور ، وتذكر مع ظهور مهدي الشيعة ونزول عيسى وطلوع الشمس من مغربها)) (٤)، وقد ذكرها أبو الفتح البستي في معنى آخر فقال وهو يذم بعض الحكام :

---

(١) ديوان البستي ص١٩٥ .

(٢) النمل آية ٨٢ .

(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر دار المعارف القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٥ ص ٥١١ .

صَـــحَ بالحـــاكِمِ مـــا أو ـــ عـــــدَهُ اللهُ يقـيـــــــنا

وقـــــعَ القـــــولُ علَينـــــا * إذ تَــــولَّى الحُكـــــمَ فينـــــا**[1]

جاء في صبح الأعشى : ((واعلم أن القلم أشرف آلات الكتابة ، وأعلاها رتبة ، إذ أنه هو المباشر للكتابة دون غيره . وغيره من آلات الكتابة كالأعوان ،وقد قال الله تعالي : ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[2] فأقسم به وذلك في غاية الشرف ولله در أبي الفتح البستي حين يقول:

إذا أقسَمَ الأبطالُ يَوماً بسـيفِهِمْ * وعدُّوهُ مِمّا يُكسِبُ المَجدَ والكَـرَمْ**

كفى قلَمَ الكُتّابِ عِـزّاً ورِفعَـةً * مدى الدَّهرِ أنَّ اللهَ أقسَمَ بالقَلَمْ))**[3]

ومن نظره إلى آي القران أيضا قوله[4]:

سقى اللهُ حُرّاً رعـى عهـدَنا * وأنصَـفَ مِـن جَـورِ أيامِنـا**

رأى الدَّهرَ يخطف مَـنْ حولَنـا * فـأسلَفَنا حَـرَماً آمِنـا**

فالبيت صياغة شعرية للآية الكريمة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾[5].

ومن أخذه من معاني الحديث ، الحديث القائل :((أن النبي صلى الله علية وسلم قال: السلطان ظل الله في أرضه))[6] وقال البستي[1]:

---

(١) ديوان البستي ص ٣٠٠ .

(٢) سورة القلم آية ١ .

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : للقشقلندي تحقيق عبد القادر زكار وزارة الثقافة دمشـق ج١ ص٢٧. والأبيات في الديوان ص٢٩٨.

(٤) ديوان البستي ص ٣٠١ .

(٥) العنكبوت آية ٦٧ .

(٦) حديث موضوع خرجه الأمام محمد ناصر الدين الألباني في السلسلة الضعيفة، مكتبة المعـارف، الرياض،ج١ ص٦٨٧ تحت الرقم ٤٧٥. وقد أورده البيهقي في شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد

يا قومُ أرعُوني أسماعَكُمْ * حتّـــى أُودي واجِـــبَ الفَـــرْضِ**

أشـــهَدُ حَقّـــا أنَّ ســــــلطانَكُمْ * لـــيسَ بظِـــلِّ اللهِ فـــي الأرضِ**

فقد أخذ المعنى وقلبه .

ومما أخذه من غيره من الشعراء قول أبي الفتح[٢]:

أبوكَ حوى العُلْيا وأنتَ مُبَـرِّزٌ * عَلَيهِ إذا نازَعْتَهُ قَصَـبَ المَجْـدِ**

ولِلخَمْرِ معنىً ليسَ في الكَرْمِ مثْلُهُ * وللنّارِ نُورٌ لـيسَ يوجَـدُ للزَّنْـدِ**

وخيرٌ منَ القَولِ المُقَدَّمِ فاعتَـرِفْ * نتيجَتُــهُ والنَّحْــلُ يُكْــرَمُ للشُّــهْدِ**

أخذه من المتنبي من بيته القائل :

وَإِن تَكُن تَغلِبُ الغَلباءُ عُنصُــرُها * فَإِنَّ في الخَمرِ مَعنىً لَيسَ في العِنَبِ**[٣]

وقال ابن طباطبا العلوي[٤]:

لا تُنكرَن اِهداءنا لَــكَ منــــطقا * مِنكَ اِستَفَدنا حُســنه وَنِظامــه**[٥]

فَاللَه عَزَّ وَجَل يَشكُر فِعلَ مَــن * يَتلــو عَلَيــهِ وَحيــــه وكَلامــه**

بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـــ، ج٦ ص ١٧ رقم ٧٣٧٢، فصل في فضل الإمام العادل، وما جاء في جور الولاة، باب القاربين والأمانة.

(١) ديوان البستي ص ٢٦٤ و ٢٦٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(٣) ديوان المتنبي . البرقوقي ج١ ص ٢٢٠ .

(٤) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الأديب . ولد فـــي أصبهان وتوفي فيها سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة . صنف في الأدب . له عيار الشـــعر . هديـــة العافين ج٢ ص ٣٣ .

(٥) ورد البيتان في محاضرات الأدباء: لأبي القاسم الأصفهاني تحقيق عمرالطباع دار القلم بيـــروت ١٩٩٩ ج ١ ص ١٢٠ .

فقال البستي[1]:

لا تُنكِرَنَّ إذا أَهدَيْتُ نحوكَ مِـن * علـومِكَ الغُرَّ أو آدابِـك النُّتَفـا**
فَقَيِّمُ الباغِ قـد يُهـدي لمالِكِـه * برَسمِ خِدمَتِهِ من باغِـهِ التُّحَفـا**

ومن أخذه من الأمثال قوله[2]:

أكُتابَ بُسْتٍ كَمْ تنـاحُرُكمْ علـى * وزارة بُسْتٍ وَهْيَ سُـخْنَةُ عَـيْنِ**
فخُفُّ حُنَيْنٍ فوقَ مـا تَطلبونَـهُ * فلِمْ بينَكمْ في ذاكَ حَـربُ حُنَـيْنِ**

وقد أخذه من المثل المشهور ((رجع بخفي حنين))[3]. وقد أحسن الجمع بين حرب حنين وخفي حنين .

وقد جاء في ثمار القلوب ما يلي : ((ليث الغاب يضرب مثلا للشجاع الذي يُهاب وهو في منزله وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه:

لا يعدمُ المَرءُ كِنّاً يَسـتكِنُّ بـهِ * ومَنْعَةً بيـنَ أهـليهِ وأصـحابِهْ**
ومنْ نأى عنهُمْ قَلَّـتْ مهابَتُـهُ * كاللَّيثِ يُحقَرُ لّما غابَ عَن غابِهْ))[4]**

وقد أخذ كذلك أبو الفتح من المثل القائل : (شؤم طويس) وضمن معناه في أبيات له جاء في ثمار القلوب: ((طويس من مخنثي المدينة ، وكان يسمي طاوس فلما تخنث سمي بطويس ويكنى بأبي عبد المنعم ، وهو أول من

---

(١) ديوان البستي ص ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٩ .

(٣) فصل المقال في شرح الأمثال : لأبي عبيدة البكري ص ٣٥٤ تحقيق د إحسان عباس ود عبد المجيد عابدين الطبعة ٣ سنة ١٩٨٣ مؤسسة الرسالة بيروت .

(٤) ثمار القلوب للثعالبي ج ١ ص ٣٨٢ . والأبيات في الديوان ص ٢٢٧.

غنى في الإسلام بالمدينة ، ونقر بالدف المربع ، وكان مأبونا خليعا ، يضحك كل حزين وثكلى ، وكان يقول: يا أهل المدينة ما دمت بين ظهرانيكم فتوقعوا خروج الدجال والدابة ، فإن مت فأنتم آمنون ، اعلموا أن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم ، وولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله (ﷺ) ، وفطمتني يوم مات أبو بكر ، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب ، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان ، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي ، وكان يضرب به المثل في التخنث والأبنة والشؤم .ومن أملح ما أحفظه في التمثيل بشؤمه قول أبي الفتح البستي في أبي علي بن سيمجور

ألــم تــرَ مــا أتاهُ أبــو عَلِــيَّ * وكنــتُ أراهُ ذا عَـــقلٍ وكَــيْسِ**

عصى السُّلطانَ فابتــدرَتْ إليــهِ * رِجــالٌ يــقلَعــونَ أبــا قُبَــيْسِ**

وَصيَّرَ طُوسَ معقِلَــهُ فأضــحَتْ * عليهِ طُوسُ أشأَمَ مِن طُوَيْسِ))**[1]

وقد استعان أبو الفتح هنا بهذا المثل المعروف أشأم من طويس في توضيح معانيه .

وأخذ أبو الفتح كذلك من المثل القائل ((مقتل الرجل بين فكيه))[2] جاء في مجمع الأمثال ((أن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي[3] في وصية لبنيه ، وكان جمعهم فقال : تباروا فإن البر يبقي عليه العدد ، وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه ، إن قول الحق لم يدع لي صديقا ، الصدق منجاة ، لا ينفع التوقي بمما هو واقع ، في طلب المعالي يكون العناء . الاقتصاد في السعي أبقى للجمام .

---

(١) ثمار القلوب ج١ ص ١٤٦ . والأبيات في ديوان البستي ص ١٠٦ .

(٢) مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص٢٦٥

(٣) أكثم بن صيفي : توفى ٦٣٨م تميمي من المعمرين، أحد حكماء العرب في الجاهلية. المنجد، ص٥٩.

من لم يأس على ما فاته ودع بدنه . ومن قنع بما هو فيه قرت عينه. التقدم قبل التندم... ولله در أبي الفتح حين يقول في هذا المثل :

تكلَّمْ وسدَّدْ ما استطعْتَ فإنَّما * كلامُكَ حَيٌّ والسُّكوتُ جَمادُ**

وإن لم تجِدْ قولاً سديداً تقولُهُ * فصمْتُكَ مِن غِيرِ السَّدادِ سَدادُ))[١]**

واحتذاه القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الهروي[٢] فقال:

إذا كنتَ ذا عِلْمٍ ومارك جاهلٌ * فأعرضْ ففي تَرْكُ الجوابِ جوابُ**

فانْ لَمْ تُصِبْ في القولِ فاسكتْ فإنما * سُكوتُك عنْ غيرِ الصوابِ صوابُ[٣]**

وأخذ من المثل القائل ((كدودة القز))[٤] وهو يضرب لمن يتعب نفسه من أجل غيره قال أبو الفتح[٥]:

---

(١) مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص٢٦٥، والأبيات في الديوان، ص١٧٠.

(٢) القاضي أبو أحمد منصور بن محمد الأزدي الهروي . من أفاضل خراسان ، وأطبعهم بالاتفاق، له نظم ونثر وديوان شعره يبلغ أربعين ألف بيت، ورسائله ألذ في الأسماع وقد أوتي القاضي أبو محمد، رحمه الله حظاً وافراً من حياته، وبلغ أرذل العمر من وفاته، . وكان مغرىً بالشراب والإطراب، خمرياته مما يحكم له فيها بالفضل على الحكمي، وغزلياته جيدة . دمية القصر وعصرة أهل العصر : للباخرزي . تحقيق د. التونجي حلب ١٩٩٣ ص٦٣٨، ٦٤٣ بتصرف .

(٣) مجمع الأمثال ج٢ ص ٢٦٥،٢٦٦ .

(٤) دود القز ويقال لها الهندية ومن عجيب أمرها أنها تكون أولا مثل بذر التين ثم تصير دودا وذلك في أوائل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدره ولونه ويخرج في الأماكن الدافئة إذا كان مصرورا في حقر وعندما تأخر خروجه فتجعله النساء تحت ثديهن بصرته فيخرج وغذاؤه ورق التوت الأبيض قال ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر إصبع وينتقل السواد إلي البياض وكل ذلك في مدة ستين يوما قال ثم يأخذ في النسج بما يخرجه من فيه إلي أن ينفذ ما في جوفه ثم يخرج شيئا كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهج إلي السفاد ويلصق الذكر مؤخره إلي مؤخر الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان قال ويكون قد فرش لها خرقة بيضاء فينشران البذر عليها ثم يموتان هذا إذا أريد منهما البذر وان أريد الحرير تركا في الشمس بعد فراقهما من النسج فيموت وهو سريع العطب حتى انه ليخشى عليه من صوت الرعد والعطاس ومس المرأة الحائض والرجل الجنب ورائحة الدخان والحر الشديد والبرد الشديد. المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين الأبشيهي. تحقيق مفيد محمد قميحة دارالكتب العلمية بيروت طبعة ٢ ج٢ ص٢٤٣.

(٥) ديوان البستي ص ٢٣٣ .

ألم تَر أنَّ المَرءَ طـولَ حَياتِـهِ * مُعَنّىً بأَمـرٍ لا يَزالُ يـعالِـجُـهْ**
يدورُ كَدودِ القَزِّ ينسـجُ دائمـاً * ويهلِكُ غَمّاً وسْطَ ما هُوَ ناسِـجُهْ**

ومما أخذه من المثل القائل ((المزح في الكلام كالملح في الطعام))[1] قوله[2]:

أفدْ طبعَكَ المكدودَ بالجدِّ راحَـةً * يَجُمُّ وَعَلِّلهُ بِشَيءٍ مـن الـمَزحِ**
ولكِنْ إذا أعطيْته المَزحَ فلْـيكُنْ * بِمقدارِ ما تُعطي الطَّعامَ مِنَ المِلحِ**

وقال[3]:

بـينَ مَـن يُعطـي ومـن يـأ * خـذُ فـي التَّقـديرِ عَـرْضُ**
فيَـدُ المُعطـي سـمـاءٌ * ويـدُ الآخـذ أرْضُ**
وعلـى الآخـذِ أن يشـ ـــ ـكُرَ إنَّ الشُّكرَ فـرْضُ
وأخـسُّ الـوِردِ مـا يُكْـ ـــ ـرَعُ فيـهِ وهـو بَـرْضُ

فالمعنى الأول مأخوذ من قوله(ﷺ)((اليد العليا خير من اليد السفلي))[4] ، لكن أبا الفتح أضاف في بيته الأخير معنى جديدا ، يحث فيه على عدم الإلحاح على مصدر الخير أو البر إذا كان قليلا .

وقال أبو الفتح[5]:

---

(١) ورد هذا المثل عن لأبي عثمان الصابوني قال(سمعت البستي يقول المزح في الكلام كالملح في الطعام) فالمثل وضعه البستي نفسه . تأريخ دمشق ج ٤٣ ص ١٦٣ .
(٢) ديوان البستي ص ٥٩ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٥ .
(٤) صحيح أخرجه البخاري تحت الرقم ١٣٦١ باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى . كتاب الزكاة . .
(٥) ديوان البستي ١٥٤ .

تَعِسَ الزمانُ فإنَّ فــي إحســانهِ *** بغضاً لكـــلِ مُـــقَدَّمٍ وٌمفَضَّـلِ
وَتَراهُ يَعشَقُ كُـلَّ نَـذْلٍ سـاقِطٍ *** عِشْـقَ النتيجَـةِ للأَخَـسِّ الأرذَلِ

ولأبي تمام بيتٌ في نفس المعني يقول فيه:

إنَّ رَيبَ الزَمانِ يُحسِنُ أَن يُهــ ـــــ ــدي الرَزايا إِلى ذَوي الأَحســابِ
فَلِهَذا يَجِفُّ بَعـــدَ اِخضِـــرارٍ *** قَبلَ رَوضِ الوِهادِ رَوضُ الرَوابي[١]

فأبو الفتح استعمل للتدليل علي معناه قياسا ما تزال فيه صورة المنطق وألفاظه ، أما أبو تمام فقد حوله إلى قياس فني فيه الكثير من جمال التصوير وإبداعه وطرافته ، وتناول البستي لمعانيه تناولٌ سطحيٌ ليس فيه إعمال للخيال بالدرجة الكافية لأنها لم تزد عن إدراك العلاقة بين معنى وبين ما يقابله من حقائق العلوم وقضاياها ثم الربط بينها ، وقد كان لأبي الفتح ثقافة واسعة فكان يريد استظهارها بكثرة أخذه من الأمثال والاقتباس ، ولكنها علي المستوي الأدبي تبدو ساذجة الأخذ ولكن رغم ذلك فله معاني لطيفه ورائعة أجدها هنا وهناك نحو قوله في طلب العفو[٢]:

قُـل للأمـيرِ أدامَ ربِّي عِـــزَّهُ *** وأنالَهُ مــن فَضلِـهِ مكـنـــونَهُ
إنّي جَنَيتُ ولم يزل أهلُ الــورى *** يهبون للخـدّام مــا يجـنونَـــهُ
ولقد جمعت من الذنــوبِ فنونَها *** فاجمع من العفوِ الجميلِ فـــنونَهُ
مَن كانَ يرجو عَفوَ مَن هو فوقَهُ *** عن ذنبِهِ فـليعـفُ عـمّن دونَهُ

---

(١) شرح ديوان أبي تمام ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) ديوان البستي ص ٣٠٣.

والمعني رائع جميل .

وله في التنبيه علي أن النفوس قد تعتل وتمرض كما تمرض الأجسام بل هي أولى بالرعاية وصاحبها أولى بالعيادة من مريض الجسم يقول[(١)]:

أرى النّاسَ قد سَنُّوا عِيادَةَ كُلِّ مَــنْ * بــهِ مــرضٌ والجِسمُ يؤذَى ويُكْلَــمُ**

وقد عطَّلوا مرضى النُّفوسِ وأغفَلُوا * حقوقَهُمْ والحَــقُّ أولى وألــــزَمُ**

ولو أنصَفُوا عادُوهُم وتَرحمَّــوا * علَيهِمْ فإنَّ النَّفسَ أعــلى وأكْــرَمُ**

وحينما بلغ الخمسين فإنه يسجل إحساسا عميقا يطوف بنفس الإنسان ويملؤها بالقلق لتقدمه في السن وسيره إلى الشيخوخة ويقول :

خَمســـينَ عامـــاً كنــتُ أمَّلْتُهـــا * كانـــت أمـــامي ثـــمَّ خلَّفتُهـــا[(٢)]**

كنـــزُ حيـــاةٍ لـــي أنفقْتُـــهُ * علـــى تصـــاريفَ تصـــرَّفْتُها**

لو كانَ عمــري مائــةً هــدَّني * تَـــذَكُّري أنِّـــي تَنَصَّـــفْتُها**

وهي معانٍ شريفة ورائعة ، لم يكن أول من طرقها ، ولكنه جهد في الغوص فيها ، و مع كل ذلك فإنها قليلة في شعره ، الذي صب غالبه في قوالب المعاني السهلة المتداولة ، أو إلى استعمال حقائق العلوم ومصطلحاتها ، وإلى تحقيق الجناس والظفر به .

وقد جاء في طبقات الحنفية أنه لما بلغ الإمام الحكيم عثمان بن عبد الرحيم الكشي[(٣)] قول أبي الفتح[(١)]:

---

(١) ديوان البستي ص ١٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .

(٣) لم أقف له على ترجمة .

خُذوا بدَمي هــذا الغُــلامَ فإنَّـــهُ * رَماني بسهْمَيْ مُقلَتَيْهِ على عَمْــدِ**

ولا تَقتُلوهُ إنَّنـــي أنـــا عَبــــدُهُ * ولـــم أرَ حُرَّاً قط يُقتَــلُ بالـــعَبْــدِ**

أنشد في نقيضها :

خُذوا بدمي مَنْ رام قتلي بلحظه * ولَمْ يَخْشَ بَطْشَ اللهِ في قاتلِ العمــدِ**

وقودوا به جَهْراً وإنْ كنتُ عَبْده * لِيعْلَمَ أنَّ الحــرَ يُقْتَــلُ بالعبــدِ[٢]**

وهذا مما أخذ من معانيه .

المطلب الثالث: الخيال:

الخيال هو محور الأدوات الفنية التي تخلق الصورة ويصبغ الصورة الفنية بتلك الروح المتافيزقية الأسطورية الخرافية فتبعث في النفس الحنين والشوق القديم والإنفعال ويجد الشاعر فيه ملاذا من ضنك الحياة.

ويقول أحمد إبراهيم أبو زيد: ((والصورة تعبر عن تجربة الشاعر الفنية التي يرمز بها للواقع كما يتخيله ، وقد لا تسعفه الألفاظ في اللغة العادية فيري نفسه مدفوعا بثورة خياله إلي تشكيل علاقات لغوية خاصة ، ولفها بخياله المبدع يعبر عن رؤية خاصة به))[٣].

والخيال شركة بين الشعراء جميعا ، للدلالة علي المقدرة والتفنن في إبراز أفكارهم في صور مشرقة ممتعة ، وقد لجأ إليه أبو الفتح كما لجأ إليه غيره ، ولكن إعمال أبي الفتح لخياله كان له ألزم ، ذلك لقلة ألفاظه ، وقصر

---

(١) ديوان البستي ص ٦٣ .

(٢) انظر طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي ج٢١ ص٢٠٦ نشر مير محمد كتب خان.

(٣) الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ص٢٤١ .

مقطوعاته ، فكثرت تشبيهاته واستعاراته ، وهذه التشبيهات والاستعارات هي مادة الخيال وأداته ، فلا تكاد تخلو قطعة من تشبيه أو استعارة أو كناية .

وقد أكثر أبو الفتح من وصف الكتب التي كانت ترد إليه من أصدقائه ووصف معانيها وألفاظها وأكثر فيها من التشبيهات يقول(١):

كتابُكَ سَـيِّدي جَلَّـي هُمـومي * وجَلَّ بهِ اغتِبـاطي وابتِهاجـي**

كِتـابٌ فـي سـرائرهِ سُـرورٌ * مُناجِيهِ مِنَ الأحـزانِ نـاجـي**

فكْم معنـىً بـديعٍ تْحـتَ لَفـظٍ * هُنـاكَ تـزاوَجَا أيَّ ازدِواجِ**

كَراحٍ في زُجـاجٍ بـل كَـرُوحٍ * سَرتْ في جسمِ مُعتـدلِ المِـزاجِ**

فقد أعمل خياله في هذه الأبيات حينما يصف امتزاج الألفاظ بالمعاني كامتزاج الراح في جسم إنسان معتدل المزاج . أو قوله(٢):

كتابُ مولايَ قدْ أربى على أمَلي * وصارَ في كُلِّ نـادٍ قِبلَـةَ القُبَـلِ**

قد قلْتُ لّما تراءّت لي محاسِـنُهُ * وبرَّدَتْ بغوادي صَـوبِها غُلَلـي**

أمّا المَعانـي فأجسـامٌ مُنَعَّمَـةٌ * واللَّفظُ أوشِحَهُ الـدِّيباجِ والحُلَـلِ**

أو قوله:

لّما أتاني كِتابٌ مِنـكَ مُبتَسـمٌ * عن كُلِّ برّ وفَضلٍ غَيرِ مَحدودِ(٣)**

حكَتْ معانِيهِ في أثناءِ أسـطُرِهِ * آثارَكَ البِيضَ في أحوالِيَ السُّـودِ**

---

(١) ديوان البستي ص ٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤١ و٢٤٢ .

انظر كيف حلق خياله ، ليلتقط وجه الشبه بين بياض المعاني في سواد الحروف ، وبياض آثار الممدوح في سواد حال المادح . وهذا تشبيه أتى من خيال خصب .

وله من تشبيهاته الطريفة التي اجتلبها خيال محلق قوله[١]:

كأنَّني فَرَسُ الشطرنجِ ليسَ لــهُ * في ظِلِّ رابِطــهِ مــاءٌ ولا عَلَــفُ**

أو قوله[٢]:

معاشِرَ النّاس أصْغُوا قد نصحْتُ لكُمْ * في الّراحِ حُكمٌ مَلــيحٌ غيــرُ مَمقــوتِ**

قَليلُها مُســتباحٌ والكثيــرُ حِمــىً * كــغَرْفَــةٍ فَرْدَةٍ من نَهرِ طــالُوتِ**

فهو من القائلين بان قليل الخمر مباح ، وقد استطاع بخياله أن يعزز رأيه هذا بهذا التشبيه المجتلب لتعزيز الحكم ، وهو تشبيه مأخوذ معناه من القران، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[٣]. ولكن للحقيقة رغم مخالفتي له في هذا الرأي ، أقف مستعجباً من هذا الخيال الذي أتى بهذا التشبيه البعيد وجعله جنبا إلى حكمه ليؤازره ويقويه . وله[٤]:

---

(١) ديوان البستي ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٤٩ .

(٤) ديوان البستي ص ٢٥٣ .

أيُّ عُذْرٍ أنْ صامَ عنه ثنائـــــي *** وأنا الدَّهرُ مِنهُ فـــي يَــومِ فِطْــرِ
وأتمُّ الأشياءِ نُــوراً وحُسْنــــاً *** بِكْرُ شُكُرٍ زُفَّتْ إلــى صِــهرِ بِــرِّ
ما قِرانُ السَّعْدَيْنِ أبهى وأعلــى *** مَنــظَراً مِن قِــرانِ بِــرٍّ وشُــكْرِ

فقد أدى خياله استعارية جميلة . وله[1]:

وسائلُ النَّاسِ شَتّى عِندَ سادَتِهِمْ *** ولـــي وســائلُ آدابـــي وآمــالي
فاسحَبْ ببِرِّكَ أذيالاً عــلى أملي *** أسحَبْ بشُكرِكَ ما عُمِّرْتُ أذيــالي

وله [2]:

وإنِّي لأختَصُّ بعــضَ الرِّجــالِ *** وإنْ كــانَ فَــدْماً ثقــيلاً عَبامــا
فإنَّ الجُــبُــنَّ علـــى أنَّـــهُ *** وخــيمٌ ثقيــلٌ يُشَــهِّي الطَّعامــا

وله كذلك[3]:

ولّما رأيْتُ النَّــاسَ إلا أقلَّهُـــمْ *** وأطيَبُ ما مَجُّوا منَ الشُّكْرِ أخبَثُ
نشَرْتُ ثناءً عَطَّرَ الأُفْــقَ طِيبُــهُ *** كــذاكَ ثنــاءُ الحُــرِّ نَــدٌّ مَثَلَّــثُ
وألَّفتُ ألحاناً لشُكرِكَ لم يُصِــبْ *** تَناسُبَها زِيــرٌ ومَثْنـــى ومَثْلَــــثُ

وقد أظهر خياله هنا الصور من الاستعارات والتشبيهات بصورة ممتازة.

---

(١) ديوان البستي ص ١٥٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٩٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٣١ و٢٣٢ .

المطلب الرابع:الموسيقي:

يعتبر إبراهيم أنيس أن الموسيقي هي الجرس اللفظي مع وجود انسجام في توالي المقاطع [١].

ويقول شوقي ضيف: ((فلا يوجد شعر بدون موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم ، ومن قديم يتغنى الشعراء بأشعارهم وكأنهم يريدون أن يستكملوا بالغناء نقص التعبير الموسيقي في أشعارهم بما يضيفون إليه من ذبذبات التغني ورناته المنتظمة ، وهو إحساس دقيق بأن الموسيقى لب الشعر وعماده الذي لا تقوم له قائمة بدونه)) [٢]

ولدور الموسيقي الأساسي في صناعة الشعر ؛ قرن دكتور إبراهيم أنيس الشعر بالموسيقي يقول : ((الشعر ليس إلا كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب)) [٣].

والصورة الفنية في شعر أبي الفتح البستي كما في غيره تقوم علي قسمين من الموسيقي . الموسيقي الخارجية ونعني بها الأوزان والقوافي ، وموسيقي داخلية وهذا حال كل الشعر .

أولا الموسيقي الخارجية:الوزن :

الشعر هو الكلام الموزون المقفى كما هو معروف يقول محمد بن طباطبا : ((الشعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه ، ويرد عليه من حسب تركيبه واعتدال أجزائه)) [٤].

---

(١) انظر موسيقي الشعر : إبراهيم أنيس مكتبة الانجلو المصرية الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ص ٨ــ٩

(٢) فصول في الشعر ونقده : شوقي ضيف طبعة الثانية – القاهرة دار المعارف – ص ٣٢٠.

(٣) موسيقي الشعر : إبراهيم أنيس ص ٧.

(٤) عيار الشعر : محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبد الستار ، مراجعة نعيم زرزور، بيروت دار الكتب العلمية– طبعة ١– ١٩٨٢. هو محمد بن طباطبا العلوي نسبا . متكلم . مــن فضـــلاء الشيعة . الأعلام لخير الدين الزر كلي . ج٩ . ص٢٠٣.

فلما كانت مقادير الأبيات المقفاة متساوية أيضا في عدد الحركات والسكنات في أزمنة متساوية تولدت موسيقى من خلال هذا التساوي المنتظم فالوزن إذاً يكسب الشعر موسيقى ، والموسيقى بدورها تعني اللحن ، والشعر بطبيعته قابل للتلحين . فإذا لحن الشعر صار غناءً إذاً الغناء شعر محلن[١].

يقول محمد غنيمي هلال : ((إن الإيقاعات تشكل فيما بينها وحدة يتألف منها البيت هذا ما يعرف بالوزن)) [٢].

والأوزان يتشكل منها البحور ، والبحر الشعري هو اللون الخاص الذي يقع عليه ، فيبني الشاعر موسيقي قصيدته علي إيقاعاته .

وقد كتب أبو الفتح البستي على اثني عشر بحرا وهي على حسب الترتيب من حيث كثرة الورود :

---

(١) انظر نقد الشعر في القرن الرابع الهجري : قاسم مامون ص١٩٥ .

(٢) النقد الأدبي الحديث – محمد غنيمي هلال ص ٤٩٩.

مسلسل	البحر	عدد المقطوعات والقصائد
١	الطويل	١٢٨
٢	البسيط	١٢٢
٣	الكامل	١١٨
٤	المتقارب	٧٠
٥	الوافر	٦٦
٦	الخفيف	٥٩
٧	السريع	٥٦
٨	الرجز	١٨
٩	الرمل	١٦
١٠	المنسرح	١٢
١١	الهزج	٧
١٢	المجتث	٤

بناء على ما تقدم يمكن أن نقول : إن بحر الطويل هو أكثر البحور التي نسج عليها البستي قصائده ومقطوعاته ، ويليه البسيط ثم الكامل ، وأقل بحر قال فيه هو بحر المجتث . والبحور التي نسج عليها اثنا عشر بحرا . وفيما يلي كلمة عن أهم البحور التي قال فيها حسب الترتيب في الجدول الظاهر عاليه :

أولاً بحر الطويل :

يقول إبراهيم أنيس : ((ليس بين بحور الشعر ما يضارع بحر الطويل في نسبة شيوعه ، فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا اللون)) [١].

وأجزاء الطويل ثمانية :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن * فعولن مفاعيلن فعولن مفـــاعيلن**

وللطويل عروضة واحدة مقبوضة مفاعلن ولها ثلاثة أضرب :

١. تام مفاعيلن .
٢. مقبوض مفاعلن .
٣. محذوف مفاعي فينقل إلى فعولن[٢].

وقد كان أغلب شعر أبي الفتح في هذا البحر .

ومما جاء في شعره علي بحر الطويل[٣]:

فديتُكَ يا روحَ المكـــارمِ كُلِّهـــا * بأنفَسِ ما عندي من الرُّوح والنَّفسِ**

وقد سمي بحر الطويل بالطويل لمعنيين ، أحدهما أنه أطول الشعر ، لأنه ليس في الشعر ما يبلغ عدد حروفه ثمانية وأربعين حرفا غيره ، والثاني

---

(١) موسيقي الشعر – الدكتور إبراهيم أنيس– ص٥٩.

(٢) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب – السيد أحمد الهاشمي – ١٩٧٩– ص٢٩.

(٣) ديوان البستي ص ١٠٥.

أن الطويل يقع في أوائل أبياته الأوتاد والأسباب بعد ذلك ، والوتد أطول من السبب فسمي بذلك طويلاً[١].

ومما يدلك علي سعة الطويل أنه تقبل من الشعر ضروبا عدة كاد ينفرد بها عن البسيط ، مثال ذلك أن الشعراء الغزليين على عهد بني أمية أكثروا من النظم فيه علي أنهم نظموا أقل جداً من البسيط . وقد أخذ الطويل من حلاوة الوافر دون انبتاره ومن رقة الرمل دون لينه المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبة الكامل وكزازة الرجز[٢]

بحر البسيط :

أجزاء البسيط ثمانية :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن * مستفعلن فاعلن مستفعلن فـــاعلن**

وله ثلاث أعاريض وستة أضرب :

العروضة الأولي تامة مخبونة فعلن ولها ضربان :

مخبون مثلها فعِلن ومقطوع فعْلن بشرط أن يدخله الردف أي حرف لين قبل رويه .

العروضة الثانية مجزوءة صحيحة مستفعلن ولها ثلاثة اضرب :

مزيل مستفعلان – وصحيح مثل العروض مستفعلن . ومقطوع – مفعولن .

العروضة الثالثة : مجزوءة مقطوعة . مفعولن . ولها ضرب واحد مثلها – مفعولن[٣].

---

(١) انظر الكافي في العروض والقوافي : للخطيب التبريزي (وهو أبو زكريا يحي بـــن علـــي بـــن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ت ٥٠٢ هــ) تحقيق الحساني حسن عبد الله مطبعة المدني –١٩٨٦م، ص ٢٢.

(٢) انظر المرشد إلي فهم أشعار العرب – عبد الله الطيب – ص ٤٤٣.

(٣) انظر المرشد إلي فهم أشعار العرب ص٣٩.

وعلي هذا البحر جاءت نونية أبي الفتح أطول قصائده وأشهرها :

زيادَةُ المَرء في دُنياهُ نقصـــانُ * وربْحُهُ غَيرَ محض الخَير خُسرانُ[1]**

ويقول عبد الله الطيب عن بحري الطويل والبسيط ((هما أطول بحور الشعر العربي وأعظمهما أبهة وجلالة ، و إليهما يعمد أصحاب الرصانة . و فيهما يفتضح أهل الركاكة والهجنة . وهما في الأوزان العربية بمنزلة السداسي عند الإغريق ، والمرسل التام عند الإنجليز . والطويل أفضلهما وأجلهما وهو أرحب صدرا من البسيط وأطلق عنانا ، وألطف نغما . ذلك بأن أصله متقاربي ، وأصل البسيط رجزي ، ولا يكاد وزن رجزي يخلو من الجلبة مهما صفى))[2]. وكلام عبد الله الطيب هذا في بحري الطويل والبسيط يأتي حجة علي قوة شاعرية أبي الفتح البستي فهو من أهل الرصانة وهما أكثر البحور التي نسج شعره فيها.

بحر الكامل :

وهو البحر الثالث من حيث عدد القصائد الذي نظم عليه البستي .
والعروضيون يلحقون الكامل في دائرة الوافر ، ولكن .عبد الله الطيب يري أن الرجز والكامل حق لهما أن يذكرا معاً[3].
وأجزاء الكامل ستة وهي :

متفـــاعلن متفـــاعلن متفـــاعلن * متفــــاعلن متفــــاعلن متفــــاعلن**

---

(١) ديوان البستي – ص١٨٦.

(٢) انظر المرشد إلي فهم أشعار العرب ج١ – ص٤٤٣– ط٤.

(٣) المرجع السابق – ص٢٧٩ بتصرف .

وأعاريض الكامل ثلاث وأضربه تسعة :

١/ العروضة الأولي صحيحة مُتفَاعلنْ ولها ثلاثة أضرب الأول صحيح مُتفَاعلنْ والثاني مقطوع مُتفاعلْ وأحد مضمر فِعْلُنْ عوض مِتْفَا .

٢/ العروضة الثانية حذَّاء فَعِلُنْ منقولة عن مُتْفَا ولها ضربان أحذ مثلها فَعِلُنْ وأحذ مضمر فِعْلُن .

٣/ مجزوءة صحيحة مُتفاعلنْ ولها أربعة أضرب مرفل مُتفاعلاتنْ ومزيل مُتفاعلانْ وتام متفاعلن ومقطوع فعِلاتنْ(١).

ومن أمثلته عند البستي :

يامَن يشافِهُهُ النَّصيحُ بنُصــحِهِ * لِمْ أنتْ مُتَّبِــعٌ لنُصــحِ مُشــافِه**(٢)

((وبحر الكامل أكثر البحور جلبة وحركة، وفيه لون خاص من الموسيقي يجعله إن أريد به الجد فخما جليلا مع عنصر ترنم ظاهر ، ويجعله إن أريد به الغزل وما بمجراه من أبواب اللين والرقة حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس ، ونوع من الأبهة يمنعه من أن يكون نزقا أو خفيفا شهوانيا ، وهو بحر كأنما خلق للتغني المحض سواء أن أريد به جد أم هزل))(٣).

بحر المتقارب :

أجزاؤه ثمانية وهي :

فعولن فعولن فعــولن فعــولن * فعولن فعــولن فعــولن فعــولن**

---

(١) ميزان الذهب – ص٥٣.

(٢) ديوان البستي – ص١٢٧.

(٣) المرشد . عبد الله الطيب – ج ١ ص ٣٠٣.

وللمتقارب عروضتان الأولي صحيحة فعولن ولها أربعة أضرب صحيح مثلها فعولن ومقصور فعول ومحذوف فعل عوض فعو وأبتر فع[١].
ومما جاء من شعر البستي في هذا الوزن :

رغيفُكَ في الأمْـنِ يـا سـيِّدي * يحـلُّ محـلَّ حَمـامِ الحَـرَمْ[٢]**

يقول عبد الله الطيب: ((والعروضيون يعدون هذا البحر دائرة ، هي الدائرة الخامسة ، وقبل أن يستدرك الأخفش[٣] على الخليل بحر المتدارك ، لم يكونوا يرون للمتقارب نسيبا بين جميع البحور))[٤]. ويمضي عبد الله الطيب قائلاً: ((وأقل ما يقال عنه إنه بحر بسيط النغم مطرد التفاعيل ، منساب ، طبلي الموسيقي ، ويصلح لكل ما فيه تعداد للصفات ، وتلذذ بجرس الألفاظ ، وسرد للأحداث في نسق مستمر . والناظم فيه لا يستطيع أن يتغافل عن دندنته، ولذلك فتجويد الصناعة فيه أمر مهم جدا . وكثير من الشعراء الفحول يتحامونه لأنه يتطلب اندفاعا وراء النغم، كما يندفع التيار في غير ما توقف . وعز أن تجد منه عند النابغة أو زهير أو أبي تمام أو الأخطل[٥]. والبحتري يقل منه))[٦]. ولعل هذا السبب هو الذي حدا بأبي الفتح أن يجعل هذا البحر في

---

(١) ميزان الذهب ص ٩٠ – ٩١

(٢) ديوان البستي – ص٢٩٨.

(٣) الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري أبو الحسن. نحوي عالم باللغة والأدب من أهل بلخ سكن البصرة وأخذ العربية من سيبويه وصنف كتبا وزاد في العروض بحر الخبب . الأعلام للزركلي ج٣ ص ١٠١ .

(٤) المرشد – ج ١ ص٧٨-٧٩.

(٥) هو غياث بن غوث بن الصلت بن سيحان بن عمو بن السيحان الشاعر النصراني أحد أعظم ثلاث شعراء مقدمين في دولة بني أمية . الأنساب ج٣ ص٣٥٥ .

(٦) انظر المرشد – عبد الله الطيب – ج ١ص٣٨٣.

المرتبة الرابعة من بحوره ولكنه غير متأخر جداً فدونه ثمانية أبحر نظم عليها أبو الفتح مما يؤكد قدرته وتمكنه في صناعته وهذا يحسب له .

بحر الوافر :

ويأتي عند البستي البحر الخامس من حيث المقطوعات والقصائد التي نسجها على وزنه . ((وهو بحر مسرع النغمات متلاحقها ، مع وقفة قوية سرعان ما يتبعها إسراع وتلاحق ، وهذا يتطلب من الشاعر أن يأتي بمعانيه دفعا دفعا كأنه يخرجها من مضخة ، لا في انثيال كما يفعل صاحب المتقارب، ولا في رشاقة كما يفعل صاحب الكامل . ولهذا فإنك أكثر ما تجد الوافر في نظم الشعراء ذا أساليب تغلب عليها الخطابة ، لا فرق في ذلك بين رقاق الوافرات وفخامتها ، والخطابة في الوافر جلي فيها عنصر التكرار والمزاوجة والمطابقة وحملها الصدر علي العجز والإضراب عن الشيء إلي سواه، وعرض جوانب مختلفة من الجانب الواحد يتبع بعضها بعضا))(١).
وأجزاء الوافر ستة هي :

مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن * مفـــاعلتن مفـــاعلتن مفـــاعلتن**

ولكنه لم ير صحيحا أبدا بل لابد من قطف عروضه فتصير مفاعلتن مفاعل وتحول إلى فعولن وللوافر عروضتان وثلاثة أضرب :
العروضة الأولي: مقطوفة مُفاعل فيعوض عنها فعولن وضربها مثلها فعولن .
العروضة الثانية: مجزوءة صحيحة مفاعلتن ولها ضربان ضرب مثلها مجزوء مفاعلتن وضرب معصوب مفاعيلن(٢).

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب – ص٤٠٧.
(٢) انظر ميزان الذهب – ص٤٦

ومما ورد في شعر البستي في هذا البحر قوله :

مِثالُ المـــالِ إذ يَربــو ويَزكــو * ويُحــرَمُ خيــرَهُ مَــنْ يَقتنيــهِ**[1]

بحر الخفيف :

أجزاؤه ستة وهي :

فاعلاتن مستفع لــن فـــاعلاتن * فاعلاتن مســتفع لــن فـــاعلاتن**

وله عروضتان مشهورتان وثلاثة أضرب :

١/ العروض الأولى صحيحة فاعلاتن ولها ضربان الأول: مثلها والثاني: محذوف فاعلن .

٢/ العروض الثانية محذوفة فاعلن ولها ضرب مثلها فاعلن[2] .

ومما ورد من شعر أبي الفتح علي هذا البحر قوله[3]:

قلـــتُ للسّـــائلينَ لّمـــا رأونـــي * خَطِلَ الخطْوِ في اختلافـــي إليـــهِ**

((والخفيف يجنح صوب الفخامة . وهذا النعت ينطبق عليه إذا قسناه إلي جانب السريع والأحذ والمنسرح . والسر في فخامته بالنسبة للبحور التي ذكرناها أنه واضح النغم والتفعيلات ، فلا يقرب من الأسجاع قرب السريع ، وأنه ذو دندنة ... فإذا وقع الحوار فيه جاء كأنه مسرحي ، وفيه صلابة تمنعه

---

(١) ديوان البستي – ص٢١٣.

(٢) انظر ميزان الذهب – ص٨٠.

(٣) ديوان البستي ص ٢٠٩ .

من أن يلين إلى المنسرح ... لرسوخ الخفيف في الحضارة ، وقدمه فيها وكثرة ما نظم الجاهليون المشارقة فيه صار من بحور الشعر المقدمات عند إسلاميي الحجاز))[١].

بحر السريع:

أجزاؤه ستة وهي :

مستفعلن مستفعلن مفعولات * مستفعلن مستفعلن مفعولات**

وله عروضتان مشهورتان وخمسة أضرب :

العروضة الأولي: مكسوفة مطوية فاعلن عوض مفعولا ولها ثلاثة أضرب موقوف مطوي فعِلان عوض مفعَلات ومكسوفة مطوبة مثل العروض فاعلن وهذان الضربان هما المشهوران . وأصلم فعلن عوض مفعو .

العروضة الثانية مكسوفة مخبولة فعِلن عوض معلا ولها ضربان الأول كالعروض فعلن والثاني أصلم فعلن .

ومما جاء علي هذا الوزن في شعر البستي قوله:

إنَّ الّذي مرَّ بِنا مُسرِعاً * في يَدِهِ غُصنٌ منَ الآسِ**[٢]

وسأضرب صفحا عن بقية البحور التي نظم عليها البستي قصائده وهي بحور الرجز والرمل و المنسرح والهزج و المجتث لقلة ما قاله فيها .

القافية:

لغة: وراء العنق .

وسميت القافية قافية لأنها تقفو أثر كل بيت[٣]

---

(١) المرشد – ج ١ – ص ٢٣٨–٢٣٩.

(٢) ديوان البستي – ص١٠٨.

(٣) انظر العمدة – ج١ – ص ٥٤.

اصطلاحا: يقول الخليل ((من آخر حرف ساكن في البيت إلي أول ساكن يليه من قبله مع الحرف الذي قبل ساكن))[١].

وذهب الأخفش إلي أنها هي آخر كلمة في البيت أجمع . ومنهم من يسمي البيت قافية . ومنهم من يسمي القصيدة قافية . ومنهم من يجعل حرف الروي قافية[٢].

وتكرار القافية جزء مهم من الموسيقي الشعرية ، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن[٣]. والقافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر . ولا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وقافية[٤].

وعليه فإن القافية شريكة الوزن ، وبها تكتمل الموسيقي الشعرية ، لأنها موسيقي ثابتة في كل بيت . والروي هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة ، فتنسب إليه ، ولا يكون هذا الحرف حرف مد ولا هاء .

وقد قسم العروضيون القوافي بحسب كثرة شيوعها واستعمالها إلي أنواع هي:

١- القوافي الذلل : وهي الباء والتاء والدال والراء والعين والميم والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون في غير التشديد أسهلها جميعا ، لما يعتريها من حالات الإسناد والجمع والتثنية ، وما يقع فيها من الصفات علي وزن فعلان والجموع علي وزن فَعلان وفُعلان[٥].

---

(١) العمدة ج١ ص١٥١

(٢) المصدر السابق – ص٥١- ٥٤.

(٣) انظر موسيقي الشعر – إبراهيم أنيس – ص٢٤٦.

(٤) انظر المرشد – ج١ – ص٤٤.

(٥) المصدر السابق – ج١ – ص ٥٨ .

٢- القوافي النفر : هي الصاد والزاي والضاد والطاء والهاء الأصلية والواو[١].

٣- القوافي الحوش: هي الثاء والخاء والذال والشين والظاء والغين وكلها قد ركبها الشعراء فلم يجيئوا إلا بالغث[٢].

أدناه جدول يوضح عدد أحرف الروي في ديوان البستي وعدد والمقطوعات التي نظم عليها .

---

(١) انظر المرشد – ص٧٥.

(٢) انظر المصدر السابق – ص٧٩.

الرقم	حرف الروي	عدد الأبيات	عدد المقطوعات
١	النون	٢٨٤	٧٤
٢	الراء	٢٥٥	٩٦
٣	اللام	٢١٨	٧٧
٤	الباء	١٧١	٦٩
٥	الميم	١٦٢	٦٤
٦	الدال	١٦٢	٥٨
٧	الفاء	١٢٢	٣٩
٨	التاء	٦٢	٢٤
٩	السين	٦١	٢٥
١٠	الهاء	٥٠	١٧
١١	الكاف	٤٢	١٧
١٢	العين	٤١	١٨
١٣	القاف	٤٠	١٨
١٤	الياء	٣٩	١٥
١٥	الجيم	٣٨	١٦
١٦	الهمزة	٣٥	١٤
١٧	الحاء	٢٥	١١
١٨	الزاي	١٩	٦
١٩	الضاد	١٧	٧
٢٠	الشين	١٤	٥
٢١	الثاء	١٣	٦
٢٢	الخاء	٨	٣
٢٣	الذال	٦	٢
٢٤	الصاد	٦	٣
٢٥	الواو	٥	٢
٢٦	الألف المقصورة	٤	٢
٢٧	الطاء	٤	٢
٢٨	الغين	٤	١
٢٩	الظاء	٣	٢

بالنظر إلي الجدول يتبين أن حرف النون أكثر الأحرف الجارية على رويه، ويليه الراء ولكني أعتقد أنه لولا النونية ، التي بلغت خمسة وستين بيتا لكان حرف الراء هو أكثر الحروف دورانا في روي قصائده ، ويلي حرفي النون والراء حروف اللام فالباء فالميم فالدال فالفاء وهي أكثر الحروف التي نظم فيها ، وكلها من القوافي الذلل . وبقية الحروف لم يكثر فيها ، فمثلا الفرق في عدد أبيات الفاء وأول حرف بعده وهو التاء ستين بيتا .

والملاحظ أن أبا الفتح نظم على كل الحروف العربية ، مما يدل علي تمكنه واقتداره ، ولعل ما ساعده علي ركوب كل الحروف ، ما كان يكتبه من مقطوعات صغيرة ، فحرف الظاء مثلا وهو أقل حرف كتب فيه ، لم تتجاوز أبياته الثلاثة أبيات في مقطوعتين . وحرف الغين والطاء والألف المقصورة كتب في كلٍ منها أربعة أبيات فقط .

وقد خلت قوافي أبي الفتح من العيوب فلا أجد فيها إكفاء(١) ولا إجازة(٢) ولا إصرافاً(٣) ولا إيطاءاً(٤) ولكن أتى الإقواء(٥) في موضع واحد وهو قوله:

يا قاسياً والقافُ منه نقطةٌ * ومعرضاً في شعره للهُونِ**

رفقاً بشيخٍ في ودادك مُخْلِصٌ * بِهَوَاكَ طُول زمانِه مفتونُ(٦)**

فحركة روي القصيدة الكسر، وأتى فيها بروي مرفوع.

وقد التزم أبو الفتح في كثير من مقطوعاته لزوم ما لا يلزم من ذلك قوله(٧):

---

(١) الأكفاء هو أن يؤتى في البيتين من القصيدة بروي متجانس في المخرج لا في اللفظ.ميزان الذهب ص١٢٣

(٢) الإجازة هي أن يؤتى في القصيدة برويين مختلفين في المخرج . ميزان الذهب ص ١٢٣.

(٣) الإصراف هو الجمع بين حركتين مختلفتين متباعدتين كالفتحة والضمة . ميزان الذهب ص ١٢٣

(٤) الإيطاء هو إعادة اللفظة ذاتها بلفظها ومعناها . وإنما يجوز إعادتها بمعنى مختلف . ويجوز إعادتها نفسها بمعناها بعد سبعة أبيات . وفي هذه الفسحة وقع شاعرنا .

(٥) الإقواء هو تحريك المجرى بحركتين مختلفتين غير متباعدتين مثل الكسرة والضمة . ميزان الذهب ص ١٢٣

(٦) ديوان البستي ص ١٩٦.

(٧) ديوان البستي ص ٣٢.

إذا غَــدا مَــلِــكٌ باللَّهوِ مُشْــتَغِلاً * فاحكُمْ على مُلكِهِ بالوَيْــلِ والحَــرَبِ**
أمَا ترى الشَّمسَ في المِيزانِ هابِطةً * لّما غَدا بُرْجَ نَجمِ اللَّهْــوِ والطَّــرَبِ**

فقد التزم حرفي الراء والباء في القافية ونحو قوله[١]:

أنظر إلى ولَهي بخمــرةِ خَــدِّهِ * يــا حبَّــذا ولَهــي بــهِ ولَهيبِــهِ**
وكأنَّما دَمعي على وَصَــبي بــهِ * جــارٍ علــى تَعذيبِــهِ وَصَــبيبِهِ**

وكان كثيرا ما يصرع نحو قوله – وفيها التزم بلزوم ما لا يلزم أيضا– يقول[٢]:

وقائلَــةٍ إنَّ المعَــالي منـــــاهبٌ * فــقلتُ لَهــا أخطأتِ هــنَّ مــذاهِبُ**
أرادَتْ صُدوفي وانحِرافي عنِ العُــلا * وما أنا في هَذي المــذَاهِبِ ذاهِــبُ**

ويضج شعر البستي بالموسيقي الداخلية والجناس ولكن لن أتعرض له هنا لأني تحدثت عن جانب كبير منه في مبحث الصورة البديعية والجناس .

أثـــــــره:

ترك أبو الفتح البستي أثرا واضحا بطريقته التي اختطها التي صارت تعرف باسمه على شعراء عصره ومن يليهم وهي طريقة التجنيس . وقد سار الشعراء من بعده على نهجه في طريقته في التجنيس واتبعوها ، وقوافيه فمضوا على رسمه فيها ، والملح الفقهية فجعلوها ملحاً لأشعارهم وتعليلاً

(١) ديوان البستي ص ٤٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

لأقوالهم . والقارئ لكتب الأدب خاصة ثمار القلوب في المضاف والمنسوب واليتيمة يعلم مدى افتتان الشعراء والكتاب به .

جاء في اليتيمة في معرض حديث الثعالبي عن أبي الحسن أحمد بن المؤمل[١] ((ومن ملحه ما أنشده وقوافيه متشابهة في طريقة أبي الفتح البستي

طَرَا عَليَّ رسولٌ فِي الكَرَى طاري * مِنْ الطيورِ وأعْطاني بِمنْقاري**

كتابَ حبيبٍ بعيدِ الدارِ أملحَ مَنْ * يَمْشِي عَلَى الأرضِ مِنْ بادٍ ومِن قاري**

تَركْتَني في بِلادٍ لا أراكَ بها * كأنَّ قَلْبَكَ مِنْ صَخْرٍ ومِنْ قَارِ))[٢]**

فقد سمى لأبي الفتح طريقة خاصة به والأبيات مأخوذة من قول البستي.

طرا عليَّ وقد نامَ الوَرى طاري * من الطُّيور فأعطاني بمنقارِ[٣]**

كتابَ حِبٍّ بعيدِ الدّار أحسنِ مَن * يمشي على الأرضِ من بادٍ ومن قارِ**

وفيهِ إنْ كنتَ لا تهوى مُواصلتي * فاقرَ الكتابَ فدَتْك النَّفسُ من قاري**

تركْتَني في بلادٍ لا أنيسَ بِها * كأنَّ قلبكَ من صَخرٍ ومن قارِ**

ولم يفعل أبو الحسن في أبياته شيئا فقد نقلها نقلا من أبي الفتح وهي سرقة تامة قبيحة .

وقد ذُكر أن شميم الحلى علي بن الحسن[٤] قال له: ((قد صنفت كتاباً في التجنيس سميته أنيس الجليس في التجنيس في مدح صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول البستي ثم أنشد منه

---

(١) هو أبو الفتح أحمد بن المؤمل كان كاتبا من كبار كتاب خراسان وكتب لفائق الخاصة ومن أكثر كتاب خراسان محاسن وفضائل وله شعر كثير يجمع الجزالة والحلاوة ــ اليتيمة للثعالبي ج ٤ ص ١٦٨ .

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ص ١٦٨ .

(٣) ديوان البستي ص ١٠٠ و١٠١ .

(٤) هو شميم الحلي على بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم بضم الشين المعجمة وفتح الميم وهو نحوي ولغوي وشاعر توفي بالموصل سنة ٦٠١ هـ تأدب ببغداد وتوجه إلى الموصل والشام وديار بكر وقد قراء على ملك النحاة أبي نزار الأعلام ج ٤ ص ٢٧٤.

ليتَ مَنْ طوَّل بالشام *** نَواه وثَوى بِهِ
جَعَلَ العَوْدَ إلى الزوراءَ *** مِنْ بِعْدِ ثَوابِهِ
أتَرَى يُوْطِئني الدَهْرَ *** ثَرى مِسك تُرَابِهِ
وَأرى أيَّ نورِ عَيني *** مَوْطئاً لِيْ وتَرى بِه))[1]

وممن أقتفى أثره كذالك ونظم على طريقته حسن بن شدقم المدني[2]، جاء في خلاصة الأثر عن ابن شدقم قال: ((حينما أنف من مقامه في وطنه بين أهله وأقوامه بعد عوده من الديار الهندية

وليسَ غَريباً مَنْ نأَى عَنْ دياره *** إذا كانَ ذا مالٍ ويُنْسَبُ للفَضْلِ
وأني غريبٌ بين سكانِ طيْبَةٍ *** وإنْ كنتُ ذا مالٍ وعلمٍ وفي أهلي

وهو من قول البستي

وإنِّي غريبٌ بينَ بُسْتٍ وأهله *** وإنْ كانَ فيها جيرتي وبها أهلي
وليسَ ذِهابَ الروحِ يوماً منيةٌ *** ولكنْ ذهابَ الروحِ في عَدَمِ الشكلِ
وما غربةُ الإنسانِ في شقةِ النوى *** ولكنَّه واللهِ في عَدَمِ الشكلِ))[3]

وقد أخذ ابن شدقم المعنى والروي من البستي وقصر عنه

---

(١) الوافي بالوفيات ج٢٠ ص٢٠٣ . أما الأبيات المنسوبة للبستي فلم نعثر عليها في ديوانه .

(٢) هو حسن بن شقدم المدني الحسني الفاضل الأديب الكامل ذكره ابن معصوم في السلافة فقال في حقه واحد من السادة وأوحد الساسة وقد جمع الى شرف العلم وعز الجاه ، توفى سنة ست وأربعين وألف . خلاصة الأثر : للمحبي. نشر دار صادر ج٢ ص ٢٣

(٣) انظر خلاصة الأثر للمحبي ج٢ ص ٢٣ وأبيات البستي كذلك لم نعثر عليها في الديوان .

وقد أخذ البستي من الحلاج[1] قوله :

إِلـــى حَتفـــي سَـــعى قَـــدَمي * أَرى قَـــــدَمي أَراقَ دَمـــــي[2]**

فَمـــا أَنَفَـــكُّ مِـــن نـــــدَمِ * وَهـــانَ دَمـــي فَهـــا نَـــدَمي**

فقال:

إلـــى حَتفـــي ســـعى قـــدَمي * أرى قَـــــدمي أراقَ دَمـــــي**

فـــما أنـــفَكُّ مـــن نَـــدَمٍ * ولـــيسَ بنـــافِعي نَـــدَمي[3]**

ومعنى البستي أجود ففيه زيادة.

وقد قال أبو القاسم علي بن الحسن بعد أن أورد أبياتا للبستي أنشده إياها القاضي أبو محمد عبد الله بن طاهر[4] قال: ((وأنشدني أيضا [ولم يذكر من أنشده] على طريقة البستي :

عزيزٌ على غُرتـــي غرنـــي * وألبســـني الهَجْـــرَ إذ ســـلما**

---

(١) حلاَّج الحسين بن منصورٍ الحلاَّج الزاهد المشهور من أهل البيضاء بلدة بفارس نشأ بواسط والعراق وصحب الجنيد وغيره والناس مختلفون في أمره فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفِّره . و لأبي حامد الغزالي فصلٌ طويلٌ في حاله . وقد اعتذر له عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه . وأفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه . وكان قد جرى منه كلام فأفتى بحلِّ دمه . وحمل الحلاج إلى السِّجن . وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بالأمر فكتب المقتدر بأن يضرب بالسوط ويقتل. وأصبح يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين أو لستٍ بقين من ذي القعدة سنة تسعٍ وثلاث مائة . فأخرج. وضربه الجلاد ألف سوطٍ ثم قطع أطرافه الأربع ثم حزَّ رأسه وأحرق جثته . قال الشيخ شمس الدين : قتلوه على الكفر والحلول والانسلاخ من الدين نسأل الله العفو . قيل أنه ادّعى الإلهية وأنه يقول بحلول اللاهوت في الاشراف . الوافي في الوفيات. ج١ ص ١٧٩٦

(٢) ورد في المدهش : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي تحقيق د. مروان قباني الطبعة الثانية بيروت ١٤٠٥ دار الكتب العلمية ج ١ ص ٢٠٧ .

(٣) ديوان البستي ص١٦٤ .

(٤) عبد الله بن طاهر بن محمد بن كاكوا أبو محمد المعروف بالقاضي بن زينة الواعظ أصله من مروالروذ وولد بصور ونشأ بالشام وذكر أنه سمع القضاعي بمصر وأنه تفقه على أبي إسحق الشيرازي وكان كثير الحفظ للنتف والأشعار المقطعة حسن الإيراد حلو اللسان يعظ في الأعزية ولد سنة سبع وثلاثين وأربعمائة: تأريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٢٤٢.

فلما تَمَلَّكنـــي واحتـــوى علـــى * مهجتي سَـلَ مَـــنْ سَـلِما))[1]**

وقد ذكر صاحب تاريخ دمشق أيضا في تعريفه للبستي قال : ((شاعر سائر الشعر له أسلوب في التجنيس عجيب ، ربما أفضى به طلب التجنيس للتكلف)) [2]

وقال أيضا: ((وطريقته في الحكمة معنى ، وفي التجنيس لفظا معجزة لا ينكرها أحد)) [3]

وقد طغت شهرة البستي في الجناس ، حتى صار يضرب به المثل ، وتنشأ فيه الأشعار قال حمد بن على أبو الفرج الزعفراني[4] يهجو: ((

جَانِسْ فِي اللـــوْمِ ولـــوْ مثلمـــا * جَـــانَسَ فـــي أشْـــعَارِه البســـتي**
بخـــلٌ وعجـــبٌ وحجـــابٌ معـــا * أحسنتَ يا جامعَ الفهرســـتِ))[5]**

وجاء في الذخيرة: ((وأنشد للوزير أبي قرطبة أبو بكر بن القوطية[6]معارضا طريقة أبي الفتح

سَـــقَانِي كأسَـــه ولَـــها * دبيـــبٌ زادنـــي ولهـــا**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ج ٤٣ ص ١٦١ .

(٣) المصدر السابق ج ٤٣ ص ١٦١ .

(٤) لم أقف على ترجمة له .

(٥) الوافي بالوفيات ج١٣ ص ٩٧ .

(٦) محمد بن عمر بن عبد العزيز أبو بكر بن القوطية القرطبي اللغوي سمع من : سعيد بـن جـابر وأسلم بن عبد العزيز وابن لبابة في اللغة والعربية حافظا للحديث والفقه وإخباريا صنف كتـاب " تصاريف الأفعال "له كتاب حافل في " المقصور والممدود " وكان عابدا ناسكا توفي فـي ربيـع الأول والقوطية : هي جدة أبي جده: سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١٦ ص ٢٢٠ .

غـــــزالٌ إنْ رأى ولهـــــــي * زهـــا عَـــنْ قصـــتي ولهـــا**

قال

ومنادمٍ لَمْ أرضَ مَنْ أشري بِـــهِ * فَنَدِمْتُ إذْ أصبحتُ غَيْــرُ شَــرِيْبِه**

يا لَيْتِ ما ألقاه مَا أرقَــى بِـــــهِ * وسهادي انفردا بعينِ رَقِــيبِه))**[1]

وجاء في بغية الطلب :((قرأت بخط أبي عبد الله محمد بن يوسف الحالي الكفرطابي المعروف بابن المنيرة في كتاب له سماه البديع في نقد الشعر فذكر في باب تجنيس التركيب منه قال وشعر أبي الفتح البستي أكثره من هذا الباب وقد تبعه الناس في ذلك فقال شاعرنا أحمد بن يعقوب الكفرطابي[2]

وأهيفِ الخصرِ مثلُ الليلِ طرتُه * وصدغُه خزري الجــنسِ أولانـــي**

أوليتَ وصْلاً فأولاني قطيعـــــته * بِئْسَ الجزاء بما أوليت أولاني))** [3]

ومما سبق أن شهرة البستي طغت ، وأن طريقته في نظم الشعر أضحت تسمى باسمه .

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج٤ ص ٢١٥ .

(٢) هو أحمد بن يعقوب أبو الحسين الكفرطابي شاعر مجيد من أهل كفرطاب ــ بغيـــة الطلـــب فـــي تأريخ حلب ج٣ ص ١٢٥٢

(٣) المصدر السابق ج٣ ص ١٢٥٢

آراؤه :

جاء في بغية الطلب بعد إيراده لبيت المتنبي القائل

أَفاضِلُ الناسِ أَغراضٌ لِذا الزَمَنِ * يَخلو مِنَ الهَمِّ أَخلاهُم مِنَ الفِطَــنِ**(١)

((وإن مما يغيظني حقاً قوم متمسكون بالفضل يكابرون عقولهم في أمره، ويرتكبون في إطفاء نوره ، كشمس المعالي قابوس فقد كان يقول ليس للمتنبي في ديوانه ما يسوى استماعا إلا أربعة أبيات ثم لم يكن يبتدىء من ذات نفسه بالإشارة إليها وكان سوء خلقه يمنعني من سؤاله عنها وكأبي الفتح البستي في قوله

سُئلتُ عَــنِ المتنبــي فقلـــتُ * مَقَـــالَ إمـــرىء لـــيسَ يغلـــو**

لَهُ في مَواضِعَ فصــلُ الخطــابِ * وســـائرُ مـــا قالـــه فهـــو فســلُ**

قال ولو كان قلبه فقال إن مواضع منه فسل وسائر ما قاله فصل خطاب لكان أبعد عن الإثم وأقرب إلى الصدق والصواب)) (٢) فالبستي يسجل رأيه في المتنبي في أبياته السالفة ويعتبر غالب شعر المتنبي فاسداً وإن لم يحرمه من الجيد ولكنه قليل ومهما اختلفت معه في رأيه هذا فهو رأي آخرين غيره ، منهم شمس المعالي قابوس.

وقد قال المتنبئ: ((أنا وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري))(٣).

وهناك من يقول المتنبي حكيم إنما الشاعر البحتري، ولعل مبعث رأي البستي هذا أن المتنبي شاعر أهتم بالمعاني واجتلابها وتوليدها والزيادة عليها ، والفخامة في الأسلوب والجزالة والقوة في الألفاظ وتكلف الغريب من اللغة

---

(١) ديوان المتنبي ج ٤ ص٣٤١ .

(٢) بغية الطلب في تأريخ حلب ج ٢ ص ٦٥٨ . والأبيات ليست مثبتة بالديوان .

(٣) نصرة الثائر على المثل السائر، لصلاح الدين الصفدي، بيروت، لبنان، دار الفكر، بدون تاريخ، ص٢٤٩.

والتراكيب ومدرسة البستي تجعل همها في الزخرف اللفظي والموسيقى دون عناية بتوليد المعاني وقوة التصوير .

وقال الثعالبي: ((سمعت أبا الفتح البستي يقول لم أسمع في أنفاذ الحلواء إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب

حـــلاوةُ حُبِـــكَ يـــا ســـيدي * تُسَوِّغُ بَعْثي إليـــكَ الحـــلاوة))[1]**

والبيت ليس فيه شيء وإن كان فيه شبه لشعر البستي ، ويشبه أخوانيات البستي ، وبناء على ما قاله البستي في المتنبي وفي بيت الصاحب هذا يمكن أن أقول أن البستي لم يكن ناقداً بالدرجة الأولى وإن كان هذا الحكم ينبغي ألا يصدر إلا بعد أن تحصي له آراء كثيرة ، ويعرف مناسبة أقواله هذه و ولكن هذا كل ما وجدته من آرائه .

---

(١) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣١٠ .

الخاتمة

بحمده تعالى انتهينا إلى خاتمة البحث ، ونورد هنا أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث

- عكس البحث صورة الحياة السياسية في المنطقة التي عاش فيها شاعرنا بجلاء ، وما كان يعتلجها من صراعات ، كما صور أمجاد الدولة الغزنوية في خدمة الإسلام . كما عكس صورة الحياة الاجتماعية ، والثقافية ومظاهرها ، وخدمة الحكام للعلوم وتقريبهم للعلماء .
- أبرز البحث الجانب السياسي لأبي الفتح البستي ودوره في تمكين دولته الناشئة ، فخرجنا بأن شاعرنا سياسي من الطراز الأول ، وهذا جانب لم توله الكتب حظا .
- أبرز البحث عقيدة البستي ورجح تشيعه ، كما نفى عنه القول بعقيدة الكرامية التي ألصقت به .ورجح بأن سبب عزله من منصبه كان بسبب التشيع .أثبت البحث تأريخ وفاته المختلف عليه في المصادر ، واجتهد في تعيين تأريخ مولده
- وجد الباحث أن البستي تناول جميع الأغراض في شعره واستطاع توظيف الصور الفخرية والمدحية بصورة جيدة وكان يجنح للفخر بالفضائل النفسية والعلم وجاءت مدحياته وفخرياته بألفاظ وأساليب قوية تختلف عن سائر شعره المتسم بالرقة ، كما أثبت الباحث أنه لم يكن من المتكسبين بالشعر ، وفي صوره الهجائية توصل الباحث إلى أنه لم ينجح في توظيفها بل لم يكن هجاءً وأهاجيه القليلة التي وردت هي إلى المزح أقرب ، بل خلت حتى من الزخرف اللفظي . وقد تلازم غرضا الغزل والخمريات عنده فقد كان ينظمهما في مجالس الخمر ، فقلما تجد غرضا قائما بذاته، وقد وجد الباحث أن البستي لم يكن عاشقا ولم يذق

تباريح الهوى ، ولم يكن مدمنا للخمر بل كان يتناولها بين الفينة والأخرى ، وقد جاءت غزلياته باردة خلت من اسم المعشوق، وليس فيها معانٍ جديدة ، ولا عاطفة ، لكنها خلت من الإسفاف والكلمة النابئة، أما ألفاظه وتراكيبه فقد أصاب فيها ، فجاءت عذبة رقيقة يزينها البديع، وقد عكست خمرياته صورة مجتمعه بجلاء . ولم يستطع البستي تأدية غرض الرثاء بصورة جيدة بل أخطأ بإيراده معانٍ غير لائقة في مقام الرثاء . وهو مقل جداً في هذا الغرض فله فيه أربع مقطوعات فقط جاءت باردة في غالبها . أما في إخوانياته فقد قالها في حالين حال علو نجمه السياسي ، وكانت تميل إلى المزح والطرائف ، وحال تضعضع حاله وانفضاض الناس من حوله ، فجاءت حكماً سائرة وقد نجح في توظيفها في الحالين . واعتذاريات البستي جاءت على قسمين أيضاً لأصدقائه وأكثرها مزح ، وللسلطان فكانت جادة جيدة رغم أنها لم تشفع له ، ولكنها فنياً خدمت غرضها

- وفي شعر الشكوى يرسم لنا البستي صورا رائعة لأيام شبابه ، ويقابلها بحاله الراهن وقد كان فيه عميقاً فلسفيًا وقد وظف الغرض توظيفاً جيدا وأكثر من استخدام المصطلحات النحوية في هذا الغرض وهكذا نرى قد أفلحت صوره الفنية في أداء وظيفتها في الشكوى . فشكواه تجنح للحكمة وهي بعد عزله واستيقانه من عدم عوده للحكم انضج وأبهى . وفي الشكوى يضع حكمته ويبرزها .
- والبستي مقتدر في شعر الحكمة بصورة أقدر من أي غرض . وفيها استخدم كل معرفته بمعارف الأمم ، فيأخذ حكمهم ويصيغها بصورة متمكنة ، وينظر إلى القرآن والحديث ويأخذ معناه أو بعض ألفاظه ويصيغها أبياتاً حكمية وغلبت مسحة الحزن عليها ، وهذا الباب هو ميدانه الذي لا يبارى فيه .

- كانت تشبيهاته واضحة خلت من الغموض وطريفة جلب لأبياته تشبيهات من معني بعض آيات الذكر الحكيم وأكثر من تشبيه الألفاظ والمعاني والكتب التي ترد إليه واستخدم المصطلحات النحوية في تشبيهاته ، واستخدم معرفته بالفلك والفلسفة والطب . وجاءت تشبيهاته طريفة وجميلة ونجحت في إبراز الصورة الفنية . وتقريب المعاني .
- استخدم الاستعارة المكنية أكثر من التصريحية وقد استطاع خلق حركة في صوره وتشخيصا وتجسيما بفضل استعاراته ، وأعانته ثقافته على الانطلاق في ميدان الاستعارات وقد نجح في خلق صور محسوسة ومرئية ومسموعة بفضل إجادته لهذا اللون البياني . وجاءت الكناية بصورة أقل من التشبيه والاستعارة ولم يتفنن فيها كسابقتيها .
- استخدم البستي جميع أنواع البديع من محسنات ولكنه قد اتجه بكلياته نحو الجناس ولم يغادر منه سببا ، بل زاد في أقسامه واستوفاها وصار الجناس يعرف به ، ويستشهد بأبياته فيه ، وأكثر من الجناس المستوفي. وأقرر هنا أن أبا الفتح قد ألم بأطراف هذا الفن . ووفق توفيقا كبيرا في استخراج صوره وأشكاله . ربما أكثر من أي شخص آخر تناوله ، وسيظل أبو الفتح رمزا لمقدرة الشاعر وقدرته في تطوير أصعب شئ عرفه الإنسان وهو الكلمة ليتصرف فيها ويلبسها ما أراد من المعاني . كما أقرر أنه لم يتأت لشاعر في هذا المجال ما تأتى للبستي وإن لم يكن له فضيلة فحسبه الجناس من فضيلة توقفه أمام أعظم الشعراء .
- الطابع العام لألفاظه الرقة إلا في الفخر ففيها فخامة . وألفاظه عذبة جدا بل كان المعنى يأتي تبعاً لألفاظه . ووردت في ألفاظه بعض الكلمات الفارسية ، كما وردت أسماء مواضع وأماكن في الحجاز . وأسلوبه جيد الرصف ، يعتمد علي دقة الذوق وأهم ظاهرة في أسلوبه كثرة استخدام المصطلحات الفقهية والنحوية والفلسفية ، ومن خصائص شعره التكرار

وأكثره الملفوظ وهو كثير جدا في شعره ، بل لعله السمة المميزة لشعره ، وهو يريد به المجانسة . ويكثر من الأساليب الطلبية والشرطية والتصريع في الأبيات والتدوير سمة ظاهرة في أبياته وكذلك الاقتباس .

- أما معانيه فأكثرها غير مبتدعة إلا ما جاء أخذاً من معنى في القرآن والسنة والأمثال والحكم المعروفة وما أخذه من غيره من الشعراء زاد عليه أو قصر عنه
- وقد كتب البستي على اثني عشر بحرا ، وركب كل الحروف في القوافي وجانبه الخطأ في عيوب القافية، فلم أحص إلا إقواءً واحداً ورد في شعره، والتزم كثيرا لزوم مالا يلزم . وكان شعره ذا زخم موسيقي عجيب . وله طريقة في النظم عرفت باسمه وسار عليها بعض من أتى بعده .

وفي النهاية نوصي بأن يفرد لهذا الشاعر بحثٌ خاصٌ بجناسه وموسيقاه

وأخيراً فقد قلنا بما علمنا والحمد لله على ما هدى،،

الفهارس العامة

وتحتوي على:

فهرس الآيات القرآنية

١١	﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾.	الأعراف	٤٠	٢١١
١٢	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.	الأعراف	١٩٩	٢٦٤
١٣	﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم﴾ .	التوبة	٣٤	٢١٠
١٤	﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾.	يونس	٢٢	٢١٢
١٥	﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.	يونس	٤٦	٢١١
١٦	﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾.	يوسف	١٧	٢١١
١٧	﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ...﴾.	يوسف	٤٦-٤٩	
١٨	﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ .	يوسف	٨٤	٢١٠
١٩	﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا﴾.	إبراهيم	١٩-٢١	٢١١
٢٠	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.	الانشراح	٥-٦	١٦٤

٢١	﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.	إبراهيم	١	١٩٢
٢٢	﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.	الإسراء	٨١	٢١٢
٢٣	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.	الحج	٩١	٢١١
٢٤	﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾.	الشعراء	١٦٨	٢٢٥
٢٥	﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ﴾ .	النمل	٢٢	٢١٠
٢٦	﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾.	النمل	٨٢	٢٦٥
٢٧	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾.	العنكبوت	٦٧	٢٦٦
٢٨	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.	الروم	١٩	٢١١
٢٩	﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.	الأحزاب	١٠	٢١١
٣٠	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.	الروم	٥٥	٢١٩
٣١	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾.	الزمر	٩	

٣٢	﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.	غافر	٦٤	٨٠
٣٣	﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾.	الشورى	٤٠	٢١٠
٣٤	﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ﴾.	الأحقاف	٩	٢٠٩
٣٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.	الحجرات	٦	٦٩
٣٦	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.	ق	٣٠	٣١١
٣٧	﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.	الرحمن	٤٨	٨٢
٣٨	﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ .	الواقعة	٢٥-٢٦	٢١١
٣٩	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾.	الحديد	٢٧	٢٠٩
٤٠	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾.	الحشر	٢٤	٨١
٤١	﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ .	القيامة	٢٩-٣٠	٢١٠
٤٢	﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.	القلم	١	٢٦٦
٤٣	﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾.	الانفطار	٨	٨١
٤٤	﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.	الفجر	٢٢	٢١١

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	رقم الصفحة
١	(اليد العليا خير من اليد السفلى).	١٦٥
٢	(... وإن روح القدس قد نفس في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها فأجملوا في الطلب).	١٦٥
٣	(السلطان ظل الله في الأرض).	٢٦٧

فهرس الأشعار

فَيالَكَ مِن حَزمٍ وَعَزمٍ طَواهُما	**	جَديدُ الرَدى تَحتَ الثَرى وَالصَفائِحِ	٢١٣
يا دارَ مَيَّةَ بِالعَلياءِ فَالسَنَدِ	**	أَقوَت وَطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ	٢١٤
هُم ساعدُ الدَهرِ الذي يُتقى به	**	وما خيرُ كفٍّ لا تَنُوء بسَاعدِ	٢٠٦
مَن عَلَّمَ الأَسوَدَ المَخصِيَّ مَكرُمَةً	**	أَقَومُهُ البِيضُ أَم آباؤُهُ الصِيدُ	١٢٠
أَنتَ الأَمينُ الَّذي مِن بَعدِ صاحِبِهِ	**	أَلقَت إِلَيكَ مَقاليدَ النُهى البَشَرُ	١٠٧
لَم يوثِروكَ بِها إِذ قَدَّموكَ لَها	**	لَكِن لِأَنفُسِهِم كانَت بِكَ الخِيَرُ	
رَأَيْتُ زهيراً تَحْتَ كَلْكَلِ خالدٍ	**	فأَقْبَلتُ أسعى كالعجولِ أبادر	٢٠٦
فيا حُبَّها زدني جَوىً كلَّ ليلةٍ	**	ويا سلوةَ الأيام موعدُك الحَشر	١٣٢
ما أَرانا نَقولُ إِلاّ رَجيعاً	**	وَمُعاداً مِن قَولِنا مَكرورا	٢٦٤
فَبِتلكَ أَهذي ما حَيِيتُ صَبابَةً	**	وَبِها الغَداةَ أُشَبِّبُ الأَشعارا	١٣٠
فإذا انتهيتَ إلى السلامةِ	**	فِيْ مَداكَ فلا تُجاوزْ	٦٦
وَدارِ نَدامى عَطَّلوها وَأَدلَجوا	**	بِها أَثَرٌ مِنهُم جَديدٌ وَدارِسُ	١٥٢
مَساحِبُ مِن جَرِّ الزَقاقِ عَلى الثَرى	**	وَأَضغاثُ رَيحانٍ جَنِيٌّ وَيابِسُ	
قُل لِمَن يَبكي عَلى رَسمٍ دَرَس	**	واقِفاً ما ضَرَّ لَو كانَ جَلَس	٢٤٣
وكأنَّ النجوم بين دُجاه	**	سُنَنٌ لاحَ بينهُنَّ ابتداع	١٨٠
إِنْ كُنْتَ لِلَّهِ التَقِيَّ الأَطْوَعَا	**	فَلَيْسَ وَجْهُ الحَقِّ أَنْ تَبَدَّعا	٢٠٩
وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها	**	أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ	١٩٣
وَأَقبَلَ يَمشي فِي البِساطِ فَما دَرى	**	إِلى البَحرِ يَمشي أَم إِلى البَدرِ يَرتَقي	١٩٣
نَسَبْنَا بِلَيْلَى فانْبَعَثْتَ تعِيْبها	**	أَضَلَ مِنْ الحَجامِ أَوْ ساق مغزلِ	١٣٠
أَخي ثِقَةٍ لا تُتلِفُ الخَمرُ مالَهُ	**	وَلَكِنَّهُ قَد يُهلِكُ المالَ نائِلُه	٢١٢
وَغَداةِ ريحٍ قَد وَزَعتُ وَقَرَّةٍ	**	إِذ أَصبَحَت بِيَدِ الشَمالِ زِمامُها	١٩١

الشطر الأول		الشطر الثاني	الصفحة
لا تُنكرَن اِهداءنا لَـكَ منـطقا	**	مِنـكَ اِسـتَفَدنا حُسـنه وَنِظامـه	٢٦٧
فَازوَرَّ مِـن وَقـعِ القَنـا بِلَبانِـهِ	**	وَشَـكا إِلَـيَّ بِعَـبرَةٍ وَتَحَمحُـمِ	٢١٣
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فـؤاده	**	فلم يبق إلا صـورةَ اللحـمِ والـدَّمِ	٨٢
عزيـزٌ علـى غُرتـي غـربي	**	وألبسـني الهَجْـرَ إذ سـلما	٢٩٦
وَمَـن لا يُصـانِع في أُمـورٍ كَـثيرَةٍ	**	يُضَرَّس بِأَنيـابٍ وَيوطَـأ بِـمَنسِـمِ	٢٥٩
وَمَن يَجعَلِ المَعـروفَ مِـن دونِ عِرضِـهِ	**	يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّـقِ الشَـتمَ يُشـتَمِ	
هَل غادَرَ الشُـعَراءُ مِـن مُتَـرَدَّمِ	**	أَم هَل عَرَفتَ الـدارَ بَعـدَ تَـوَهُّمِ	٢٦٥
إلى حَتفـي سَـعى قَـدَمي	**	أرى قَـدَمي أَراقَ دَمـي	٢٩٦
فَمـا أَنَفَـكُّ مِـن نـدَمِ	**	وَهـانَ دَمـي فَهـا نَـدَمي	
فلمـا تَمَلَّكـني واحتـوى علـى	**	مهجـتي سَـلَ مَـنْ سَـلِما	
إِذا المَرءُ لَم يَخزُن عَلَيـهِ لِسـانَهُ	**	فَلَيسَ عَلى شَـيءٍ سِـواهُ بِخَـزّانِ	٢١٤
وأهْيَفِ الخِصْرِ مِثْلُ الليـلِ طرتـه	**	وصـدغه خَـزَري الجِـنْسِ أولاني	٢١٩
أوليتَ وَصْـلاً فـأوْلاني قَطِيْعَتـه	**	بِـئْسَ الجـزاء بما أوليـت أولاني	
وأهيفِ الخصرِ مثلُ الليـلِ طرتُـه	**	وصـدغُه خـزري الجـنسِ أولاني	٢٩٨
أوليتَ وصْلاً فـأولاني قطيعـته	**	بِـئْسَ الجـزاء بما أوليـت أولاني	
أَفاضِلُ الناسِ أَغراضٌ لِذا الـزَمَنِ	**	يَخلو مِنَ الهَمِّ أَخلاهُـم مِـنَ الفِطَـنِ	٢٩٩
أَلا لا يَجهَلَـن أَحَـدٌ عَلَينـا	**	فَنَجهَـلَ فَـوقَ جَهـلِ الجاهِلينـا	٢١٣
فَتىً تَمَّ فيـهِ مـا يَسُـرَّ صَـديقَهُ	**	عَلى أَنَّ فيـهِ مـا يُسـيءُ المُعادِيـا	٢١٢
وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُـدولَهُ	**	عَلَـيَّ بِـأَنواعِ الهُمـومِ لِيَبتَلـي	٢١٤

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ	**	وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ	
وَتُعجِبُني رِجلاكَ فِي النَعلِ إِنَّني	**	رَأَيتُكَ ذا نَعلٍ إِذا كُنتَ حافِيا	١٢٠
وَمِثلُكَ يُؤتى مِن بِلادٍ بَعيدَةٍ	**	لِيُضحِكَ رَبّاتِ الحِدادِ البَواكِيا	

فهرس التراجم

الرقم	العلـــــــــم	رقم الصفحة
١	ابن إسحاق الصابي	٣٥
٢	ابن الأثير	١٨
٣	ابن الأشعث	١٧٨
٤	ابن الأصم	٣١
٥	ابن الجوزي	٣٧
٦	ابن الرومي	٢
٧	ابن المعتز	١١
٨	ابن المنيرة	٢١٩
٩	ابن تغري بردي	٢٦
١٠	ابن تيمية	٥٥
١١	ابن جني	٣٢
١٢	ابن خزيمة الحسين البجلي	٦٠
١٣	ابن خلدون	٢٩
١٤	ابن خلكان	٢٤
١٥	ابن رشيق	٩٢
١٦	ابن سكرة الهاشمي	١٧٩
١٧	ابن سلام الجمحي	١٢٩
١٨	ابن سنان الخفاجي	١٧٨
١٩	ابن طباطبا	٢٦٧
٢٠	ابن عساكر	٧٧

فهرس الأماكن والبلدان

٢١	بيت المقدس	٦٠
٢٢	بيشاور	٢١
٢٣	الجوزجان	٧٠
٢٤	الحجاز	٣١
٢٥	حلب	٣٠
٢٦	حومل	٢٢٧
٢٧	خراسان	١٢
٢٨	خوارزم	٢٤
٢٩	خيوة	٢٩
٣٠	الدخول	١٥٠
٣١	دمشق	٦
٣٢	ديار بكر	١٢
٣٣	ديار ربيعة	١٢
٣٤	ديار مضر	١٢
٣٥	دير مرينا	١٠٧
٣٦	الرخج	٦٦
٣٧	الري	١٢
٣٨	زرنج	٥٩
٣٩	سجستان	١٨
٤٠	سرخس	٤٧
٤١	مرو	٢٣
٤٢	سمرقند	١٩
٤٣	الشام	١٢
٤٤	شيراز	١٦

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المصدر
	القرآن الكريم.
١	أبو الفتح البستي حياته وشعره: محمد مرسي الخولي، دار الأندلس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٠م.
٢	أحسن التقاسيم: المقدسي، تحقيق غازي طليمات، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٠م.
٣	الأدب وفنونه: عز الدين إسماعيل، طبع دار الفكر العربي، الطبعة السابعة ١٩٧٨م.
٤	أروع ما قيل في الرثاء، أميل ناصف، المؤسسة الحديثة للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م.
٥	أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد أحمد بدوي القاهرة مكتبة نهضة مصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤م.
٦	الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. تحقيق محمد علي البيجاوي، بيروت دار الجيل، ط ١، سنة ١٤١٢هـ.
٧	الأصول التراثية في نقد الشعر العربي المعاصر في مصر: عدنان حسين قاسم، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع ليبيا، طبعة أولى ١٩٨١م.
٨	الأعلام للزركلي، بيروت، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.
٩	الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

١٠	آفاق في الأدب والنقد: عناد غزوان، طبع دار الشؤون الثقافية العامة بغداد طبعة أولى سنه ١٩٩٠م.
١١	الأنساب: للسمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارود، بيروت دار الجنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
١٢	الكليني والكافي: عبد الرسول عبد الحسن عبد الغفار، طبع مؤسسة النشر الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١٣	الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي. بيروت المكتبة العصرية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
١٤	البحث الأدبي مناهجه وأصوله: شوقي ضيف، ط ٤ دار المعارف.
١٥	البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق أحمد عبد الوهاب فيتح، القاهرة دار الحديث، الطبعة السادسة، ٢٠٠٢م ــ ١٤٢٣هـ.
١٦	البديع: ابن المعتز: تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م.
١٧	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح تحقيق عبد المتعال الصعيدي، القاهرة مكتبة الآداب، ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠م.
١٨	بغية الطلب في تاريخ حلب: تأليف كمال الدين عمر بن احمد بن جرارة تحقيق د . سهيل زكار نشر دار الفكر.
١٩	البلاغة العربية أصلها وأصولها: السيد أحمد خليل، طبعة دار النهضة المصرية سنه ١٩٦٨م.
٢٠	بهجة المجالس: ابن عبد البر، تحقيق محمد مرسي الخولي مراجعة عبد القادر القط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار الجيل للطباعة، بدون تاريخ.
٢١	البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي بيروت، دار صعب الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.

٢٢	تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف دار المعارف مصـــر، الطبعـــة الرابعة ١٩٩٦م.
٢٣	تاريخ الأدب في إيران: إدوارد براون، ترجمة أحمد كمـــال الـــدين حلمي، الكويت، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
٢٤	تأريخ الإسلام السياسي: حسن إبراهيم حسن، بيـــروت دار الجيـــل، ط١٤، ١٩٩٦م.
٢٥	تاريخ الخلفاء للسيوطي، القاهرة مكتبـــة الصـــفا، الطبعـــة الأولـــى ٢٠٠٥م.
٢٦	تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري: نجيب محمـــد البهبتي – طبع دار الفكر – بدون تاريخ.
٢٧	التأريخ اليميني لأبي نصر العتبى، طبعة مصر، بدون تاريخ.
٢٨	تأريخ بغداد: تأليف أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، بيروت دار الكتب العلمية.
٢٩	تاريخ دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بـــن عبـــد الله الشافعي، تحقيق محب الدين أبي سعد عمر بن غرامة العمـــري، دار الفكر بيروت.
٣٠	التجديد والتطور في الشعر العربي: محمد عبد العزيز الكفراوي ط٢.
٣١	التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث: صابر عبد الدائم، القـــاهرة مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى١٤١٠هـــ ـــ١٩٩٠م.
٣٢	تحفة الوزراء: الثعالبي، تحقيق محمد مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـــ ـــ ٢٠٠٠م.
٣٣	تذكرة الحفاظ: الذهبي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمـــي، الناشر مكتبة الحـــرم المـــدني، دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، ١٣٧٤هـــ.

٣٤	التصوير الفني في القران: سيد قطب الطبعة الشرعية السابعة، بيروت القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٢م.
٣٥	تفسير القران العظيم: لابن كثير، تحقيق كمال علي علي الجمل، القاهرة دار التوزيع والنشر الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٣٦	ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.
٣٧	ثمرات الأوراق: تقي الدين الحموي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت دار الجيل، ط٣، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.
٣٨	الجامع في تأريخ الأدب العربي القديم: حنا الفاخوري بيروت دار الجيل، ط١، ١٩٨٦م.
٣٩	الجامع لأحكام القران: للقرطبي، بيروت دار إحياء التراث العربي الناشر مؤسسة التاريخ العربي بيروت ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٤٠	جواهر الكنز: ابن الأثير، تحقيق محمد زغلول سلام، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.
٤١	الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٩٩م.
٤٢	الحماسة البصرية لصدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد عالم الكتب بيروت ١٩٨٣م.
٤٣	الحيوان: للجاحظ، حققه وشرحه عبد السلام محمد هارون، بيروت لبنان دار الكتاب العربي ١٩٦٩م.
٤٤	خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي، تحقيق عصام شعيتو، بيروت دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٤٥	الخصائص: لابن جني أبو الفتح عثمان تحقيق محمد علـــي النجـــار، بيروت دار الهدى، الطبعة الثانية.
٤٦	خلاصة الأثر: للمحبي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
٤٧	دائرة المعارف الإسلامية الحديثة الطبعة الثانية
٤٨	دائرة المعارف الإسلامية القديمة.
٤٩	دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق التنجي، بيـــروت دار الكتاب العربي، ط ، ١٤١٥هـــ ـــ١٩٩٥م.
٥٠	دمية القصر وعصره أهل العصر: للباخرزي. تحقيـــق د. التـــونجي حلب ١٩٩٣م.
٥١	ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، قدم له راجي الأسمر، نشـــر دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
٥٢	ديوان أبي ذؤيب الهذلي، تحقيق د .أنطونيوس بطرس. دار صـــادر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
٥٣	ديوان أبي نواس، شرح علي فاعور، بيروت، دار الكتـــب العلميـــة، ط١، ١٤٠٧هـــ ١٩٨٧م.
٥٤	ديوان البحتري، شرح يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.
٥٥	ديوان البستي، تحقيق دريـــة الخطيـــب ولطفـــي الصـــقال دمشـــق مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٩م.
٥٦	ديوان الحطيئة، شرح د .يوسف عيد، بيروت دار الجيل، ط ١، سنة ١٩٩٢م.
٥٧	ديوان المتنبي: شرح البرقوقي، بيروت، الناشر دار الكتاب العربـــي ١٩٨٦م.
٥٨	ديوان النابغة الذبياني. تحقيق كرم البستاني. دار بيـــروت للطباعـــة والنشر، طبعة ١٩٨٦م.

٥٩	ديوان امرئ القيس، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٣م.
٦٠	ديوان جرير بيروت دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٩١م.
٦١	ديوان زهير بن أبي سلمى . شرح الدكتور محمد محمود طه، بيروت دار الفكر اللبناني ١٩٩٥م.
٦٢	ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردام، دار صادر الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.
٦٣	ديوان عمر بن أبي ربيعة: شرح يوسف شكري بركات، دار الجيل، ط أولى ١٩٩٢م.
٦٤	ديوان عمرو بن كلثوم جمع وتحقيق أميل بديع يعقوب. الناشر دار الكتاب العربي، طبعة أولى ١٩٩١م.
٦٥	ديوان عنترة بن شداد، تحقيق محمد سعيد مولوي، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
٦٦	ديوان كعب بن زهير: تقديم محمد يوسف نجم، بيروت دار صادر، ط١،١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.
٦٧	ديوان مجنون ليلى: شرح عدنان زكي درويش، بيروت دار صادر، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٣م.
٦٨	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.
٦٩	الذريعة إلى تصانيف الشيعة: أقا بزرك الطهراني، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٧٠	رسالة ماجستير بعنوان ابن حاتمة الأنصاري حياته وشعره، إعداد نميري تاج السر، جامعة أمدرمان الإسلامية، ١٩٩٩م.
٧١	زهر الآداب: الحصري القيرواني، تحقيق يوسف علي طويل، بيروت دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م.	٧٢
السلسلة الضعيفة: للألباني، مكتبة المعارف، الرياض.	٧٣
سير أعلام النبلاء: للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.	٧٤
شذرات الذهب: عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دمشق دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.	٧٥
شرح قصيدة عنوان الحكم: عبد الفتاح أبو غدة، حلب مكتبة المطبوعات الإسلامية الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ١٩٩٢م.	٧٦
شعب الإيمان: أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.	٧٧
الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: يحي الجبوري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.	٧٨
الشعر والشعراء: ابن قتيبة بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة السادسة ١٩٩٧م.	٧٩
الشعور بالعور لأبي الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين أيبك بن عبد الله الألبكي الصفدي المتوفى سنه٧٦٤هـ تحقيق دكتور عبد الرازق حسين، دار عمار الأدران، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.	٨٠
صبح الأعشى في صناعة الإنشا: للقلقشندي تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة دمشق.	٨١
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور دار الملايين الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.	٨٢

٨٣	صحيح البخاري تحقيق مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م، دار ابن كثير اليمامة، بيروت.
٨٤	الصناعتين: أبو هلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٨٥	الصورة الأدبية : مصطفى ناصف ، بيروت دار الأندلس بدون تاريخ
٨٦	الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي: الولي محمد بيروت المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
٨٧	الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس: ساسين سيمون عساف – طبع المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
٨٨	الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: جابر عصفور بيروت دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
٨٩	الصورة الفنية في الشعر العربي: إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم الناشر الرياض الشركة العربية للنشر والتوزيع طبعة٥.
٩٠	الصورة الفنية في النقد الشعري: عبد القادر الرباعي، الرياض دار العلوم للطباعة والنشر، طبعة ١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
٩١	الصورة الفنية في شعر أبي ذؤيب الهذلي رسالة ماجستير إعداد الطالبة إيمان خلف الله يحي جامعة أمدرمان الأسلامية، ٢٠٠٣م.
٩٢	الصورة الفنية في شعر البحتري، أبو صباح علي الطيب رسالة ماجستير، ١٩٩٨م.
٩٣	الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي
٩٤	طبقات الحنفية لعبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، نشر مير محمد كتب خان.

٩٥	طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٩٦	طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي شرح محمود شاكر. الناشر دار المدني بجدة.
٩٧	العبر في خبر من غبر: الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت مطبعة حكومة الكويت الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
٩٨	علم الجمال اللغوي: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
٩٩	علوم البلاغة: أحمد مصطفى المراغي، القاهرة، ط١٩٣٧م.
١٠٠	عمدة الطالب: لابن عنبة، تحقيق محمد حسن آل طالقاني، النجف مطبعة الحيدرية، الطبعة الثالثة ١٣٨٠هـ ـ١٩٦١م.
١٠١	العمدة: لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت دار الجيل.
١٠٢	عيار الشعر: محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبد الستار، مراجعة نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، طبعة ١، ١٩٨٢م.
١٠٣	فصل المقال في شرح الأمثال: لأبي عبيدة البكري، تحقيق د. إحسان عباس ود عبد المجيد عابدين، الطبعة ٣، سنة ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة بيروت.
١٠٤	فصول في الشعر ونقده: شوقي ضيف طبعة الثانية، القاهرة دار المعارف.
١٠٥	فصول وقطوف في الأدب: صالح آدم بيلو، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٠٦	الفن التشكيلي: محمد بسيوني، مطبعة عالم الكتب، القـــاهرة الطبعـــة الأولى سنه ١٩٨٠م.
١٠٧	فن الجناس: على الجندي، القاهرة دار المعارف.
١٠٨	الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شـــوقي ضـــيف دار المعـــارف ، طبعة١١.
١٠٩	الفهرست لأبن النديم المتوفى سنة ٤٣٨هـ، تحقيـــق رضـــا تجديـــد بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٨هـــ ــ ١٩٧٨م.
١١٠	القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، بيروت، دار الجيل.
١١١	الكافي في العروض والقوافي: للخطيب التبريزي (وهو أبو زكريـــا يحي بن علي بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريـــزي المعـــروف بالخطيب ت ٥٠٢ هــ)، تحقيق الحساني حســـن عبـــد الله مطبعـــة المدني، ١٩٨٦م.
١١٢	الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، بيـــروت دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤١٥هـــ.
١١٣	كتاب الإيضاح لقوانين الإصطلاح في الجدل والمنـــاظرة، لعبـــد الرحمن بن الجوزي، تحقيق محمود بن محمـــد الســـيد الـــدغيم، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٤١٥هـــ - ١٩٩٥م.
١١٤	الكشاف: للزمخشري، ترتيب وتصحيح محمد عبد الســـلام شـــاهين، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٢م.
١١٥	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، بيـــروت دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.
١١٦	لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين بـــن منظـــور دار الصـــادر بيروت، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٣م.

١١٧	لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.
١١٨	اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد بيروت منشورات المكتبة العصرية.
١١٩	لغة الشعر بين جيلين: إبراهيم السمارائي بيروت لبنان دار الثقافة.
١٢٠	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين الموصلي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، بيروت، المكتبة العصرية ١٩٩٥م.
١٢١	مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي وشركاه يناير ١٩٧٨م.
١٢٢	مجموعة أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: تحقيق وليم بن الورد البروسي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، بيروت منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
١٢٣	محاضرات الأدباء: لأبي القاسم الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٩٩م.
١٢٤	مدخل إلي علم الجمال الأدبي: عبد المنعم تليمة، القاهرة طبعة دار الثقافة، ١٩٧٨م.
١٢٥	المدهش: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي تحقيق د. مروان قباني الطبعة الثانية بيروت ١٤٠٥ دار الكتب العلمية.
١٢٦	المدينة في العصر الجاهلي: محمد العيد الخطراوي ، دمشق سوريا، بيروت، مؤسسة علوم القرآن المدينة المنورة دار التراث الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٢٧	مرآة الجنان: عبد الله بن أسعد اليافعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي ١٤١٣هـ.

١٢٨	المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ٢، ١٩٩٢م.
١٢٩	مستدرك سفينة البحار: علي النمازي تحقيق حسن بن علي النمازي، قم مؤسسة النشر الإسلامي ١٤١٩هـ.
١٣٠	المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين الأبشيهي. تحقيق مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية بيروت طبعة ٢.
١٣١	مسند الشافعي بيروت دار الكتب العلمية، رقم ١١٥٣.
١٣٢	معالم العلماء: محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق محمد كاظم الكيني، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.
١٣٣	معاهد التنصيص: للعباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م.
١٣٤	معجم الأدباء: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
١٣٥	معجم البلدان: ياقوت الحموي، بيروت دار الفكر ١٩٧٩م.
١٣٦	معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة، بيروت دار إحياء التراث العربي الناشر مكتبة المثنى، بدون تاريخ
١٣٧	معجم المطبوعات العربية: أليان سركيس، قم، ١٤١٠هـ.
١٣٨	المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون إحياء التراث العربي طبعة ٣
١٣٩	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، تحقيق مطظفى السقا، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ.
١٤٠	معجم مقاييس اللغة: احمد بن فارس تحقيق محمد عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨١م.

مفتاح العلوم للسكاكي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة ٢.	١٤١
مقدمة ابن خلدون، دار الفكر بدون تاريخ،	١٤٢
ملامح تجديد في النثر الأندلسي خلال القرن الخامس الهجري: دكتور مصطفي محمد أحمد السيوفي، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.	١٤٣
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، بيروت دار صـــادر، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـــ.	١٤٤
المنجد في اللغة والأعلام: مجموعـــة مـــن المـــؤلفين، بيـــروت دار المشرق.	١٤٥
منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.	١٤٦
منهاج السنة النبوية: ابن تيمية، تحقيق محمود رشاد سالم، مؤسســة قرطبة الطبعة الأولى، ١٤٠٦هــ.	١٤٧
الموازنة بين الشعراء، زكي مبارك، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـــ -١٩٧٣م.	١٤٨
موسيقى الشعر، الدكتور إبراهيم أنيس، ط ٣، ١٩٦٥م، مكتبة الأنجلو المصرية.	١٤٩
الموشح: المزرباني، تحقيق علي محمد بجاوي القـــاهرة دار الفكـــر بدون تاريخ.	١٥٠
ميزان الذهب في صناعة شعر العرب – السيد أحمد الهاشـــمي، ١٩٧٩م.	١٥١
النجـــوم الزاهرة: ابن تغري بردي، مصـــر وزارة الثقافـــة، بـــدون تاريخ.	١٥٢
نصرة الثائر على المثل السائر، لصلاح الدين الصـــفدي، بيـــروت، لبنان، دار الفكر، بدون تاريخ.	١٥٣

١٥٤	النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هـلال، بيـروت، دار العـودة، ١٩٨٧م.
١٥٥	النقد الأدبي بين القدامى والمحدثين، مقـاييس واتجاهـات وقضـايا: العربي حسن درويش، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ طبعة.
١٥٦	النقد التطبيقي والموازنات: محمد الصادق عفيفـي مصـر مؤسسـة الخانجي، طبعة ١٩٤٨ – ١٣٩٨هـ.
١٥٧	نقد الشعر في القرن الرابع الهجري: قاسم مأمون، طبع دار الثقافـة بالقاهرة بدون تاريخ.
١٥٨	نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجـة القاهرة، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولي ١٩٨٠م.
١٥٩	نقد النثر: قدامة بن جعفر، بيروت دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م.
١٦٠	هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، اسـتانبول الطبعـة الأولـى ١٩٥٢م.
١٦١	الهوامل والشوامل: أبو حيان التوحيدي ومسكويه، نشره أحمد أمـين والسيد أحمد صقر، القاهرة لجنة التأليف والترجمـة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م.
١٦٢	الوافي بالوفيات: الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ.
١٦٣	الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي بيـروت منشـورات المكتبـة العصرية.
١٦٤	وفيات الأعيان: ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، لبنان دار الثقافـة، بدون تاريخ.

١٦٥	يتيمة الدهر: أبو منصور الثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٦٦	سمط النجوم العوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية.

فهرس الموضوعات